ديوان

ابن خفاجة

شرحه وضبط نصوصه وقدّم له

الدكتور عمر فاروق الطبّاع

ديوان ابن خفاجة

دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف : ٨٣٤٩٧٣/٤ - ٦٠٣٠١٣ - ص.ب : ٣٨٧٤
فاكس : ٦٠٣٠١٣ كود : ٠٠٩٦١١

ابن خفاجة

بقلم: الدكتور عمر الطبّاع

بعد ربع قرن من نهاية العهد الأموي في الأندلس [(١٣٨ ـ ٤٢٢ هـ) = (٧٥٠ ـ ١٠٣٠ م)]، قام عهد جديد، هو ثالث عهود الحكم العربي في أسبانيا الإسلامية عرف بعهد ملوك الطوائف، الذي أمتدّ نحواً من خمسة قرون [(٤٠٣ ـ ٨٩٧ هـ) = (١٠١٢ ـ ١٤٩٣ م)]، زال في نهايتها نفوذ العرب السياسي في هاتيك الربوع، لتظلّ مشرقة فيها أضواء شموسهم الفكرية والأدبيّة.

في هذا العهد من عهود الأندلس المعروف أيضاً بعهد الإمارات أو الدويلات ولد ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله. وكانت ولادته سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م)، في جزيرة شَقْر[١]، الواقعة شرقي البلاد. وشَقْر في الحقيقة بلدة ساحلية بين شاطبة وبَلَنْسية، أطلق عليها الجغرافيون اسم الجزيرة، على نحو ما فعلوا بالقياس إلى شبه جزيرة أيبيريا حين أطلقوا عليها اسم الجزيرة لإحاطة الماء بها من أكثر جهاتها.

●

وإذا كان لموطن الولادة والنشأة تأثير في تكوين الشخصية، ولا سيما الجانب الذهني منها، فليس لنا أن ننكر أثر «شَقْر» مسقط رأس ابن خفاجة في نزعته الأدبية وخياله الشعري بخاصة، فقد كانت كما وصفها ياقوت «أنزه بلاد الله وأكثرها روضة وشجراً وماء»، ذكرها ابن عائشة الأندلسي فقال:

ألا خَلِّيانــي والصِّبا والقــوافيا ... أُرَدِّدُها شَجْـوا فأجْهَـشُ باكيا
وقــد بــان حلــوُ العيــشِ إلا تَعِلَّــةً ... يُحــدّثني عنهـا الأمــانيّ خـاليـا

فيا بردَ ذاكَ الماءِ هل منكَ قطرةٌ فها أنا أستَنْقي غمامك صاديا
وهيهات حالت دون شَقْر وعهدها ليالٍ وأيامٌ تنحال لياليا
فيا راكبا مستعمل الخطْو قاصداً ألا عُجْ بشَقْر رائحاً ومُغاديا
وقِفْ حيث سال النَّهرُ ينسابُ أرقما وهبّ نسيمُ الإيكِ ينفث راقيا

وإذا كانت شَقْر قد نفحت ابن خفاجة بنفحات الإلهام الفنيّ الأولية، فبلنسية بشطآنها وخمائلها وأنهارها وما ينبت في كورها من الزعفران، كانت أبعد أثراً في وثبات خياله، كيف لا وهي إحدى مسارح نشأته وصباه، ومجلى ناظريه، ولطالما سعى إلى رياضها ولاذ بظلالها فرأى فيها بروداً موشّاة من الحسن والبهاء حرّكت في ذاته مكامن السحر والفتنة، وهي المكامن التي ألهمت أبا العباس أحمد بن الزقاق قوله:

كأنّ بلنسية كاعبٌ وملبسها السُّندس الأخْضرُ
إذا جئتها سَتَرَتْ وجْهَها بأكمامها، فهي لا تظْهَرُ

أو قوله:

بلنسية جنةٌ عاليَهْ ظِلال القُطُوف بها دانيَهْ
عيون الرحيق مع السلسبيـ ـلِ، وعين الحياة بها جارية

هذه الملامس من الجمال في طبيعة أرض النشأة الأولى التي انتشى بها ابن خفاجة، تستطيع أن تطالع سطورها وصفحاتها في شعره الوصفي، وهو أوسع فصول سفره الشعري وأبوابه، ومن هذه الخيوط ومن ريّا تلك الخطرات، تحوّل وجدان ابن خفاجة إلى ميدان أكثر عمقاً وانفساحاً حين تغنّى بالأندلس فقال:

إنَّ لِلْجَنَّةِ بالأَنْدَلُس مُجْتَلى حُسْنٍ وريّا نَفَسِ
فسنا صُبْحَتِها من شَنَبَ ودجى لَيْلَتِها من لَعَسِ
وإذا ما هبّت الريحُ صباً صِحْتُ واشوقي إلى الأنْدلسِ

●

عاصر ابن خفاجة الدولة العامرية في بلنسية وكانت في إبّان ازدهارها عند ولادته (٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٨ م) ورافقها أربعة عقود قبل زوالها سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م)

لكنه لم يتصل بملوكها، ولا بملوك الطوائف في مدن الأندلس وحواضرها الشهيرة كمثل غرناطة وقرطبة وإشبيلية، لا لخمول في الشاعرية أو انعدام الشهرة بل لمزاج رومنسي غلب عليه وشدّه إلى أرجاء الطبيعة التي هام بها هيام عاشق متيّم، كان يصبو إلى لوحاتها في وداعة الربيع، كما يصبو إليها في مجامر صيفها وصقيع شتائها. لكنّ هذا الشغف البالغ بهياكل الجمال المشرئبة في جنبات الأندلس، والتي كان يراها في الأنجاد والوهاد، وفي الجداول والأنهار، وفي المروج السندسية والقمم الخاشعة الذاهبة في أجواء الفضاء. . . كل هذا لم يحل بينه وبين روابط الودّ والإخاء مع العديد من قادة البلاد وأمرائها الذين نالوا غير قليل من مدائحه ومراثيه الصادقة، ومن هؤلاء الأمير أبي إسحاق حين تقلّد كورة إشبيلية، والوزير محمد بن عبد الله بن ربيعة، وأبي الحسن بن الربيع صاحب قرطبة والوزير أبي محمد طاهر بن عامر.

هذا الجنوح إلى الأجواء الحالمة، وانجذاب فؤاد الشاعر إلى عوالم المرأة والطبيعة ومجالس المدام، هما التعليلان اللذان نفسّر بهما اعتبار ابن خفاجة في عداد الطبقة الثانية من شعراء الأندلس بعد ابن زيدون بخاصة. لقد تأثر المؤرخون الأندلسيون بالاعتبارات ذاتها التي سادت عمل المؤرخين المشارقة حين انطلقوا في تحديد مراتب الشعراء من منطلقات سياسية لا أدبية ولا فنية فاتخذوا سيرة الشاعر في البلاط وقدرته على نيل الحظوة عند السلاطين والملوك المعيار الأعلى للشاعرية، وعلى هذا الأساس قدّموا البحتري على ابن الرومي، كما قدّموا في الأندلس ابن زيدون على ابن خفاجة. وعندما تحرّر النقد حديثاً من تلك التبعيّة للبلاط، رأينا ابن الرومي يتربّع على عرش الشاعريّة الفذّة، فكان السبب ـ الذي حال دون تألق نجمه في عصره ـ هو عينه الذي أعاد إليه الاعتبار في عصرنا. وقل مثل ذلك في ابن خفاجة.

●

في الاعتبارات المتقدّمة نرى ابن خفاجة المدّاح والرّاثي أقل وزناً وشأناً من ابن خفاجة الوصّاف والغَزِل، ووصفه متعدّد الألوان والايقاعات، وغزله رقيق صادق المشاعر والأحاسيس ولا سيّما حين يعانق دنيا المرأة من خلال عالم الطبيعة أو يصف الطبيعة في ضوء مفاتن المرأة، دون أن يغفل ما تمده به نشوة الخمرة من الصور واللمحات العاطفية التي تشهد له برهافة الحس والذوق الرفيع، كمثل قوله:

أَلَــمّ يسقّينـــي ســلافَــةَ ريقِــهِ وطَــوْراً يحيينـــي بــآس عـــذار
فنلــتُ مــراد النّفــس مــن أقحــوانــةٍ شممـــت عليهـــا نفحـــةً لعـــرارِ
ووجـه تخـالُ الخـالَ فـي صحـن خـدّه فتـــاتَـــةُ مِسْــكٍ فــوق جــذوةِ نــارِ

●

في ديوان ابن خفاجة قيثارة متعددة الأوتار، متعددة الأصباغ والألوان، تلتقي في مقطوعاتها لا سيما الوصفية الخاطفة الأخيلة الحلوة والفكر البديعة، وتتمايس صورها بأفواف من اللفظ الجامع بين الرصانة والطرافة، فإذا نحن مع معطيات من الأصالة والإبداع، ففي جانب حبك شعري متين يجعل القصيدة بنية محكمة وطيدة العمد، ومن ناحية وشي يضفي على هذا البناء نمنمة حلوة تداعب منّا الحواس وتدغدغ مشاعرنا وتستهوى منا الأذهان والمدارك.

●

إننا إذ نضع بين أيدي القرّاء هذه الطبعة الجديدة من ديوان ابن خفاجة ـ في إطار منهجيتنا التي حافظنا على أسسها في إصدار دواوين المشاهير من شعراء العرب، ومن أهمها دقة الضبط وعدم الاجتزاء في الشروح ـ ندعو هؤلاء القرّاء إلى ولوج آفاق ابن خفاجة الوصفية المشبعة بالروح الرومنسية، البعيدة عن حدائق الصنعة والزخرفة الشكلية المتكلّفة، لأنها مغرقة في رياض الحسن، حيث الأيك والطير والجدول الثرثار، والبان قدود والأغصان قامات هيفاء، وكمائم الزهر قسمات حلوة ومفاتن غيد رافلات بالصبا مضمّخات بالطيوب.

٦ آب ١٩٩٤ م
٢ جمادى الأولى
١٤١٥هـ.

قافية الألف

(١)
خُذْها إلَيْكَ

أهدى ممدوحه مقطوعة من شعره وافتنّ في وصف محاسنها

خُـذْهـا إلَيـكَ، وإنَّهـا لَنضِيـرةٌ، طَـرأَتْ عليـك قليلـةَ النُّظَـراءِ[١]
حَملَت، وحسبُكَ بَهجةٌ من نَفحةٍ، عَبقَ العَروسِ وخجلةَ العَذراءِ[٢]
من كلِّ وارسةِ القميصِ، كأنَّما نَشأت تُعَلُّ بريقةِ الصَّفراءِ[٣]
نجَمت تروقُ بها نجومٌ، حسبها، بالأيكةِ الخضراءِ، من خَضراءِ
وأتَتكَ تُسفِرُ عن وجوهِ طَلْقةٍ، وتنوبُ من لُطفٍ عن السُّفَراءِ[٤]
يَندى بها وجهُ النَّديّ، وربَّما بسَطَت، هناكَ، أسِرَّةَ السَّرّاءِ[٥]
فاستضحكَت، وجهَ الدُّجى، مقطوعةٌ جَمُلَت جمالَ الغُرَّةِ الغَرّاءِ[٦]

---

(١) **نضيرة**: من النضارة وهي الحسن والجمال ـ **قليلة النظراء**: نادرة المثال.

(٢) **عبق العروس**: رائحتها ـ **خجلة العذراء**: حياؤها وخفرها.

(٣) **الوارس من الثياب**: الأحمر ـ **علّ**: شرب ثانية ـ **الصفراء**: الخمرة.

(٤) **تسفر**: تكشف ـ **الوجوه الطلقة**: الضاحكة.

(٥) **الأسرّة**: المضاجع، جمع سرير، والأسرة أيضاً: الخطوط التي يرسمها الجبين، جمع سرار ـ **السّرّاء**: السرور، نقيض الضّرّاء.

(٦) **الدّجى**: ظلام الليل ـ **الغرّة**: شعر مقدّمة الرأس ـ **الغرّاء**: البيضاء.

(٢)
أَبْرَقَ بهجةً

قال ابن خفاجه يصف خاتماً بديع الحسن

ومُـرَقْـرَقِ الإفـرِنْـدِ أَبْرَقَ بَهجـةً، ودَجا، فأطلعَ، في الظلامِ، ضياءَ[١]
كسَفَـت بـه، للشَّمـس، حسناً، آيـةٌ تَستـوقِـفُ الـرَّائـي لهـا، حِـربـاءَ[٢]
وتختَّمَـت، مـن فَصِّـه بغَمـامـةٍ، كَـفٌّ تكـونُ علـى السَّمـاحِ سمـاءَ[٣]
قـد صِيـغَ صِيغـةَ حِكمـةٍ، أصبَـى لهـا نفـسَ الحكيـمِ، وضـاجـعَ العَـذراءَ
مـا إن تَـرِفُّ لهـا بنَفسَجـةٌ بـه، حتـى تَـرِقَّ لهـا، فتجـري مـاءَ[٤]
وكـأنَّمـا نظَـرت بـه، يـومَ النَّـوى، عـن مُقلـةٍ، بَهِتَـت لهـا، كحـلاءَ[٥]

(٣)
طَيْفٌ آلَمٌ

قال يصف الليل والدّراري وطيف الحبيب الزائر.

ورداءِ ليـلٍ بـاتَ، فيـه مُعـانقـي، طَيـفٌ أَلَـمَّ لِظَبيـةِ الـوَعْسـاءِ[٦]
فجَمَعـتُ بيـنَ رُضـابِـه وشَـرابِـه، وشـربـتُ مـن رِيـقٍ ومـن صَهبـاءِ[٧]

---

(١) **المرقرق**: المتلألىء اسم مفعول من رقرق أي تلألأ، وترقرق الماء: جرى رقراقاً أي هادئاً غير مندفع.

(٢) **تستوقف**: تحمله على الوقوف، والعبارة كناية عن الإثارة والاستهواء ـ **الحرباء**: ضرب من الزحافات تتلوّن في الشمس.

(٣) **الفصّ**: أصل الأمر جمع فصوص، **والفص**: السن من الثوم، والفصّ أيضاً: قلب الخاتم وما يركب في الخاتم من حجارة ثمينة، والجمع فُصوص وفِصاص.

(٤) **البنفسجة**: استعارة للفص الذي هو بلون البنفسج أي قلب الخاتم ـ **يقول**: إن الكفّ التي تزينت بهذا الخاتم تجري ماء أي سخاء وكرما.

(٥) **النّوى**: البعد والفراق ـ **المقلة**: العين ـ **الكحلاء**: العين الشديدة السّواد.

(٦) **رداء الليل**: ظلامه الحالك ـ **الوعساء**: الأرض المرتفعة الليّنة، **وقوله**: ظبية يريد المحبوبة الشبيهة بالظبية.

(٧) **الرضاب**: الريق، أي ريق المحبوبة التي زاره طيفها ـ **الصهباء**: الخمرة، والمراد رضاب=

ولثَمْتُ، في ظَلماءِ لَيلةٍ وَفْرةٍ، شَفَقاً، هناك، لوجنةٍ حَمراءِ[1]
والليلُ مُشمَطُّ الذَّوائبِ، كَبرةً، خَرِفٌ يَدبُّ على عَصا الجَوزاءِ[2]
ثم انثَنى، والسُّكرُ يسحَبُ فَرعَه، ويَجُرُّ، من طرَبٍ، فُضولَ رِداءِ[3]
تَندى بفِيه أقحُوانةُ أَجرعٍ، قد غازَلَتها الشمسُ غِبَّ سَماءِ[4]
وتمِيسُ، في أثوابِه، رَيحانةٌ، كرَعَت على ظَمأٍ بجَدولِ ماءِ[5]
نفَّاحةُ الأنفاسِ، إلاَّ أنَّها، حذَرَ النَّوى، خفَّاقةُ الأفياءِ[6]
فلَوَيتُ مَعطِفَها اعتناقاً، حَسبُها فيه، بقَطرِ الدّمعِ، من أَنواءِ[7]
والفَجرُ يَنظُرُ، من وراءِ غمامةٍ، عن مُقلةٍ كُحِلَت بها زَرقاءِ[8]
فرغِبتُ عن نُورِ الصَّباحِ لنَوْرةٍ، أُغرى لها ببَنَفْسَجِ الظَّلماءِ[9]

= المحبوبة الذي يثير نشوته فكأنه يذوق مُداماً وريقاً.

(١) **اللثم**: التقبيل ـ **الوفرة**: صفة الليلة الظلماء، أي الشديدة الحلكة ـ **الشفق**: بقايا احمرار الشمس في الأفق بعد المغيب ـ **الوجنة**: الخد المشبّه لحمرته بالشفق.

(٢) **الذّوائب**: جمع ذؤابة، ضفيرة الشعر، شبه سدول الظلام بضفائر الشعر الأسود، **والليل المشمّط الذّوائب**: الذي يخالط سواده بياض ـ **يدبّ**: يمشي كالطفل على يديه ورجليه ـ **الجوزاء**: من أبراج السماء، وعصا الجوزاء من كواكب هذا البرج.

(٣) **انثنى**: مال، وتعطف بقامته ـ **الفرع**: الشعر ـ **فضول الرداء**: ذيوله.

(٤) **الأقحوانة**: واحدة نبتة الأقحوان وهي من رياحين الربيع: زهرها أكمامه كالأسنان ـ **الأجرع**: الأرض الرملية ـ **غازلتها**: داعبتها ـ **غب سماء**: أي بعد هطول المطر.

(٥) **تميس**: تتمايل ـ **الريحانة**: النبتة الفوّاحة ـ **الظمأ**: **العطش** ـ كرعت بجدول ماء: كناية عن الاخضلال بقطرات النّدى.

(٦) **نفّاحة (فعّالة)**: شديدة النفح، أي ترسل رائحتها الفائحة قويّة ـ **النّوى**: البعد ـ **الأفياء**: جمع فيء: الظلّ، والفيء أصلاً ما كان شمساً فينسخه الظلّ أي يزيله.

(٧) **لويت**: ثنيت ـ **الأنواء**: الأمطار، جمع نوء.

(٨) **المقلة**: العين.

(٩) **رغب عن الشيء**: تركه، ورغب فيه: أراده ـ **النّورة**: الزهرة البيضاءة ـ **بنفسج الظلماء**: استعارة.

(٤)
مُفْتَرَّة عن لُؤْلُؤٍ

ابن خفاجة يصف مجلس لهو في أحضان الرياض

ومَجَـرِّ ذَيـلِ غَمـامـةٍ قـد نمَّقَـت، وَشـيَ الـربيـعِ بـه، يـدُ الأنـواءِ[١]
ألقيـتُ أرحُلَنـا، هنـاك، بقُبّـةٍ مضـروبـةٍ مـن سَـرحـةٍ غنَّـاءِ[٢]
وقَسمـتُ طَـرفَ العَيـنِ بيـن رَبـاوةٍ مُخضـرَّةٍ، وقَـرارةٍ زَرقـاءِ[٣]
وشـربتُهـا عَـذراءَ، تحسِـبُ أنَّهـا مَعصـورةٌ مـن وجنتَـيْ عَـذراءِ[٤]
حمـراءُ صـافيـةٌ، تطِيـبُ بنفسِهـا وغِنـائِهـا وخـلائـقِ النُّـدمـاءِ
خُـذهـا، كمـا طَلَعـت عليـك عَـرارةٌ، مُفتـرَّةٌ عـن لـؤلـؤِ الأنـداءِ[٥]

(٥)
لِلَّهِ نَهْرٌ

يصف نهراً ينساب في البطحاء محفوفاً بأبراد من فتنة الأرض والأغصان.

لله نهـرٌ، سـالَ فـي بطحـاءِ، أَشهـى وُروداً مـن لمَـى الحَسنـاءِ[٦]
متعطِّـفٌ مثـلَ السِّـوارِ، كـأنَّـه، والـزَّهـرُ يَكنُفُـه، مَجَـرُّ سَمـاءِ[٧]

---

(١) **الغمامة**: السحابة ـ **نمقت**: نقشت وزيّنت والتنميق: تزيين الشيء لتحسينه ـ **وشي الربيع**: كناية عن رياحينه وأزهاره المختلفة الألوان ـ **الأنواء**: الأمطار.

(٢) **ألقى رحله في المكان**: حلّ به ـ **القبّة المضروبة**: جمع قباب، وهي أصلاً الخيام العالية الخاصّة بكبار القوم ـ **السّرحة**: الشجرة العالية ـ **الغناء**: الشجرة الكثيفة الأفنان.

(٣) **الرباوة**: الربوة، المرتفع، **قرارة المكان**: أرضه، وقرارة الوادي: أسفله.

(٤) **العذراء (هنا)**: الخمرة الخالصة ـ **وجنتي** مثنى **وجنة**: الخدّ، **والعذراء**: الفتاة البكر، وقد جانس الشاعر بين اللفظتين وكل واحدة ذات دلالة خاصة، وهذا الجناس تام.

(٥) **العرارة**: هي نبتة البهار الطيبة الرائحة.

(٦) **البطحاء**: مسيل الماء الواسع جمع بطائح ـ **لمى الحسناء**: كناية عن سمرة شفتيها.

(٧) **متعطف**: أي يجري متثنيا وينساب متعرّجاً كالسّوار ـ **يكنفه**: يحيط به ـ **مجرّ**: أي مجـرّة، وهي مجموعة من النجوم.

قـد رَقَّ، حتـى ظُـنَّ قُـرصـاً مُفـرَغـاً ... مــن فِضّــةٍ، فــي بُــردةٍ خَضــراءِ[1]
وغــدَت تحُـفُّ بـه الغصـونُ، كـأنَّهـا ... هُــدبٌ يحُــفُّ بمُقلــةٍ زرقــاءِ[2]
ولطــالمــا عــاطيــتُ فيــه مُــدامــةً ... صفــراءَ، تخضِــبُ أيــديَ النُّــدَمــاءِ
والـريحُ تعبَـثُ بـالغصـونِ، وقـد جـرى ... ذَهَـبُ الأصيـلِ علـى لُجَيـنِ المـاءِ[3]

(٦)

مِنْ جيادِ الماءِ

ألا يــا حَبَّـــذا ضَحِــكُ الحُمَيَّـــا ... بحــانتِهــا، وقــد عَبَــسَ المســاءُ[4]
وأدهــمَ، مــن جِيــادِ المــاءِ، مُهــرٍ ... تَنــازعُ، جُلَّــه، رِيــحٌ رَخــاءُ[5]
إذا بــدتِ الكــواكــبُ فيــه غَـرقـى، ... رأيــتَ الأرضَ تحسُــدُهــا السَّمــاءُ[6]

(٧)

أسود وبيضاء

وأســـودٍ عـــنَّ لنـــا، ســـابـــحٍ ... فـــي لُجَّـــةٍ، تَطفَـــحُ، بيضـــاءِ[7]
وإنمـــا جـــال بهـــا نـــاظـــرٌ ... فـــي مُقلـــةٍ، تنظُـــرُ، زَرقـــاءِ[8]

---

(١) **البردة**: الثوب.
(٢) **المدامة**: الخمر ـ **تخضب**: تصبغ، تلّون ـ **النّدماء**: جمع نديم، الجليس المشارك في الشّرب.
(٣) **الأصيل**: الوقت بعد العصر وقبل المغيب وقوله: ذهب الأصيل: أي شعاع الشمس الذهبي **اللجين**: الفضة.
(٤) **الحميّا**: أول الغضب وشدّته، والمراد هنا حميّا الخمر أي سورتها ـ **الحانة**: الحان أي موضع بيع الخمر، واللفظة من الحين أي الهلاك أي مهلكة لصحة المرء وماله.
(٥) **الأدهم (أصلاً)**: الجواد الأسود اللون، وهنا الليل الأسود الشديد الظلمة ـ **الريح الرخاء**: الرّيح اللينة.
(٦) **يقول**: إذا غرقت كواكب الليل في ظلامه باتت السماء المظلمة تحسد الأرض على نجومها أي ما ينبته المطر من الأزهار.
(٧) **عنّ لنا**: ظهر وبرز ـ **اللّجة**: معظم الماء ـ **بيضاءِ**: نعت أي لّجةٍ بيضاء.
(٨) **المقلة**: العين ـ **زرقاء**: نعت، أي مقلة زرقاء.

(٨)
طَوْدُ عَدَالةٍ

قالها مادحاً قاضي القضاة:

يــا نَشـرَ عَـرفِ الـروضـةِ الغَنَّـاءِ؛ ونسيـمَ ظِـلِّ السـرحـةِ العَينـاءِ[١]
هـذا يَهُـبُّ مـعَ الأصيـلِ عـن الـرُّبـى أَرَجـاً، وذلـك عـن غـديـرِ المـاءِ
عُـوجـا علـى قـاضِـي القُضـاةِ، غُـدَيَّـةً، فـي وَشْـيِ زَهْـرٍ، أَو حِلـى أَنـداءِ[٢]
وتَحمَّــلا عنّــي إليــه أمــانــةً، مــن عِلـقِ صِـدقٍ، أَو رِداءِ ثنـاءِ[٣]
فـإذا رَمـى بكمـا الصبـاحُ ديـارَه، فتَــرَدَّدا فــي ســاحــةِ العليــاءِ
فـي حيـثُ جَـرَّ المجـدُ فَضـلَ إزارِه، ومَشــى الهُــوَيْنـا مِشيــةَ الخُيَــلاءِ
وسَــرى، فجلَّــى ليــلَ كــلِّ مُلِمَّــةٍ، قمــرُ العَــلاءِ وأَنجــمُ الآراءِ[٤]
مـن مَنـزلٍ قـد شـبَّ، مِـن نـارِ القِرى، مــا شــابَ عنــه مَفــرِقُ الظَّلمــاءِ
لـو شِئـتُ طُلـتُ بـه الثُّـريَّـا قـاعـداً، ونَثَــرتُ عِقــدَ كــواكــبِ الجَــوزاءِ
ولثمــتُ ظَهـرَ يـدٍ تَنـدَّى حـرَّةً، فكــأنَّنــي قَبَّلــتُ وجــهَ سَمــاءِ
ومــلأتُ، بيــنَ جَبينــه ويمينــه، جَفنــيَّ بــالأنــوارِ والأنــواءِ
مُتهــاديــاً مــا بيــنَ أَبطَـحِ شيمــةٍ دمُثَــت، وهَضبــةِ عِــزّةٍ قَعســاءِ[٥]
كلفــاً، هنــاكَ، بغُــرّةٍ مَيمــونــةٍ، خُلِقَــت أَســرَّتُهــا مــن السَّــرَّاءِ[٦]

(١) **العَرف**: الرائحة بعامّة والرائحة الطيبة بخاصّة ـ **السرحة**: الشجرة الطويلة لا شوك فيها ـ **السرحة العيناء**: الخضراء، المورقة.
(٢) **عوجا**: الأمر من عاج (على المكان): مال وعطف ـ **غديّة**: أي غدوة، باكراً ـ **الحلى**: جمع الحلية: ما يزيّن به ـ **الأنداء**: جمع ندى، والمراد هنا الجود والفضل.
(٣) **العِلق**: النفيس، جمع أعلاق ـ **رداء الثناء**: استعارة لحسن الأحدوثة.
(٤) **جلّى الليل**: كشف ظلمته وبدّدها ـ **الملمّة**: النازلة، المصيبة ـ **يقول**: إن ممدوحه يكشف بنور مجده وضياء عقله ورأيه ظلمة الليالي والشدائد.
(٥) **الشيمة**: الخلق والطبيعة ـ **القعساء**: المنيعة.
(٦) **كلفاً**: شغوفاً ـ **الغرّة الميمونة**: يريد الطلعة المباركة ـ **السّراء**: خلاف الضرّاء، المسرة ورغد العيش.

لـو كنـتَ تُبصِـرُنـي، أدُورُ إزاءَهـا، لنَظـرتَ مـن شَمـسٍ ومـن حَـربـاءِ
أرسـى بـه، فـي اللّـهِ، طـودُ سكينـةٍ وعـدالـةٍ، وامتـدَّ حبـلُ رَجـاءِ[1]
خَلَـعَ القضـاءُ عليـه خِلعـةَ سُـؤدَدٍ، غَنِيَـت بِشُهـرَتِهـا عـن الأسمـاءِ
عَبِـقَ الثَّنـاءُ نَـدى الحيـا، فكـأنَّـه رَيحـانـةٌ مطلـولـةُ الأفيـاءِ[2]
أبـداً لـهُ، فـي الله، وجـهُ بشـاشـةٍ، ووراءَ سِتـرِ الغَيـبِ، عيـنُ ذَكـاءِ
قـد راقَ، بيـن فَصـاحـةٍ وصبـاحـةٍ، سَمْـعُ المُصيـخِ لـه، وعيـنُ الـرائـي
وكـأنَّـه، مِـن عـزمـةٍ فـي رَحمـةٍ، مُتـركِّـبٌ مـن جُـذوةٍ فـي مـاءِ
بيـن الطَّـلاقـةِ والمَضـاءِ، كـأنَّـه وَقَّـادُ نَصـلِ الصَّعـدةِ السَّمْـراءِ
لـو شـاءَ نَسْخَ الليـلِ صُبحـاً لانتَحـى، فمَحـا سَـوادَ اللَّيلـةِ اللَّيـلاءِ
تُثنـي بـه ريـحُ المَكـارمِ خُـوطَـةً، فـي حيـثُ تَسجَـعُ ألسُـنُ الشُّعَـراءِ
وكـأنَّـه، وكـأنَّ رَجـعَ نشيـدهِ، فصـلُ الـرَّبيـعِ ورنَّـةُ المُكَّـاءِ[3]

(٩)

قُلْ لِلْمريضِ

أَلا قُـلْ لِلمَـريـضِ القَلـبِ مَهـلاً، فـإنَّ السَّيـفَ قـد ضَمِـنَ الشِّفَـاءَ
ولَـمْ أَرَ، كـالنِّفـاقِ، شَكـاةَ غِـرٍّ، ولا كَـدَمِ الـوَريـدِ لـه دَواءَ[4]
وقـد دمَّـى النَّجيـعُ، هنـاكَ، أَرضـاً، وقـد شَمَـلَ العَجـاجُ بـه سَمـاءَ[5]
ودِيـسَ بـهِ، انحطـاطـاً، بَطـنُ وادٍ، مُـذ أَغْشَـبَ شَعـرُ لِحيَتِـهِ ضَـراءَ[6]

(١) **الطود**: الجبل الراسخ.
(٢) **عبقَ**: فاح وانتشر ـ **الأفياء**: الظلال، جمع فيء، وقوله مطلولة: أي ندية من الطلّ وهو النّدى، والطل أيضاً الحَسَن والمعجب.
(٣) **رجع الشيء**: صداه ـ **الرنّة**: المرّة من رنّ رنيناً: رفع صوته بالبكاء، صاح ـ **المكاء**: طائر من القنابر يصعّد في الجوّ، جمع مَكاكيّ.
(٤) **الشكاة**: العيب ـ **الغرّ**: الشابّ الذي لا خبرة له.
(٥) **النجيع**: الدم ـ **العجاج**: الغبار.
(٦) **ديس**: المجهول من داس أي وطىء ـ **الضراء** (هنا): الشجر الملتفّ، والضراء أيضاً: =

(١٠)

يا ضَاحِكاً

يـــا ضــاحِكــاً مــلءَ فيــه جَهــلاً، أحســـنُ مـــن ضَحْكِـــكَ البُكـــاءْ
وَهَنْـــتَ حِسّـــاً، وهُنـــتَ نَفْســـاً، فـــلا ذَكـــاءَ، ولا زَكـــاءْ[(١)]

(١١)

لا تَذْكو نارُه

نَبِّـه وَلِيـدَكَ، مــن صِبـاه، بـزَجـرةٍ، فلــربَّمــا أغفــى، هنــاك، ذَكــاؤهُ[(٢)]
وانَهـــرْهُ حتـــى تستهِـــلَّ دُمـــوعُـــه فـــي وَجنَتَيـــهِ، وتَلتظِـــي أحشـــاؤهُ[(٣)]
فــالسيـفُ لا تَــذكــو، بكفِّــكَ، نــارُه، حتـــى يسِيـــلَ بصَفحَتَيـــه مـــاؤهُ[(٤)]

(١٢)

كَفَى اكتِئاباً

قال ابن خفاجة هذه القصيدة يرثي الوزير أبا محمد عبد الله بن ربيعة:

فـــي كـــلِّ نـــادٍ منـــكَ رَوضُ ثَنـــاءِ، وبِكُـــلِّ خَـــدٍّ فيـــك جَـــدوَلُ مـــاءِ
ولِكـــلِّ شَخـــصٍ هِـــزَّةُ الغُصـــنِ النَّـــدِي، غِـــبَّ البُكـــاءِ، ورِنَّـــةُ المُكَّـــاءِ
يـــا مَطلَـــعَ الأنـــوارِ! إنَّ بمُقلَتـــي، أسَفـــاً عَليـــكَ، كَمَنْشـــإِ الأنـــواءِ[(٥)]

= الاستخفاء، يقال يمشي الضراء: إذا مشى مستخفياً.

(١) **وهن**: ضعف ـ **هنت**: أصابك الهوان أي الذلّ جانس في هذا البيت بين وهَنْت وهُنْتَ، وبين الزكاء وهو الفطنة والذكاء وهو النمو.

(٢) **الزجرة**: اسم المرّة من زجر أي ردع ونهى.

(٣) **انهره**: ازجره ـ **تلتظي**: تتوقد وتستعر ناراً ـ

(٤) **تذكو النار**: تضطرم.

(٥) **الأنواء**: جمع نوء المطر **وأصل النوء** عند العرب سقوط نجم وطلوع نجم يقابله فسمي نوءاً لأنه إذا سقط الغارب **ناءَ الطالع** أي نهض، وعند سقوط النجم كان القوم ينتظرون هطول مطر أو هبوب رياح.

وكَفـــى أَسًـــى لا سَفيـــرٌ بَيْنَنـــا ... يَمشِـــي، وأَنْ لا مَـــوعِـــدٌ لِلقـــاءِ
فِيـمَ التَّجَمُّـلُ فـي زَمـانٍ بَـزَّنـي ... ثـوبَ الشَّبـابِ، وحِليَـةَ النُّبَـلاءِ[1]
فعَـرِيـتُ، إلاَّ مِـن قِنـاعِ كَـآبَـةٍ، ... وعَطِلْـتُ، إلاَّ مـن حُلِـيِّ بُكـاءِ
فـإذا مَـررتُ بمَعْهـدٍ لشَبيبـةٍ، ... أو رَسْـمِ دارٍ، للصـديـقِ، خَـلاءِ
جـالَـتْ بطَـرفِـي، للصَّبـابـةِ، عَبـرَةٌ، ... كـالغَيـمِ رَقَّ، فَحـالَ دونَ سَمـاءِ
ورَفعـتُ كفِّـي بيـنَ طَـرفٍ خـاشـعٍ ... تَنـدى مَـآقيـه، وبيـنَ دُعـاءِ
وبَسطـتُ، فـي الغَبـراءِ، خَـدِّي ذِلَّـةً، ... أَستَنـزِلُ الـرُّحمـى مـنَ الخَضـراءِ[2]
مُتَمَلمِـلاً أَلَمـاً بِمصـرَعِ سَيِّـدٍ، ... قـد كـانَ سـابِـقَ حَلبَـةِ النُّجَبـاءِ[3]
لا، والـذي أَعلَقـتُ، مِـن تقـديسـه، ... كَفِّـي بِحَبلَـيْ عِصمَـةٍ ورَجـاءِ
وخـررتُ بيـن يـديـه، أَعلَـمُ أنَّـه ... ذُخـرِي، لِيَـومَـيْ شِـدَّةٍ ورخـاءِ[4]
لا هَـزَّنـي أَمَـلٌ، وقـد حَـلَّ الـرَّدى ... بـأبـي مُحمَّـدٍ المَحـلَّ النـائِـي
فـي حيـثُ يُطفَـأُ نُـورُ ذاكَ المُجتلَـى، ... وفِـرنـدُ تِلـكَ الغُـرَّةِ الغَـرَّاءِ[5]
وكَفـى اكتِئـابـاً أَنْ تَعِيـثَ يـدُ البِلـى، ... فـي مَحْـوِ تِلـكَ الصُّـورَةِ الحَسنـاءِ
فَلَطـالَمـا كُنَّـا نُـريـحُ بظِلِّـهِ، ... فنُـريـحُ منـهُ بسَـرحَـةٍ غنَّـاءِ
فتَقتْ، على حُكمِ البشاشةِ، نَورَها، ... وتَنَفَّسـتْ فـي أَوجُـهِ الجُلَسـاءِ
تَتفَـرَّجُ الغَمَّـاءُ عنـهُ، كـأنَّـه ... قَمَـرٌ، يُمـزِّقُ شَملـةَ الظَّلمـاءِ[6]

---

(١) **الحلية**: ما يتزيّن به ـ **يسخط على الزمان** لأنه يسلبه رداء الشباب وزينة النبلاء، مكنّياً بذلك عن رزئه بصديقه الوزير.

(٢) **الرحمى**: رقة القلب والانعطاف الذي يوجب المغفرة والإحسان.

(٣) **متململ**: اسم فاعل من تململ: أي سئم وضجر ـ **الحلبة**: الخيل الجارية في الرهان.

(٤) **الذّخر**: ما يذّخر لوقت الشدّة ـ الشدّة والرخاء طباق.

(٥) **الفرند**: جوهر السيف ووشيه، والسيف الفرند: الذي لا مثيل له، واللفظة معرّب «برند» الفارسية ـ **الغرّة**: **الغرّاء**: الطلعة الحسنة.

(٦) **الغماء**: الليلة المظلمة الطامسة الهلال ـ الشملة: الثوب وشملة الظلماء رداؤها من باب الاستعارة.

قـاسمـتُ فيـهِ الـرُّزءَ أكـرمَ صـاحِـبٍ، فمضـــى ينـــوءُ بـــأثقـــلِ الأعبـــاء
يهفُــو، كمـا هفَـتِ الأراكَـةُ، لـوعَـةً، ويُـــرِنُّ، طَـوراً، رِنَّــةَ الــوَرقــاء[1]
عَجَبـاً لهـا، وقَـدَتْ، بصَـدرٍ، جَمـرَةً، وتفجَّـــرَت، فــي وَجنَــةٍ، عـــن مـــاء
ولئـــن تَـــراءى الفَـــرقـــدانِ بنـــا مَعـــاً، وكَفَـــاكَ شُهـــرَةَ سُـــؤدُدٍ وعَـــلاءِ
فَلَطـــالَمـــا كنَّـــا نَـــرُوقُ المُجتَلـــي، حُسنـــاً، ونَمـــلأُ نـــاظِـــرَ العَليـــاء
يُـزهـى بنـا صَـدرُ النَّـدِيِّ، كـأنَّنـا، نَسَقـــاً، هُنـــاكَ، قِـــلادةُ الجَـــوزاء[2]

(١٣)

يَوْمُ رُزْءٍ فادح

قالها يرثي أم قاضي القضاة الفقيه أبي أميّة.

فـــي مثلِـــه، مـــن طـــارقِ الأرزاءِ، جـــادَ الجَمـــادُ بعَبـــرةٍ حَمـــراءِ[3]
مـــن كـــلِّ قـــانيـــةٍ، تسِيـــلُ كـــأنَّهـــا شُهـــبٌ، تَصَـــوَّبُ مـــن فُـــروجِ سَمـــاءِ[4]
تحمَـــى، فتَغـــرَقُ مُقلـــةٌ فـــي جـــاحِـــمِ منهـــا، وتُحـــرَقُ وجنـــةٌ فـــي مـــاءِ[5]
مَحـــتِ الكـــرى بيـــن الجفـــونِ، وربَّمـــا غسَلَـــت سَـــوادَ المُقلـــةِ الكَحـــلاءِ
لا تُـــورِثُ الأحشـــاءَ إلاَّ غُلَّـــةً، والمـــاءُ يَنقَـــعُ غُلَّـــةَ الأحشـــاءِ[6]
أَهـــوِلْ بـــه مـــن يـــومِ رُزءٍ فـــادحٍ، سَحَـــبَ الصبـــاحُ بـــه ذُيـــولَ مســـاءِ
متـــلاطِـــمُ الأحشـــاء، تحسَـــبُ أنَّـــه بحـــرٌ طَمـــى، متـــلاطـــمَ الأرجـــاءِ[7]

---

(١) **الأراكة**: واحدة الأراك وهو شجر يستاك بأغصانه ـ يرن: ينوح ـ **الورقاء**: الحمامة.

(٢) **القلادة**: ما يجعل في العنق من الحلي، **وقوله**: قلادة الجوزاء إشارة إلى واحد من الكواكب الستة المعروفة بالقوس.

(٣) **الأرزاء**: المصائب جمع رزء ـ **العَبرة** (بفتح العين): الدمعة.

(٤) **القانية**: أي الدمعة القانية أي الحمراء ـ **تصوّب**: من صوّب السهم: سدّده ـ **الفروج**: جمع فرج وهو الثغرة أو الخلل بين شيئين.

(٥) **الجاحم**: الجمر المتوقد ـ **الوجنة**: الخدّ.

(٦) **الغلّة**: الظمأ الشديد، والمقصود هنا غلّة الحزن ـ **ينقع الماء الغلّة**: يروي الظمأ.

(٧) **طمى البحر**: علا موجه ـ **الأرجاء**: الجوانب.

جمعَ الحِدادَ إلى العَويل، فما ترى، ... في القومِ، غيرَ حمامةٍ ورقاءِ
من ماسحٍ عن وجنةٍ ممطورةٍ، ... أو رافعٍ من زفرةٍ صُعَداءِ
وكأنما يَسقي، بما يَبكي، ثَرى ... ما قد ذوى من دَوحةِ العلياءِ(١)
ولئِن جَزِعتَ ليومِ أُمِّ بَرَّةٍ، ... نشأت تطولُ أكابرَ الآباءِ
تصِلُ الدُّعاءَ إلى البُكاءِ، كأنَّما ... تَرمي السماءَ بمُقلةٍ مَرهاءِ(٢)
فلمِثلِه من يومِ خَطبٍ نازلٍ، ... جَمَّت دموعُ أفاضلِ الأبناءِ(٣)
فاسمَح بأعلاقِ الدُّموعِ، فإنَّما ... تُقنى دموعُ العينِ للبُرَحاءِ(٤)
واهتِف، بما تشكو إليها، لوعةً، ... إن كان يُصغي هالكٌ لِنداءِ
واقرَع لها بابَ السماءِ بدَعوةٍ، ... تستمطرُ الخضراءَ للغَبراءِ
حتى تجودَ بكلِّ عارضِ رحمةٍ، ... تستضحكُ الأنوار للأنواءِ
زجِلِ الرُّعودِ، كأنما مَسَحت به ... كفُّ الصَّبا عن ناقةٍ عُشَراءِ(٥)
فبمثلِها، من تُربةٍ قد قُدِّسَت، ... نثَرَ النسيمُ قَلائدَ الأنداءِ
وسرى يمرّغُ، خدَّهُ، قمرُ الدُّجى، ... ويُذيلُ فضلَ ضفيرةِ الجَوزاءِ(٦)
ولئِن صَبَرتَ، وصبرُ مثلِك حِسبةٌ، ... فلقد أخذتَ بشيمةِ النُّبَلاءِ
من كلِّ ماضي العزمِ، يُهوي، بالأسى، ... عن هَضبةٍ، من صبره، خَلْقاءِ(٧)

---

(١) **ذوى**: ذبل ـ **دوحة العلياء**: تمثيل لرفعة الشأن، والدوحة أصلاً: الشجرة العظيمة.
(٢) **المقلة**: العين ـ **المقلة المرهاء**: البيضاء غير المكتحلة من مرهت العينُ: إذا فسدت وابيضت بواطن أجفانها بترك الكحل.
(٣) **الخطب**: الأمر الجلل، المصيبة الفادحة ـ **جمت الدموع**: عظمت.
(٤) **الأعلاق**: جمع علق، النفيس من كل شيء، والمراد هنا الدموع الغوالي ـ **تقنى**: تجمع ـ **البرحاء**: الشرّ والأذى، وحالة الشدّة.
(٥) **الزجل من الرعود**: الرعد القوي الصوت ـ **العشراء**: النّاقة في الشهر العاشر من حملها.
(٦) **مرّغ يمرّغ خدّه (في التراب)**: قلّبه به، **ومرّغ قمر الدجى خدّه**: استعارة أراد بها الدلالة على البهاء والحسن ـ **الضفيرة أصلاً**: خصلة الشعر وضفائر الجوزاء مجموعة كواكب.
(٧) **الهضبة الخلقاء**: الملساء.

كشفَت لـه الأيـامُ عـن أسـرارِهـا، … فـرأى جَلـيَّ عـواقـبِ الأشيـاءِ
لـم يَثـنِ، فـي السَّـرَّاء، مـن تيـهٍ بهـا، … أعطـافَـه، فيخـورَ فـي الضَّـرَّاءِ[1]
مـا ارتـابَ أنَّ سـرورَه لكـآبـةٍ، … يـومـاً، وأنَّ بقـاءَه لفَنـاءِ
فكـأنَّـه، والعِيـسُ تبسُـطُ خَطـوَه، … قـد بـانَ مُـرتحـلاً عـن الأحيـاءِ
فلـربَّ رَكـبٍ للـرَّدى تحـتَ السُّـرى، … ضـربـوا قِبـابَهـم بهـا لِثَـواءِ[2]
متـوسِّـديـن بهـا التُّـرابَ، كـأنَّهـم … لـم يَـرتَعُـوا فـي زَهـرةِ النَّعمـاءِ
صَـرعـى، فـلا قلـبٌ لغيـرِ صَبـابـةٍ، … يُـذكَـى، ولا عَيـنٌ لغيـرِ بُكـاءِ
مـا شِئـتَ مـن قُـرَنـاءِ خَيـرٍ، أعصفَـت … ريـحُ الـرَّدى بِهـمُ، ومـن قُـرَبـاءِ[3]
مُلِئـت بهـم عينـي دمـوعـاً، كلَّمـا … مُلِئـت عيـونُهـمُ مـن الإغفـاءِ
وكفـى أسـىً وصبـابـةً أن أُنـزِلـوا، … وهـمُ الأقـاربُ، مَنـزِلَ البُعَـداءِ
بَـدداً بمَسـرى كـلِّ ريـحٍ عـاصـفٍ، … ومَصـابِ كـلِّ غَمـامـةٍ هَطـلاءِ
ألـوَى بهـم، ولكـلِّ جَنـبٍ مصـرعٌ، … داءٌ عَيـاءٌ، عـزَّ كُـلَّ دواءِ[4]
وطـوى القـرونَ بحيـثُ صُمَّـت عنهـمُ … أُذنُ المُصِيـخِ، وكَـلَّ طـرفُ الـرائـي
ولئِـن سطـا، والفـاصـلاتُ كثيـرةٌ، … فلقـد سطـا بقليلـةِ النُّظَـراءِ[5]
ونَجيبَـةٍ، جـاءَتْ بـأوحَـدِ أمجَـدٍ، … قـد فـاتَ طَـوْلاً أَيْـدِيَ النُّجَبـاءِ[6]
مُتَقَلِّـبٌ، فـي الله، بيـنَ بَشـاشَـةٍ … يَنـدى الهَشِيـمُ بهـا، وبيـنَ مَضـاءِ[7]
لَـدنٌ كَمَطلُـولِ النَّسيـمِ، وتـارَةً … خَشِـنٌ كَصَـدرِ الصُّعـدَةِ السَّمـراءِ[8]

---

(١) **السّرّاء**: خلاف الضرّاء المسرّة ورغد العيش ـ **ثنى أعطافه تيها**: بدا مزهواً مختالاً.
(٢) **الردى**: الموت ـ **الثواء**: الإقامة.
(٣) **القرناء**: جمع قرين، النظير والصاحب المماثل.
(٤) **ألوى به الداء**: أهلكه ـ **الداء العياء**: العضال، الذي يستعصي على العلاج.
(٥) **سطا يسطو به وعليه**: وثب عليه وقهره، وسطا الفرسُ: ركب رأسه.
(٦) **الطول**: القدرة، الفضل، الغنى.
(٧) **الهشيم**: النبت اليابس المتكسر، وقوله يندى الهشيم أي يصير ندياً، يبتل.
(٨) **اللدن**: الطري، الناعم ـ **المطلول من النسيم**: النسيم النّدي ومطلول: اسم مفعول من طلّت=

فـــي مقعَــدٍ وَسِــعَ الأنــامَ عَــدالَــةً، وسَمــا، فَــزاحَــمَ مَنكِــبَ الخَضــراءِ
يَستَنــزِلُ الأرْوى، هنــاك، سَكِينَــةً، ويَــروعُ قَلــبَ الصَّخــرةِ الصَّمَّــاءِ[1]
عَــدلٌ، يظَــلُّ بظِلِّــهِ ذِئــبُ الغَضــا جــاراً، هنــاكَ، لِظَبيَــةِ الــوَعســاءِ
وكَفــاهُمــا أن يخلُــوَا بــأراكَــةٍ، عِنــدَ المَقيــلِ، ويَشــربــا مــن مــاءِ
وإلَيــكَ، مِــن حُــرِّ الكَــلامِ، عَقِيلَــةً قَصَــرَتْ خُطــاهــا خَجلَــةُ العَــذراءِ[2]
نَشــأتْ، وشُقــرٌ دَارُهــا، فكــأنَّمــا وَرَدَتــكَ زائِــرةً مــن الــزَّوراءِ[3]
رَقَّتْ، وقـد عَلِمَت بمـوضِـع حُسنِهـا، فـأتَتــكَ تمشِي مِشيــةَ الخُيَــلاءِ[4]

= طلا (السماءُ): الأرضَ: قطرت عليها الطلّ وهو المطر الضعيف.

(١) **الأروى**: ضأن الجبل، جمع الأروية، واللفظة للمذكر والمؤنث ـ **يروع**: يفزع ـ **الصخرة الصمّاء**: الصخرة الصلبة.

(٢) **العقيلة** (من النساء): الكريمة، المحصّنة، والعقيلة هنا صفة القصيدة من باب المجاز، أي القصيدة الفريدة. ـ **الخَجْلة**: المرّة من الخجل، الحياء.

(٣) **شقر**: اسم مدينة من مدن الأندلس ـ الزوراء: من أسماء بغداد.

(٤) **الخيلاء**: الزّهو.

قافية الباء

(١٤)
عرفَتْ قدرَه دَوْلَةٌ

قال هذه القصيدة مادحاً الفقيه أبا العلاء بن زهير

شـــأوتُ مَطـــايـــا الصِّبَـــا مَطلبَـــا ، وطُلـــتُ ثَنـــايـــا العُلـــى مَـــرقَبـــا[1]
وأقبلـــتُ، صَـــدرَ الـــدُّجـــى، عَـــزمـــةً، تُـــوطِّـــىءُ ظَهـــرَ السُّـــرى مَـــركبـــا[2]
فجبـــتُ، إلـــى سُـــدفـــةٍ، سُـــدفـــةَ، وخُضـــتُ، إلـــى سَبْسَـــبٍ، سَبسبـــا[3]
وقلـــتُ، وقـــد شـــاقَنـــي مُلتقَـــى شمِيـــمِ العَـــرارِ، وبَـــردُ الصَّبـــا :
خليلـــيَّ مـــن حِمْيـــرٍ حـــدِّثـــاً أخـــاً شَيْبـــةٍ عـــن ليـــالـــي الصِّبـــا
وبُـــلاَّ، بـــذِكـــرِ الهَـــوى، غُلَّـــةً بصَـــدرِ كـــريـــمٍ صَبَـــا مـــا صَبَـــا
ولا غـــامَ، مـــا غـــامَ، حتـــى انجَلـــى، فـــأضحَـــى، ولا انقـــادَ حتـــى أَبَـــى[4]

---

(١) **شأوت**: من شأى أي سبق ـ **المطايا**: ما يمتطى من الخيل والنوق جمع المطيّة ـ ومطايا الصّبا: استعارة ـ **الثنايا**: جمع ثنية، الطريق، العقبة ـ **وطلت الثنايا**: أي تغلبت على صعابها وفي هذا افتخار بقدرته وفضله.

(٢) **صدر الدّجى**: أوائل الليل ـ **وطّأ الظهر**: جعله وطيئا، أي سهَّلَهُ.

(٣) **جبتُ**: من جاب المكان: طاف به، تجوّل فيه ـ السّدفة: الظلمة ـ **السبسب**: الفلاة القاحلة لا نبت ولا ماء فيها، المفازة.

(٤) **غام**: من الغيم، مثل بذلك للغمّ والأسى ـ **انجلى الغيم**: انكشف، انقشع وتبدّد ـ **أبى**: من الإباء وهو الكبر والأنفة.

وحَـنَّ هـديـلٌ علـى بـانـةٍ، تصـدَّى خطيبـاً بهـا أخطَبـا
فـأذكَـرَنـا ليلـةً بـاللِّـوى، وعَهـداً بعَصـرِ الصِّبـا أطـرَبـا
ومـاءً، بـوادي الغَضـا، سَلسـلاً، ومُـرتَبَعـاً، بـالحِمَـى، مُعشِبـا
ليـالـيَ، عَهـدِي بنـا فتيـةً، وعهـدي بـأحبـابِنـا رَبـرَبـا[1]
ومـا كـانَ أعطـرَ تلـك الصَّبـا؛ وأنـدَى معـاطِـفَ تلـك الـرُّبـى
وأطيـبَ ذاك الجَنـى روضـةً؛ ورشفـةَ ذاك اللِّمـى مَشـرَبَـا
فحـرَّكَ، مـن سـاكـنٍ، كـامـنٌ، تَعـاطـي حـديـثٍ يَحُـلُّ الحُبَـى
ولـم يَـكُ يَعـرِفُنـي أمـرداً، طـريـراً، ويُنكِـرُنـي أشيَبـا[2]
فكِـدتُ، ودونَ الصِّبـا شَيبـةٌ، أَجُـرُّ، هنـالـك، مـا أذهَبـا
وقلـتُ، وحـبُّ الـدُّمـى ذنبُـه: ألا غَفَـرَ اللهُ مـا أذنَبَـا
وصعَّـدتُ، عـن حبِّـه، زَفْـرةً، يَكـادُ لهـا الصـدرُ أن يَلهَبـا
وأغـربَ، مـن لـوعـةٍ، مَـدمَـعٌ إذا لجَلَجَـت لـوعـةٌ أعـربـا[3]
وَرَدْعُ أصيـلٍ لَـوى مَعطِفـي، ففضَّضـت بـالـدمـع مـا ذَهَّبـا[4]
وشَعشَعـتُ منـه، بظَهـرِ النَّقـا، شَـرابـاً أُرَقـرِقُـه أصهبـا
وأعـوَلـتُ أنـدُبُ عصـراً خَـلا؛ وقصْـرُ ابـنِ ستّيـنَ أن يَنـدُبـا[5]
وشبَّبـتُ أطـرَبُ لا عـن هـوًى؛ وهـل يَطـرَبُ المـرءُ إن شَبَّبـا؟
لـكَ الخيـرُ، شِخْـتُ سِـوى مِقْـولٍ نبيـلٍ، يـذهِّـبُ مـا هـذَّبـا

---

(١) **الربرب**: القطيع من الظباء أو بقر الوحش، والمراد الكوكبة من الأقران والأحبّة.
(٢) **الأمرد**: الذي لم يطر شاربه ـ **الطرير**: الذي نبت شاربه.
(٣) **أغرب الدمع**: سال وانسكب غزيراً، من أغرب الحوض ملأه ـ **لجلج في الكلام لجلجة**: تردّد فيه ـ **ولجلج شيء في صدره**: تردّد ـ **اللوعة**: حرقة القلب ـ **أعرب كلامه**: حسّنه، أفصح.
(٤) **الردع**: أثر الطيب في الجسد، **والردع**: الزعفران وهو المقصود ـ **فضّض الشيء**: طلاه بالفضّة، **وفضّض بالدمع**: كناية عن البكاء وفي العبارة تمثيل الدمع لنقائه بالفضّة ـ **ذهّب الشيء**: جعله مطلياً بالذّهب.
(٥) **أندب**: أبكي متفجعاً ـ **خلا**: مضى.

فصـــارَ يـــذكِّــرُنــي مــا يســرُّ، كــلامٌ، إذا مــا طَــرى، طَــرَّبــا[١]
كـــلامٌ يَجِـــدُّ بلُـــبّ الفَتـــى ذَهـــابـــاً، إذا شـــاء أن يَلعبَـــا[٢]
تحمَّـــلَ مـــا شـــاء مـــن رِقَّـــةٍ، فحيَّـــا، عـــن المَشـــرقِ، المَغـــرِبـــا
وكـــادَ بمـــا فيـــه، مـــن بَلَّـــةٍ، يَســـومُ الصحِيفـــةَ أن تُعشِبـــا
فللّـــه قَـــولـــيَ مَـــا أَهـــذبَـــا؛ ولله لَفظـــيَ مـــا أعـــذَبـــا
ولله دَرُّ أَخـــــي ســـــودَدٍ، رســـا هضبـــةً، وسَـــرى كـــوكَبـــا
تصـــوبُ السمـــاءُ، إذا مـــا حبَـــا؛ ويَمثُـــلُ رَضـــوى، إذا مـــا احتبـــى
وتغْشـــو الضيـــوفُ إلـــى نـــارِه، فتَلقـــى، هنـــاك، ألا مَـــرحَبـــا
وتمضِـــي بـــه، فـــي الـــوغـــى، نَجـــدةٌ مضـــى السيـــف، فـــي كفِّـــهِ أو نَبـــا
فتـــرضـــى الصـــوارِمُ عنـــه أخـــاً؛ وتشكُـــرُ منـــه المعـــالـــي أَبـــا
وقـــد لثَـــم النَّقـــعُ أُســـدَ الشَّـــرى، وكـــرَّت بهـــا الخيـــلُ تَعـــدُو تُبـــا[٣]
فلـــم تَـــرَ إلّا نجيعـــاً جـــرى، ورُمحـــاً تَشظَّـــى، وطِـــرفـــاً كَبـــا[٤]
لقـــد عَـــرفَـــت قـــدرَه دولـــةٌ، تُفـــدِّي بـــه الأكـــرَمَ، الأنجَبـــا
وتَعتـــدُّهُ المُنتقـــى، المُتَّقـــى علـــى الخيـــرِ، والحُـــوَّلَ القُلَّبـــا[٥]
تَقِـــلُّ الـــوِزارةُ فـــي حقِّـــه، وتَنـــزِلُ، عـــن قَـــدرِه، مَنصِبـــا
تطـــولُ السمـــاءُ بـــآبـــائِـــه، وتُحصـــي بهـــم كـــوكبـــاً كـــوكبـــا
وتنقـــادُ غُـــرُّ المعـــالـــي لـــه، فيقتـــادُهـــا مِقْنَبـــاً مِقْنَبـــا[٦]

---

(١) **طرى الكلام**: أقبل ـ **طرّب**: حمل على الطرب.
(٢) **اللبّ**: العقل **وجدّ بلبّه ذهاباً**: استحوذ على عقله، أفقده وعيه.
(٣) **النقع**: الغبار ـ **تعدو**: تركض، **التبا**: من تبا تبوا: إذا غزا وغنم.
(٤) **النجيع**: الدم ـ **تشظّى**: انشقّ ـ الطرف: الكريم الطرفين أي الأب والأم ـ كبا: سقط.
(٥) **المنتقى**: المصطفى ـ **الحوّل**: الخبير بتقلّب الأحوال والقلّب بالمعنى نفسه: العالم بتقلب الأوضاع.
(٦) **يقتادها**: يقودها ـ **المِقنب**: **(بكسر الميم)**: الجماعة من الخيل المتحفّزة للغارة.

ويَـلأمُ شتَّـى العُلـى والحِلـى، على حيـنَ أَصبَحـن أَيـدي سَبـا[1]
وحسبُ المنى أَنْ سَرى مَوعـدٌ، كفيـلٌ بنيـلِ المُنـى مَطلَبـا
تـوالَـت رِقـاعُـك، تَتـرى بـهِ، وشُكـري لهـا مـوكِبـاً مـوكِبـا
وغيـريَ مَـن غَـرَّه مَـوعِـدٌ، يَشِيـم بـه بـارِقـاً خُلبَّـا[2]
فخُـذهـا إِليـكَ تهـزُّ الفَتـى، ومـن شِيمـةِ الـراح أَن تُطـربـا
خصَصـتُ الأخـصَّ بهـا أَثـرةً؛ وحيَّيـتُ، بـالأطيـبِ، الأطيبـا
وسُمـتُ البـراعـةَ أَن تَنكفـي، وذلَّـقَ اليَـراعـةِ أَن تكتُبَـا
وأَجـرَيـتُ مـن مُـدَّةٍ أَدهمـاً؛ ووقَّـرتُ، مـن مُهـرَقٍ، أَشهبَـا
تـركـتُ القلـوبَ لـه مَـربطـاً، وصَـدرَ النَّـديِّ بـه مَلعبـا

(١٥)
شابَتْ نَواصي الغصون

يصف لهوه في ليلة مثلجة

ألا فضَلـت، ذَيلَهـا، ليلـةٌ، تجُـرُّ الـرَّبـابُ بهـا هَيـدَبـا[3]
وقـد بَـرقـعَ الثَّلـجُ وجـهَ الثَّـرى، وأَلحَـفَ غُصـنَ النَّقـا، فـاحتَبـى[4]
فشـابَـت، وراءَ قِنَـاعِ الظَّـلام، نـواصـي الغصـونِ، وهـامُ الـرُّبـا[5]
فمَهمـا تيمَّمـتُ خَمَّـارةً، ركِبـتُ إلـى أشقـرٍ أَشهبَـا[6]

---

(١) أصبحن أيدي سبا: أي تفرّقن، وتبدّد شملهنّ.
(٢) البارق الخلّب: أي السّحاب الذي يبرق ولكنّه لا يمطر.
(٣) فضله فضلاً: غلبه في الفضل ـ الرباب: الأبيض من السحب ـ الهيدب: السحاب المنخفض الداني من الأرض.
(٤) برقع الثلج وجه الثرى: غطاه ببرقع من نسجه ـ ألحف الغصن: ألبسه لحافاً، كساه ـ احتبى (أي الغصن) بالثوب: اشتمل به، تلفّف به.
(٥) نواصي الغصون: أعاليها، والنّاصية أصلاً شعر مقدّم الرأس ـ الهام: جمع هامة ـ الرأس.
(٦) تيمّم: قصد، ذهب نحو المكان ـ الأشقر: الخمر، من باب المجاز ـ والأشهب: الثلج ـ يقول إنه ذهب إلى حانة الخمر وقد علا الثلج الدروب والمسالك.

وحيَّيــــتُ جـــانبَهـــا طــــارقــــاً، فقـــالــت تُجيـــب: ألا مَــرحَبـــا[1]
وقَـــامَــت بـــأجيَـدَ، مــن كــأسِهـــا، لأوقَــصَ، مِــن دَنِّهـــا، أحــدَبـــا[2]
فجــــــاءَت بحمــــــراءَ وقّــــادةٍ، تَلَهَّـــبُ فـــي كــاسِهـــا كــوكَبـــا[3]
عَثــرْتُ بــذيــلِ الــدُّجــى دونَهـــا، فــأضحَكــتُ ثغــراً لهـــا أشنبـــا[4]
وقــد مَســحَ الصُّبــحُ كُحــلَ الظــلامِ، وأَطلــع فَــودُ الــدُّجــى أشْيَبـــا[5]

(١٦)

يُطارِدهُ بارقٌ

ألا زاحــمَ الليـــلَ بـــي أشقـــرٌ، تَصــوَّبَ، تحــتَ الــدُّجى، كــوكبـا[6]
فكـــادَ، وقــد طــارَ بـــي شُعلـــةً، علـــى فَحْمـــةِ الليـــلِ أن تَلهَبـــا
وبـــــاتَ يطــــاردُه بــــارقٌ، أحَـــالَ غُـــرابَ الـــدُّجـى أشهبَـــا[7]
فــذهَّـــبَ، ليــلَ السُّــرى، عـــارضٌ، يفضِّـــضُ بـــالمـــاءِ مـــا ذهَّبـــا[8]
فـــأعشَـــبَ مـــا جـــادَ مـــن تَلعـــةٍ، وطـــرَّزَ بـــالنَّـــورِ مـــا أعشَبـــا[9]

---

(١) **طارقاً**: زائراً ليلاً ـ **فقالت**: يريد صاحبة الحانة.

(٢) **الأجيد**: الأجيد صفة الإبريق الطويل العنق ـ **الأوقص**: خلاف الأجيد، أي القصير ـ **الدنّ**: إناء الخمر.

(٣) **بحمراء**: أي بخمرة حمراء اللون ـ وقّادة (للمبالغة): شديدة التوقد، متلألئة ـ شبه الخمرة في الكأس بكوكب دريّ متوقّد شديد التلهّب.

(٤) **يصف كيف تعثّر بسبب ظلمة الليل** وطابق بين سواد الدجى والكأس الضاحك كأنه ثغر أبيض الأسنان.

(٥) **الفود**: جانب الرأس ـ **شبّه بياض الفجر** بالشيب في جانب الرأس وظلمة الليل الذاهب بالشعر الأسود الحالك.

(٦) **الأشقر**: الفرس الأشقر ـ **تصوّب كوكب**: انحدر.

(٧) **أحال غراب الدّجى**: حوّله، وأراد بغراب الدجى ظلمة الليل ـ **الأشهب**: من الشهبة وهي البياض رالذي يتخلّله السواد.

(٨) **السّرى**: السير قليلاً ـ **العارض**: السحاب المعترض في السماء والممطر.

(٩) **التلعة**: أعلى الوادي ـ **النّور**: الزهر.

فـــردَّى منـــاكـــبَ تلـــكَ الغصـــونِ، وزرَّرَ أكفـــافَ تلـــك الـــرُّبـــا[1]

(١٧)

بدرُ تَمٍّ

مَـــرَّ بنـــا، وهـــو بَـــدرُ تَـــمٍّ، يسحَـــبُ مـــن ذَيلِـــهِ سَحـــابـــا
بقـــامـــةٍ، تَنْثَنـــي قضِيبـــاً؛ وغُـــرَّةٍ، تَلتظِـــي شِهـــابـــا[2]
يَقـــرأُ، والليـــلُ مُـــدلهِـــمّ، لنُـــورِ إجـــلائِـــه، كِتـــابـــا[3]
ورُبَّ ليـــلٍ سهِـــرتُ فيـــه، أزجُـــرُ، مـــن جِنحـــهِ، نِكـــابـــا[4]
حتـــى إذا الليـــلُ مـــالَ سُكـــراً، وشـــقَّ سِـــربـــالَـــه وَجـــابـــا[5]
وحـــامَ، مـــن سُـــدفِـــه، غُـــرابٌ، طـــالَـــت بـــه سِنُّـــه، فشـــابـــا[6]
ازدَدتُ، مـــن لـــوعتـــي، خَبـــالاً، فحـــثَّ، مـــن غُلَّتـــي، شَـــرابـــا[7]
ومـــا خَطـــا قـــادمـــاً، فـــوافـــى، حتـــى انثنـــى نـــاكصـــاً، فـــآبـــا
وبيـــنَ جَفنَـــيَّ بحـــرُ شَـــوقٍ، يعُـــبُّ، فـــي وَجنتِـــي، عُبـــابـــا
قـــد شـــبَّ، فـــي وجهـــه، شُعـــاعٌ، وشـــبَّ عـــن قلبِـــه التهـــابـــا
وروضـــةٍ طَلقـــةٍ حيـــاءً، غنَّـــاءَ مُخضـــرَّةٍ جَنـــابـــا[8]
ينجـــابُ عـــن نَـــورِهـــا كِمـــامٌ، يحُـــطُّ، عـــن وجهِـــه، نِقـــابـــا[9]

---

(١) ردّى المناكب: جعلها تلبس رداء ـ **الأكفاف**: حواشي الثوب ـ **أكفاف الربى**: جوانبها، أطرافها.

(٢) **تنثني**: تتمايل ـ **تلتظي**: تتوقد.

(٣) **ادلهم الليل**: أظلم ـ **الإجلاء**: مصدر أجلى الشيء أبانه وكشف صفحته.

(٤) **جنحه**: أي جنح الليل وهو طائفة منه ـ **النكاب**: المصائب، جمع نكبة.

(٥) **السربال**: القميص ـ **جاب**: قطع، اجتاز.

(٦) **السدف**: حلكة الليل.

(٧) **الخبال**: الفساد، الاضطراب ـ **الغلة**: حرقة الجوانح.

(٨) **الروضة الطلقة**: الضاحكة.

(٩) **النقاب**: ما يستر الوجه.

بـــاتَ بهـــا مَبسِـــمُ الأقـــاحـــي يـــرشُـــفُ، مـــن طَلِّهـــا، رُضـــابـــا[1]
ومــــن خُفــــوقِ البــــروقِ فيهــــا أَلْــــويــــةٌ، حُمِّــــرَت خِضــــابــــا[2]
كــــأنَّهــــا أنمُــــلٌ وِرادٌ، تحصُــــرُ قَطــــرَ الحَيــــا حِســــابــــا[3]

(١٨)
حَسِبْتُهُ أَلِفا

وأغــرَّ كــادَ، لطــافــةً وطَــلاقــةً، ينســابُ مــاءً بيننــا مَسكــوبــا[4]
وسْنــانَ، يُــدرِكُ كــلَّ قلــبٍ طــالبــاً، ويفــوتُ كــلَّ مُتيَّــمٍ مطلــوبــا[5]
قد قامَ في صَدرِ النَّدامى، فاستوى، فحسِبتُــه أَلِفــاً بــه مكتــوبــا[6]
وأَكــبَّ يَشــرَبُهــا، وتشــربُ ذِهنَــه، فــرأيــتُ منــه شــاربــاً مَشــروبــا
مَشمــولــةً، بَينــا تُــرى فــي كفِّــه مــاءً، تُــرى فــي خــدِّه أُلهــوبــا[7]

(١٩)
طَلَعَتْ شَمْساً

فَتــقَ الشَّبــابُ، بــوَجنتَيهــا، وردةً، فــي فَــرعِ إسْحِلَــةٍ تَميــدُ شَبــابــا[8]
وضَحَــت سَــوالــفُ جِيدِهــا سُــوســانــةً، وتــوَرَّدَت اطــرافُهــا عُنَّــابــا[9]

---

(١) **الأقاحي**: زهر الأقحوان ـ **الرضاب**: الريق.
(٢) **الألوية**: الأعلام، جمع لواء.
(٣) **الحيا**: الريق.
(٤) **الأغرّ**: الوضاء الجبين ـ **ينساب ماءً**: أي كالماء أي يمرّ بلطف.
(٥) **وسنان**: ناعس الطرف، والطرف الناعس من صفات الحسن ـ **المتيّم**: المحب الذي استعبده الحب، أي جعله أسيراً للمحبوب.
(٦) **شبّه استواء المحبوب** وبروزه في المجلس بصورة الألف في الكتابة.
(٧) **مشمولة**: صفة الخمرة الباردة ـ **الألهوب**: اللهب.
(٨) **فتق وردة**: جعلها تفتح أكمامها ـ **الوجنة**: الخد ـ **الأسحلة**: من الأشجار التي تتخذ منها المساويك **تميد**: تميس، تتمايل.
(٩) **الجيد**: العنق، وسوالف الجيد: جمع سالفة، صفحة الجيد ـ **السوسانة**: شجرة السوسان ذات الرياحين.

بيضـاءُ، فـاضَ الحسـنُ مـاءً فـوقَهـا، وطَفـا بـه الـدُّرُّ النفيـسُ حَبـابـا
بيـنَ النُّحـورِ قِـلادةً، تحـتَ الظَّـلامِ غَمـامـةً، دونَ الصَّبـاحِ نِقـابـا[1]
نـادمتُهـا، ليـلاً، وقـد طَلَعَـت بـهِ شمسـاً، وقـد رَقَّ الشَّـرابُ سَـرابـا[2]
وتـرنَّمَـتْ، حتـى سمِعـتُ حَمـامـةً، حتـى إذا حسَـرَت، زجـرَتُ غُـرابـا[3]

(٢٠)

تخيّرتُه نجيبا

تَخيَّـرتُـه مـن رَهـطِ أعـوجَ سـابحـاً، أغـرَّ، كـريـمَ الـوالـديَـنِ، نجيبـا[4]
خفيفـاً، ولـم يَحلُـم بسَـوطٍ، كـأنَّمـا يَفـوتُ عـدوّاً، أو يـؤمُّ حَبيبـا[5]
سَرى، وانتمى برقٌ بذِي الأثلِ، ليلةً، فبـاتَ بهـا هـذا لـذاك نَسِيبـا[6]
وحَـنَّ إلـى سَفـرٍ، فطـارَ إلـى السُّرى، يخـوضُ خليجـاً، أو يَجـوبُ كثِيبـا[7]
يـؤم بهـا أرضـاً، علـيَّ، كـريمـةً، ومُـرْتَبَعـاً فيهـا، إلـيَّ، حبيبـا[8]
ونهـراً، كمـا ابيـضَّ المقبَّـلُ، سَلسـلاً، وجزعاً، كما اخضرَّ العِذارُ، خصِيبا[9]
ورُبَّ نسيـمٍ مَـرَّ بـي وهـو عـاطـرٌ، رقيـقُ الحـواشـي، لا يُحـسُّ دبِيبـا

---

(١) النحور: جمع نحر: الجيد ـ النّقاب: الحجاب.
(٢) رقّ الشّراب: صفا ـ السّراب: ما يظن ماء وسط النهار عند اشتداد الحرّ، وهو ليس إلا من خداع البصر.
(٣) شبّه صوتها بترنيمة الحمامة، وشعرها بالغراب الأسود ـ وقوله حسرت: أي كشفت النقاب عن رأسها.
(٤) التخيّر: الانتخاب ـ أعوج: جواد من خيول العرب الكريمة ـ السّابح: أي الجواد السّابح، السّريع ـ النجيب: الفرس الكريم الأصل.
(٥) يفوت العدوّ: يسبقه في جريه ـ يؤم الجيب: يقصده ويتوجّه إليه.
(٦) بذي الإثل: أي بموضع ذي الأثل، والأثل ضرب من الشجر المتين.
(٧) جاب يجوب المكان: يجتاز، يقطع.
(٨) يؤم: يقصد ـ المرتبع: المنزل.
(٩) كما ابيض المقبّل: يشبه النهر بالثغر بجامع البياض ـ نهراً سلسلاً: عذباً ـ الجزع: موضع الاجتياز في الوادي.

وجدتُ به، من ذلك الماءِ، بَلَّةً، ومن نَوْرِ هاتيكَ الأباطح طيبا[1]
فصافَحتُ رَيْعانَ النسيم تشوُّقاً إليها، ولازَمتُ القَضِيبَ رَطِيبا
وقد قلَّدَ النُّوَّارُ جيداً لِرَبْوةٍ هناك، ونَحراً، للفَضاءِ، رحِيبا[2]
وأفصحتِ الورقاءُ، في كلِّ تَلعةٍ، نشيداً، وقد رقَّ النَّسِيمُ نسِيبا[3]
وكان على عهدِ الشَّبابِ تغنِّياً، يشوقُ أخاً وَجدٍ، فعادَ نحِيبا[4]
دَعا لغُروبِ الدَّمعِ، والدارُ غُربةٌ، فلم أرَ إلا داعياً ومُجيبا[5]

(٢١)

انقضّ شهابا

وصف فرساً مطهّما فقال:

ومُطَهَّمٍ شَرِقِ الأديمِ، كأنَّما ألِفَت مَعاطِفُه النَّجيعَ خِضابا[6]
طَرِبٌ، إذا غنَّى الحُسامُ، مُمَزِّقٌ ثوبَ العَجاجةِ جيئةً وذَهابا[7]
قدَحَت يَدُ الهَيجاءِ منه بارقاً، متلهِّباً، يُزجي القَتامَ سَحابا[8]
ورَمى الحِفاظُ به شياطينَ العِدى، فانقضَّ في ليلِ الغُبارِ شِهابا[9]
بسَّامُ ثغرِ الحَلْيِ، تحسَبُ أنه كأسٌ، أثارَ بها المِزاجُ حَبابا[10]

---

(١) **النور**: الزهر ـ **الأباطح**: جمع بطحاء: المسيل الواسع وفيه الرمل والحصى الدقاق.
(٢) **النوّار**: الزهر ـ **الجيد**: العنق ـ النحر: الجيد.
(٣) **الورقاء**: الحمامة ـ **التلعة**: المرتفع من الأرض، والجمع تلاع.
(٤) **الوجد**: الحبّ.
(٥) **غروب الدّمع**: مسيله.
(٦) **المطهّم**: الجواد الحسن الخَلْق ـ **الأديم**: الجلد، وشرق **الأديم**: أي أديمه يميل إلى الاحمرار ـ **النجيع**: الدم الخضاب: ما يلوث به.
(٧) **الحسام**: السيف القاطع، **العجاجة**: الغبار.
(٨) **قدح (بالزّند)**: حاول إخراج النار منه، **وقوله**: قدحت بارقاً: كناية عن سرعة الجواد في كرّه وانقضاضه ـ **الهيجاء**: الحرب ـ **يزجي**: يقود ـ **القتام**: غبار المعركة القاتم.
(٩) **الحفاظ**: الذّود عن المحارم.
(١٠) **بسّام ثغر الحلي**:استعارة للون المشرق ـ **المزاج**: أي المزج بالماء، والحباب ما يعلو الكأس من زبد.

(٢٢)

حَسْبي شَجْواً

قال يصف وطأة الدهر ويبكي الأحبّة والخلّان

أَلَا عَرَّسَ الإخوانُ في ساحةِ البِلى، ... وما رَفعُوا، غيرَ القُبورِ، قِبابا[1]
فَدَمعٌ، كما سَحَّ الغَمامُ، ولَوعَةٌ، ... كما أَضرمَت رِيحُ الشَّمالِ شِهابا
إذا استَوقَفَتْني في الدِّيارِ، عَشِيَّةً، ... تلَذَّذتُ فيها جَيئَةً وَذَهابا
أَكُرُّ بِطَرفي في مَعاهِدِ فِتيةٍ، ... ثَكِلتُهُمُ بِيضَ الوُجُوهِ شَبابا[2]
فطَالَ وُقُوفي بينَ وَجدٍ وزَفرةٍ، ... أُنادِي رُسُوماً، لا تُحِيرُ جَوابا[3]
أَمحو جمِيلَ الصَّبرِ، طَوراً، بعَبرةٍ ... أَخُطُّ بها، في صَفحتَيَّ، كِتابا
وقد دَرَسَت أَجسامُهُم ودِيارُهم، ... فلَمْ أَرَ إلّاَ أَقبُراً وَيَبابا[4]
وحَسبِيَ شَجواً أَن أَرى الدَّارَ بَلقَعاً، ... خَلاءً، وأَشلاءَ الصدِيقِ تُرابا[5]

(٢٣)

الشّيبُ شَيْنٌ

قال يصف المشيب ويطري الشباب وصبواته

أَرِقتُ على الصِّبا، لِطُلوعِ نجمٍ، ... أُسمِّيه، مُسامَحةً، مَشيبا[6]
كفاني، رُزءَ نَفسٍ، أنْ تَبدَّى، ... وأعظمُ منه رُزءاً أن يَغِيبا[7]
ولولا أن يشُقَّ على الغَواني، ... لَلاقيتُ الفتاةَ بِه خضِيبا

---

(١) **عرّس تعريساً (في المكان)**: نزل ليلاً ـ **البِلى**: الفناء ـ **ساحة البلى**: الموت.

(٢) **ثكلتهم بيض الوجوه**: أي فقدتهم وهم في مقتبل العمر.

(٣) **لا تحير جواباً**: لا تجيب.

(٤) **اليباب**: الخراب.

(٥) **البلقع**: الأرض القفر، والدار البلقع: الخالية من أصحابها.

(٦) شبه الشيب لبياضه بالنجم، وقوله: أرقت على الصبا كناية عمّا اعتراه من القلق على تولّي الشباب.

(٧) **الرزء**: المصيبة العظيمة.

فلــم أعــدمْ، هنــاك، بــه شفِيعــاً إلــى أمــلٍ، ولــم أبــرَحْ حبيبــا
غــريبــةُ شَيــبِ فَــوْدٍ، إنْ تــراخَــت حَيــاتــي، آل أســودُه غَــريبــا[1]
شَنِئــتُ بمُجتــلاهــا النَّــورَ، حتــى شَنِئــتُ، بمُجتلـى النَّـورِ، القَضِيبـا[2]
وعِفــتُ، كــراهــةً للشــيءِ، شيئــاً، يكــونُ لــه شبيهــاً، أو نَسِيبــا
وأيَّــةُ شَيبــةٍ إلاّ نَــذيــرٌ؛ وهــل طــرَبٌ، وقــد مثَلَــتْ خطِيبــا
وبُــؤتُ بحملِهــا مــن غيــرِ خَطــبٍ، كــأنــي قــد حمَلــتُ بهــا عَسِيبــا[3]
ومِلــتُ مــع الشَّبــابِ عــن التصــابــي، وكيــفَ بــه، وقــد طَلَعَــت رقِيبــا!
وقلــتُ: الشَّيــبُ للفِتيــانِ شَيــنٌ، كفــى الأحــداثَ، شينــاً، أن تشِيبــا[4]
فــلا تطمَــح، إلــى فــودِي، غُــلامــاً، غــريــراً، أو اغشَنــي كهــلاً أرِيبــا
فــأحسَنُ مــن حَمــامِ الشَّيــبِ، عنــدي، غُــرابُ شَيبــةٍ ألِــفَ النَّعِيبــا
يَطِيــبُ بنَفســه عنــدَ الغَــوانــي، فيَغنــى، عــن فتيــتِ المِســكِ، طِيبــا
وتَــرعَــى منــه عيــنُ الظَّبــيِ شُهبــاً، لهــا، فيُســالِــفُ الظَّبــيَ الــرَّبِيبــا[5]
وبيــن العيــنِ والشَّعــرِ اشتبــاكٌ، كــريــمٌ يقتضــي نسَبــاً قــريبــاً

(٢٤)

مِحْراب العِذَار

مــا للعِــذارِ، وكــانَ وَجهُــكَ قِبلَــةً، قدْ خَطَّ فيهِ، منَ الدُّجى، مِحرابا
وإذا الشَّبــابُ، وكــانَ لَيــسَ بخــاشِــعٍ، قــدْ خَــرَّ، فيــه، راكِعــاً، وأنــابــا
ولَقــد عَلِمــتُ، بكــونِ ثَغــرِكَ بــارقــاً، أَنْ سَــوفَ يُــزجــي للعِــذارِ سَحــابــا

---

(١) **الفود**: جانب الرأس، ومثناه الفودان ـ **آل**: صار وتحوّل.
(٢) **شنئت**: كرهت ـ **النّور**: الزهر الأبيض.
(٣) **باء بالشيء**: عاد ورجع ـ **الخطب**: الأمر الجلل ـ **عسيب**: علم على جبل.
(٤) **الشين**: العيب، العار.
(٥) **سالفه يسالفه في الأمر**: ساواه فيه ـ **الظبي الربيب**: الذي ربّي حتى أدرك.

(٢٥)

... فَهي الهِلالُ

عوجاءُ تُعطَفُ ثم تُرسَلُ تارةً، فكأنما هيَ حيّةٌ تَنسابُ[١]
وإذا انحنَت، والسَّهمُ منها خارجٌ، فهيَ الهلالُ، انقضَّ منه شِهابُ

(٢٦)

نَلْتَقي ونَثوبُ

يحِلُّ بها أدنى الرّياحِ، فليتَها شَمالٌ، تهادى بيننا، وجَنوبُ[٢]
تهُبُّ بنا طوراً جَنوباً، فنلتقي؛ وتجري شَمالاً تارةً، فتثوبُ[٣]

(٢٧)

تَجِدُّ بيَ الصَّهباءُ

ويومٍ صقيلٍ، للشَّبابِ، ظَلِلتُه، تجُدُّ بيَ الصَّهباءُ فيه، وألْعَبُ[٤]
رطيبٌ بأنفاسِ الصِّبا ونَدى الصَّبا، فقد رَقَّ حتى كاد يَجري، فيَسكُبُ
توَضَّحَ، في وجهِ الصِّبا منه، مَبسِمٌ؛ وأشرق، في ليل من الشَّيبِ، كوكبُ[٥]
تقلَّبتُ فيه بينَ أعطافِ عِيشَةٍ، كما اخضرَّ يَندى أبطحٌ ظَلَّ يُعشِبُ
وقد هزَّ، من عِطفَيْ نديمٍ وخُوطةٍ، أنينُ حَمامٍ، أو غُلامٌ يُطرِّبُ[٦]
وجِزعٌ، بأنداءِ الغَمامِ مُفضَّضٌ، وذَيلٌ عليه، للعشيّ، مُذهَّبُ

---

(١) **تعطف**: تثنى ـ **تنساب** (الحية): تجري مسرعة.

(٢) **حلّ به**: ألم به ـ **الشمال والجنوب**: أي الريح التي تهب من الشمال والجنوب.

(٣) **تثوب**: تعود، ترجع.

(٤) **أراد باليوم الصقيل**: اليوم المشرق الخفيف الوطأة، والصقيل هنا استعارة من السيف الصقيل أي الأملس الذي جلاّه الصقال ـ **الصهباء**: الخمر ـ وقد طابق بين الجد واللعب.

(٥) **توضح**: افترّ باسماً ـ **الليل**: هنا سواد الشعر، الكوكب هو الشيب.

(٦) **عِطفي**: مثنى عطف، والعطف هو الجانب من الجسم ونحوه ـ الخوط: الغصن الناعم، وأراد بالخوطة المرأة الناعمة التي تشاركه في مجلس الشراب.

وقد جالَ، من كاس السُّلافةِ، أشقرٌ، يسابقُه، من جَدولِ الماء، أشهَبُ[1]
بـروضٍ، كـأنَّ الغُصـنَ يَـزهـى، فيَنثني بـه، وكـأنَّ الطَّيـرَ يُسقـى، فيَطـرَبُ[2]
قـد ارتجـزَ الـرَّعـدُ المُـرِنُّ بـأفقِـه، فأملى، وجالت راحةُ البَرقِ تكتُبُ[3]
كـأنَّ لِسـانَ البَـرقِ فيـهِ، عشيَّـةً، لِـواءٌ خضيـبٌ، أو رِداءٌ مُـذَهَّـبُ

(٢٨)

الرّوض وجهٌ أزهر

مجلسُ لهوٍ في أحضان الرياض

سَقيـاً ليـومٍ قـد أَنَخـتُ بسَـرحـةٍ رَيّـا، تُـلاعبُهـا الشَّمـالُ، فتلعَـبُ[4]
سَكـرى، يُغنِّيهـا الحَمـامُ، فتنثَنـي طَـربـاً، ويَسقِيهـا الغَمـامُ، فتَشـرَبُ
يَلهـو، فتُـرفَـعُ، للشبيبـةِ، رايـةٌ فيـه، ويطلُـعُ للبَهـارةِ كـوكـبُ[5]
والـرَّوضُ وَجـهٌ أَزهـرٌ، والظِّـلُّ فـرعٌ أسـودٌ، والمـاءُ ثغـرٌ أشنَـبُ[6]
فـي حيـثُ أطـرَبنـا الحَمـامُ عَشِيَّـةً، فشَـدا يُغَنِّينـا الحَمـامُ المُطْـرِبُ
واهتَـزَّ عِطـفُ الغُصـنِ مـن طـربٍ بنا؛ وافتـرّ، عـن ثغـرِ الهِـلالِ، المَغـرِبُ[7]
فكـأنَّـه، والحُسـنُ مُقتَـرِنٌ بـه، طَوقٌ، على بُردِ الغَمامةِ، مُذهَبُ[8]
فـي فِتيـةٍ، تَسـري، فيَنصَـدعُ الـدُّجـى عنها، وتَنزِلُ بالجدِيبِ، فيَخصِبُ[9]

(١) **السلافة**: الخمر.
(٢) **يزهى**: من الزهو وهو التباهي والإعجاب بالذات ـ ينثني: يتمايل.
(٣) **ارتجز الرعد**: أرسل صوتاً متتابعاً شبيهاً بالرجز وهو الإنشاد بصوت متتابع.
(٤) **أنخت**: من أناخ بالمكان: نزل به ـ **السّرحة**: فناء الدار وكل شجر طال، ولا شوك فيه.
(٥) **البهارة**: الحسن والجمال.
(٦) **الوجه الأزهر**: الوضّاء المشرق ـ **أشنب**: بارد.
(٧) **افترّ**: تبسّم.
(٨) **الطوق**: العقد من لؤلؤ ونحوه ـ **البرد**: الثوب ـ شبّه الهلال البادي في صفحة الغمام الرقيق بعقد مذهب.
(٩) **انصدع الدّجى**: انجاب ـ **الجديب**: غير الخصيب.

كَرُموا، فلا غَيثُ السَّماحةِ مخلِفٌ، يوماً، ولا بَرقُ اللَّطافةِ خُلَّبُ[1]
مِن كلِّ أزهرَ للنعِيمِ، بوجهِه، ماءٌ، يُرَقرِقُهُ الشَّبابُ، فيَسكُبُ

(٢٩)
يهزُّني شبابٌ

يا رُبّ وضّاحِ الجبينِ، كأنَّما رَسمُ العِذارِ، بصَفْحتَيه، كِتابُ
تَغرى، بطلعتِه، العيونُ مَهابةً، وتبيتُ تعشَقُ عقلَه، الألبابُ
خُلِعَتْ عليه، منَ الصَّباحِ غِلالةٌ تَندى، ومن شفَقِ السَّماء، نِقابُ
فكرَعتُ من ماء الصِّبا في مَنهلٍ، قد شُقَّ، عنه من القميصِ سَرابُ
في حيثُ للرِّيحِ الرخاء تنفُّسٌ أَرِجٌ، وللماءِ الفُراتِ عُبابُ
ولرُبَّ غضِّ الجِسمِ مَدَّ بخَوضِه شَبَحاً، كما شقَّ السماءَ شِهابُ
ولقد أنَختُ بشاطِئَيه يهُزُّني، طرباً، شبابٌ، راقَني، وشَرابُ
وبكَيتُ دِجلتَه يُضاحِكُني بها، مَرَحاً، حبيبٌ، شاقَني، وحَبابُ

(٣٠)
ركبتُ دِجْلَتَهُ...

يصف نزهة في زورق برفقة الحبيب

وصقيلِ إفرِندِ الشَّبابِ، بطَرْفِه سَقَمٌ، وللعَضْبِ الحُسامِ ذُبابُ[2]
يمَشِي الهُوَينا نَخوةً، ولَرُبَّما أَطرَته، طَوراً، نَشوةٌ وشبابُ[3]
شَتَّى المحاسِنِ، للوَضاءةِ رَيْطةٌ، أبداً عليه، وللحَياءِ نِقابُ[4]

---

(١) المخلق: الذي أخلف ولم يصدق، والغيث المخلف: الذي لم يمطر ـ البرق الخلّب: الذي يلمع ولا يعقبه مطر.
(٢) الإفرند: جوهر السيف ووشيه، استعارة لزهو الشباب وحسنه ـ السقم في الطرف: الذبول والنّعاس وهو من محاسن العين ـ العضب: السيف القاطع ـ الذباب: حدّ السيف.
(٣) يمشي الهوينا: أي متمهّلاً ـ أطرته: جعلته ينثني ويزهو.
(٤) الوضاءة: الحسن ـ الريطة: الملاءة ـ النقاب: القناع الساتر للوجه.

وبمَعطِفَيــــه للشبيبـــــةِ مَنهَــــلٌ، قـد شـفَّ عنـه مـن القميـص سَرابُ[1]
عَبَـر الخليـجَ سبــاحـــةً، فكـــأنمـــا أهـوى، فشَـقَّ بـه، السمـاءَ، شِهـابُ[2]
تَطفُـو لغُــرَّتــهِ، هنــاك، حَبـــابـةٌ، ويمــوجُ، مــن رِدفِ ألـفَّ، عُبــاب[3]
ولئِـن تَـركـتُ من التَّصـابـي مَـركبـاً، ولكـلِّ مَــرحلــةٍ، تُجـابُ، رِكــابُ
لقـدِ احتَللـتُ بشـاطِئَيـه، يهُـزُّنـي، طـربــاً، شَبـابٌ، راقَنــي، وشَــرابُ
وانسـابَ بـي نهـرٌ، يعُـبُّ، وزورقٌ، فتَحمَّلَتنــــي عَقـــربٌ وحُبـــابُ[4]
وركِبـتُ دِجلَتَـه، يضـاحِكُنـي بهـا، فـرِحـاً، حبيـبٌ، شـاقَنـي، وحبَـابُ[5]
نجلُـو، مـنَ الـدُّنيـا، عـروسـاً، بينَنـا، حسنـاءَ، تُـرشَـفُ، والمُـدامُ رُضـابُ[6]
ثـــمَّ ارتَحَلْــتُ، وللسمـــاءِ ذُؤابــةٌ شَهبـاءُ، تُخضَـبُ، والظَّـلامُ خِضـابُ[7]
تَلـوي مَعــاطفـيَ الصَّبـابـةُ والصِّبـا، والليـلُ، دونَ الكـاشحِيـن، حِجـابُ[8]
حيــثُ استقــلَّ الجِســرُ فــوقَ زوارقٍ نُسِقَــت، كمــا تَتَــواكــبُ الأحبــابُ
لــم تَستبِــق، وكــأنَّهــا، مُصطفَّــةً، دُهْــمٌ، تُنـازِعُـك السِّبـاقَ، عِـرابُ[9]
مــن كــلِّ غـربيـبِ الأديـم، لَـوَ انّـه قَبـلَ النعِيــبَ لَعِيـفَ منه غُــرابُ[10]

(١) **المنهل**: المورد ـ **شفّ**: رقّ فأظهر ما وراءه ـ شبه القميص لشفافيته ورقته بالسّراب.
(٢) **عبر الخليج**: اجتازه.
(٣) **الغرّة**: شعر مقدّم الرأس ـ **الردف**: الكفل ـ الردف الألف: الملتف، يريد الممتلىء ـ عباب البحر: موجه.
(٤) **يعبّ (أي النهر)**: يتلاطم موجه ـ **العقرب**: الزورق ـ **الحباب**: الحيّة شبّه بها انسياب الماء في صفحة النهر.
(٥) **الحباب**: الفقاقيع التي تعلو الماء، وتلاحظ المجانسة بين الحبيب والحباب.
(٦) **المدام**: الخمر ـ **الرضاب**: الريق.
(٧) أراد بذؤابة السماء الشهباء: أضواء الشفق بعد الغروب ـ **تخضب**: تصبغ ـ **وصف كيف هجم ظلام الليل على ضوء الشفق وراح يصبغه بسواده.**
(٨) **الصبابة**: رقة الهوى ـ **الصّبا** (بكسر الصاد): الشباب ـ **والصّبا** (بفتح الصاد): الريح الناعمة ـ **الكاشحون والكاشحين**: جمع كاشح، أي المبغض.
(٩) **دهم**: حالكة السواد ـ في هذا البيت شبه الشاعر المراكب في الماء بالجياد الدهم السوداء.
(١٠) **الغربيب**: الأسود ـ **الأديم**: الجلد ـ **النعيب**: صوت الغراب.

(٣١)

لهبٌ يلاعبُ الرّيحَ

قال يصف موقداً توزّع فيه ناظره بين رَماد أزرق وجمر أحمر ملتهب.

لاعَبَ، تلك الرِّيحَ، ذاكَ اللَّهَبُ، فعادَ، عينَ الجِدِّ، ذاك اللَّعِبُ[١]
وباتَ في مَسرى الصَّبا يتبعُهُ، فَهْوَ لها مُضطَرِمٌ، مضطَرِبُ
ساهرتُه أحسِبُه منتشياً، يهُزُّ عِطْفَيه، هناك، الطَّرَبُ[٢]
لو جاءَه منتقِدٌ لمَا دَرَى أَلَهَبٌ متَّقِدٌ أم ذَهَبُ[٣]
تَلثُمُ منه الرِّيحُ خدّاً خَجِلاً، حيثُ الشَّرارُ أَعينٌ ترتَقِبُ[٤]
في موقِدٍ، قد رَقرقَ الصبحُ به ماءً عليه من نجومٍ حَبَبُ[٥]
منقسِمٌ بينَ رَمادٍ أزرقٍ، وبينَ جَمرٍ خَلفَه، يَلتهِبُ
كأنما خَرَّت سماءٌ فوقَهُ، وانكدرَت، ليلاً، عليه شُهُبُ[٦]

(٣٢)

الغَمَام الحاصِبُ

يا رُبَّ قَطرٍ جامدٍ حَلَّى به، نحرَ الثَّرى، برَدٌ تحدَّرَ صائِبُ[٧]
حصَبَ، الأباطحَ منه، ماءٌ جامدٌ، غشَّى، البلادَ به، عذابٌ ذائِبُ[٨]

---

(١) **الجِد (بكسر الجيم)**: خلاف اللهو واللعب.
(٢) **المنتشي**: ذو النشوة، والنشوة: السكر.
(٣) **اللهب المتقد**: المتوقد، المشتعل.
(٤) **تلثم**: تقبّل.
(٥) **الحبب**: ما يعلو الماء ونحوه من فقاقيع.
(٦) **طرّت**: سقطت ـ **انكدرت الشهب**: تناثرت.
(٧) **القطر**: المطر ـ **حلّى**: زيّن ـ **النحر**: الجيد.
(٨) **حصب المكان أو الشخص**: رماه بالحصى، والحصى هنا هو قطع البرَد ـ **الأباطح**: جمع أبطح مسيل الماء الواسع ـ **غشى به**: غطى.

فـالأرضُ تَضحَـكُ عـن قـلائـدِ أنجـمٍ، نُثِـرَتْ بهـا، والجـوُّ جَهْـمٌ قـاطِـبُ[1]
فكــأنمـــا زَنَــتِ البسيطـــةُ تحتَـــهُ، فـأكـبَّ يَـرجُمُهـا الغَمـامُ الحـاصِبُ[2]

(٣٣)
حَديثٌ يَطيبُ

وخِيــريَّــةٍ، بيــنَ النَّسيــمِ وبينَهـــا، حــديـثٌ إذَا جَــنَّ الظَّـلامُ، يَطِيـبُ[3]
لهـا نفَسٌ يَسري، معَ الليلِ، عـاطرٌ، كـأنَّ لـه سِـرّاً، هنـاكَ، يَـرِيـبُ[4]
يــدِبُّ مــعَ الإمســاءِ، حتــى كـأنمـا لـه، خَلـفَ أستـارِ الظـلامِ، حبيـبُ[5]
ويخفَـى مـعَ الإصبـاحِ، حتـى كـأنمـا يظَـــلُّ عليـــه، للصَّبـــاحِ، رقِيـــبُ

(٣٤)
المِنْبَر والخَطِيبُ

ألا رُبَّ رأسٍ لا تـــزاوُرَ بينَـــــه، وبيـــنَ أخيـــهِ، والمَــزارُ قــريـــبُ[6]
أنــافَ بــه صَلْـدُ الصَّفــا، فهــو مِنبَـرٌ؛ وقــام علــى أعــلاه، فهــو خطِيـــبُ[7]

---

(١) **القلائد**: جمع قلادة، الطوق يزيّن به العنق، والقلائد هنا تشبيه لحبّات البرد التي غطت الأرض **الجوّ الجهم**: العابس المقّطب.
(٢) **البسيطة**: الأرض.
(٣) **الخيرية**: زهر المنثور الأصفر ـ **جنّ الظلام**: امتد.
(٤) **يريب**: يحمل على الريبة، أي الشك.
(٥) **يدبّ (هنا)**: يقبل، يأتي.
(٦) **الرأس (هنا)**: رأس الجبل ـ **وقوله**: لا تزاور بينه وبين أخيه، إشارة إلى رأسين متجاورين ولكنهما غير متصلين.
(٧) **أناف**: ارتفع ـ **الصفا**: الصخر، وصلد الصفا: الصخر الصلب ـ **شبّه في هذا البيت الصخرة** العالية بالمنبر، ورأس الجبل فوقها بالخطيب.

(٣٥)
قَهْوَةٌ وحَبيبُ

وأغيَـدَ، فـي صَـدرِ النـديّ لحُسنِـهِ حُلـيّ، وفـي صـدرِ القصيـدِ نسِيـبُ[١]
مـن الهِيـفِ، أمَّـا رِدفُـه فمُنعَّـمٌ خصِيـبٌ، وأمـا خصـرُه فجـدِيـبُ[٢]
يـرُفُّ بَـرَوضِ الحُسـنِ، مـن نـور وجهِه وقـامتِـه، نُـوّارةٌ وقضِيـبُ[٣]
جَـلاهـا، وقـد غنّـى الحَمـامُ، عشيَّـةً عجـوزاً عليهـا، للحَبـابِ، مشِيـبُ[٤]
وجـاءَ بهـا حمـراءَ، أمَّـا زُجـاجُهـا فمـاءٌ، وأمـا مِلـؤهُ فلهِيـبُ
علـى لُجَّـةٍ تـرتـجُّ، أمَّـا حَبـابُهـا فنَـورٌ، وأمـا مَـوجُهـا فكثِيـبُ[٥]
تجـافَـت بهـا عنّـا الحـوادثُ، بُـرهَـةً، وقـد سـاعَـدَتنـا قَهـوةٌ وحبِيـبُ[٦]
وغـازَلَنـا جَفـنٌ، هنـاك، كنـرجِـسٍ، ومُبتَسَـمٌ، لـلأقحـوانِ، شنِيـبُ[٧]
فلِلّـهِ ذيـلٌ، للتصـابـي، سَحبتُـهُ، وعيـشٌ، بـأطـرافِ الشبـابِ، رطيـبُ[٨]

(٣٦)
هَلْ ساءَهُ

هـل سـاءَه أنْ آلَ آسـاً وردُه، وتعطَّلَت، من فيهِ، كأسٌ تُشربُ[٩]

---

(١) **وأغيد**: أي رب أغيد، والغيد: طول الجِيد ـ **الحليّ**: ما يتزيّن به من المجوهرات الثمينة ـ **النسيب في صدر القصيد**: مطالع الغزل.
(٢) **الهيف**: جمع الأهيف: النحيل الخصر ـ **الردف**: العجز يصف محاسن المحبوب فينعته بطول الجيد، وضمور الخصر وامتلاء الردف.
(٣) **النّوارة**: الزّهرة ـ **القضيب**: الغصن وهو تمثيل للقامة.
(٤) **جلا الشيء**: أظهره وكشف عنه، والضمير في جلاها عائد للخمرة ـ **عجوزاً**: أي خمرة معتقة ـ الحباب: ما يعلو الخمرة من فقاقيع.
(٥) **اللّجة (هنا)**: الماء الجاري ـ ترتج: تهتزّ بقوة. **الكثيب**: المرتفع الرّملي.
(٦) يصف كيف تغلب على حوادث الزمان برفقة الحبيب والمدام.
(٧) **الجفن**: العين ـ **المبتسم الشنيب**: الثغر ذو الأسنان البيضاء والشنيب أيضاً: ريق الثغر البارد.
(٨) **العيش الرطيب**: العيش الهادىء المنعّم.
(٩) **آل الشيءُ**: تحّول وتبدّل من حال إلى حال ـ **الآس**: شجر الآس المعروف بـ «الحنبلاس» وهو=

فكـــأنَّ صَفحتَـــه، ونَـــدَّ عِـــذاره، مـــاءٌ يَثـورُ، بصَفْحَتَيـــهِ، طِحلِـــبُ[1]

(٣٧)
حبّذا عيدٌ

قال في نعجة وكبش أملح يداعب صديقاً له:

أَلاَ حَبَّـذَا عِيـدٌ تَـلاقَـت بـهِ المُنـى، فَجـدَّدَ، مـن عَهـدِ الشَّبـابِ، مَشيـبُ
وأَعرَضَ، في حُسنِ المَليحةِ، أَملَحٌ، يُـلاعِـبُ، رَبَّـاتِ الحِجـالِ، رَبِيـبُ[2]
تَهـادت تَثنَّى، وهْـي تُـذعَـرُ، فـالتَـوى قَضيـبٌ بِهـا، وارتَـجَّ منـهُ كَثِيـبُ
وسَـوداءَ، أَمَّـا نِسبَـةً، فَهْـيَ نَعجَـةٌ، تَـرُوقُ، وأَمَّـا نَصبَـةً، فنَجِيـبُ[3]
أَقَـامَ بِهـا، مـا بَيـنَ ظِـلٍّ ومَـوردٍ، مَـرادٌ، ببَطـنِ الـواديَيـنِ، خَصِيـبُ
أَتَتْـكَ، وأَفيـاءُ الشَّبـابِ تُظِلُّهـا؛ وهَـل زارَ، إلاَّ فـي الظَّـلامِ، حَبيـبُ؟
فطُفـتَ بهـا، تَمشـي الهُـوَينـا، وإنَّمـا، تَمَشَّـى إِلَيهـا، وهـيَ تَجهَـلُ، ذِيـبُ

(٣٨)
أَظْلَمَ قَرْنُ الشمس

قال هذه القصيدة في رثاء الوزير أبي ربيعة ووصف نُوب الأيام وحوادث الزمان

شَـرابُ الأمـاني، لـو عَلِمـتَ، سَـرابُ، وعُتْبَـى اللَّيـالـي، لـو فَهِمـتَ، عِتـابُ[4]
إذا ارتَجَعَـتْ أَيـدِي اللَّيَـالـي هِبـاتِهـا، فَغَـايَـةُ هَـاتِيـكَ الهِبـاتِ ذَهَـابُ

= هنا كناية عن عذار الحبيب.

(١) شبه عطر عذار الحبيب برائحة البخور، وكنّى عن خضرته بالآس ـ **الطحلب**: الخضرة التي تعلو صفحة الماء الراكد.

(٢) **ربّات الحجال**: النساء، **والحجال**: الستر يضرب للعروس في جوف البيت.

(٣) **النعجة**: كناية عن المرأة، **النصبة**: النبتة المغروسة، وأراد بالنصبة الأصل ـ **النجيب**: كل نفيس في نوعه.

(٤) **العتبى**: الرضى.

وهـلْ مُهجَـةُ الإنسـانِ إلاَّ طَـرِيـدَةٌ، تحُـومُ عَليهـا، لِلحِمـامِ، عُقـابُ[1]
يخُـبُّ بهـا، فـي كـلِّ يَـومٍ وليلَـةٍ، مَطـايـا إلـى دارِ البِلـى، ورِكـابُ[2]
وكَيفَ يَغِيض الـدَّمعُ أو يَبرُدُ الحشـا، وقـد بـادَ أَقـرانٌ، وفـاتَ شَبـابُ
فما نابَ، عن خِلِّ الصِّبا، خِلُّ شَيبَةٍ، ولا عاضَ، مِن شَرخ الشَّبابِ خِضابُ
أَلا ظَعَنَـا، مـن صـاحِـبٍ وشبيبـةٍ، فهَـل لهُمـا مـن ظـاعِنَيـنِ إيـابُ؟
دَعـا بِهِمـا صَرفُ اللَّيـالي إلى البِلـى، فكـلُّ الـذي فـوقَ التُّـراب تُـرابُ
فهـا أنَـا أَبكـي كـلَّ مَعهَـدِ راحَـةٍ، تَضـاحَـكَ أَحبـابٌ بـه وصِحـابُ
أُقَلِّـبُ طَـرفـي لا أرى غَيـرَ لَيْلَـةٍ، وقـد حُـطَّ عـن وَجـهِ الصَّباحِ نِقـابُ[3]
كـأَنِّي، وقـد طـارَ الصَّبـاحُ حمـامـةٌ، يَمُــدُّ جَنـاحَيــهِ عَلــيَّ غُــرابُ
على حِيـنَ، لا غيـرَ اعتبـارِي خطـابـةٌ، فتُـوعَـى، ولا غَيـرَ العَـويـلِ جَـوابُ
وقـد جـاشَ بحرٌ، بيـنَ جَنبَيَّ، مـائِجٌ، لـه زَخـرةٌ، فـي وَجنَتِـي، وعُبـابُ
فيـا لَهُـمُ مـن رَكـبِ صَحـبِ تتابَعُـوا، فُـرادى، وهُـمْ مُلْـدُ الغُصـونِ شَبـابُ[4]
دعـا بِهِـمُ داعـي الـرَّدى، فكـأَنَّمـا تَبـارَت بِهِـم خَيـلٌ، هنـاكَ، عِـرابُ[5]
فها هُمْ، وسِلمُ الدَّهرِ حَربٌ، كأَنَّما جَثـا بينَهُـم طَعـنٌ لهُـم وضِـرابُ
هُجُـودٌ، ولا غيـرَ التُّـرابِ حَشِيَّـةٌ، لِجَنـبٍ، ولا غَيـرَ القُبـورِ قِبـابُ[6]
فَحتـى مَتـى تَبـرِي اللَّيـالـي سِهـامَهـا؛ وحَتـى مَتـى أُرمـى بِهـا فـأُصـابُ؟
وحَتـى مَتـى أَلقـى الـرَّزايـا مُمِضَّـةً، كما كَرَعَت، بَينَ الضُّلوعِ، حِرابُ[7]

---

(١) **المهجة**: الروح ـ الحمام (بكسر الحاء): الموت ـ **العقاب**: من الطيور الجارحة.
(٢) **يخبّ**: من الخبب وهو ضرب من العدو ـ **مطايا**: جمع مطية الدابة التي تمتطى وأراد بالمطايا المنايا ـ **دار البلى**: عالم الموت.
(٣) **الطرف**: العين ـ **النقاب**: ما تستتر به المرأة وجهها.
(٤) **الغصون الملد**: جمع الأملد، وهو الغصن الناعم الغضّ شبّه به شباب العمر.
(٥) **الخيل العراب**: الخيل الكريمة الخالية من الهجنة.
(٦) **هجود**: ينام، وقد شبه الموت بالنوم ـ **الحشيّة**: الفراش المحشو.
(٧) **الرزايا**: المصائب ـ ممضّة: موجعه ـ **كرعته الحراب**: رمته فأصابت كُراعه، **والكراع** (من=

فـإِمَّـا كَمـا تَعـدُو الضَّـراغِـمُ عَنـوةً؛ وإِمَّـا كمـا تَمْشِـي الضَّـراءَ ذِئـابُ
فَفِـي كـلِّ يَـومٍ فَتكَـةٌ لِمُلِمَّـةٍ، يُمَـزِّقُ جَيـبٌ، تَحتَهـا، وإهـابُ[1]
ورَبـعِ خَـلاءٍ مِـن خَلِيـلٍ، وإِنَّمـا تَجـافـى حُسـامٌ مِنهُمـا وقِـرابُ
يُـذكِّـرُنيـهِ، كـلَّ حِيـنٍ، جِـوارُه، فيُحـزِنُنِـي رُزءٌ بِـهِ ومُصـابُ
فَلَسـتُ بنـاسٍ صـاحبـاً مـن رَبيعَـةٍ، إذا نَسِيَـت رَسـمَ الـوَفـاءِ صِحـابُ
أَجَلتُ طِباعِي فيهِ، فـالأنسُ وَحشَـةٌ، طِـوالَ اللَّيـالـي، والنَّعيـمُ عَـذابُ
وهَيهـاتَ لا أَغْنـى خَلِيـلٌ غِنـاءَهُ؛ وهَل عَـدَلَ العَـذْبَ الفُراتَ سَرابُ؟[2]
ومِمَّـا شَجـانـي أَن قَضَـى حَتْـفَ أَنفِـهِ، وَمـا انـدَقَّ رُمـحٌ، دُونَـه، وذُبـابُ[3]
وأَنَّـا تَجـارَينـا ثـلاثِيـنَ حِقبَـةً، فَفـاتَ سِبـاقـاً، والحِمـامُ قِصـابُ[4]
وكَيـفَ تَهـاجَـرْنـا كُهُـولاً، وإِنَّمـا لَـوى الـدَّهـرُ فَـرعَينـا، ونحـنُ شَبـابُ
كـأنْ لـم نَبِت في مَنزِلِ القَصْفِ ليلةً، نُجِيبُ بِهـا داعِـي الصِّبـا، ونُجـابُ[5]
إذا قـامَ مِنَّـا قـائِـمٌ، هَـزَّ عِطفَـه شَبـابٌ، أَرَقنـاهُ بِـه، وشَـرابُ
جَمَحنـا بمَيـدانِ الصِّبـا، ثُـمَّ إِنَّنـا كَـرَرْنـا، فَكـانَـت فِتنَـةٌ ومَتـابُ
وَلَمَّـا تَـراءَت لِلمَشِيـبِ بُـرَيقَـةٌ، وأَقشَـعَ مِـن ظِـلِّ الشَّبـابِ سَحـابُ
نَهَضنـا بـأعبـاءِ اللَّيـالـي جَـزالَـةً، وأَرسَـت بِنـا فـي النـائِبـاتِ هِضـابُ
فيـا عَجَبـاً لِلـدَّهـرِ كيـفَ سَطـا بِـهِ، وقـد كـانَ يُـرجـى، تـارَةً، ويُهـابُ
وكيف استلانَت صَولةُ الموتِ عُودَه، فلـم يَنـبُ عنـه للمنيَّـةِ نـابُ؟

= الإنسان): ما دون الركبة من مقدّم الساق.

(١) **الإهاب**: الجلد.

(٢) **عدله**: ساواه، ماثله ـ **الفرات**: الماء العذب.

(٣) **الذباب**: حدّ السيف.

(٤) **الحمام**: الموت ـ **وقوله**: **الحمام قصاب** معناه أن الموت هو الذي يفرّق ويفصل بين الصحاب ويقطع أواصرهم.

(٥) **القصف**: اللهو ـ **ومنازل القصف**: مجالس الأنس والشراب.

ولا عجبـــاً أنَّـــا ذَلَلْنـــا لحـــادثٍ، تـــذِلُّ لـــه الآســـادُ، وهـــي غِضـــابُ
وأنَّـــا خَضَعنـــا للمقـــاديـــرِ عَنـــوةً، كما خضَعَت، تحتَ السيوفِ، رِقابُ
ولـــو أنَّ غيـــرَ اللهِ كـــان أصـــابَـــه، لجاشَـت نفـوسٌ، لا تُفـادُ، صِعـابُ(١)
فيا ظاعناً قد حُطَّ، من ساحةِ البِلى، بمنـــزلِ بَيـــنٍ، ليـــسَ عنـــه إيـــابُ(٢)
كفى حَزَناً أن لم يَرِدني، على النَّوى، رســـولٌ، ولـــم ينفُـــذْ، إليـــك، كِتـــابُ
وأنِّـــي، إذا يمَّمْـــتُ قبـــرَك زائـــراً، وقفـــتُ ودونـــي، للتُّـــرابِ، حِجـــابُ
فـــأظلـــمَ قَـــرنُ الشمـــس، وهـــي مُنيـــرةٌ، وضـــاقَـــت بـــلادُ اللهِ، وهـــي رِحـــابُ
ورَقْرَقتُ، بينَ الحزنِ والصبر، عَبرةً، لهـــا جَيئـــةٌ، فـــي مُقلتـــي، وذَهـــابُ
ولـــو أنَّ حَيّـــاً كـــان حـــاورَ ميِّتـــاً، لطـــالَ كـــلامٌ، بينَنـــا، وخِطـــابُ
وأعـــربَ عمَّـــا عنـــده مـــن جَليَّـــةٍ، فـــأقلَـــع عـــن شمـــسٍ، هنـــاك، ضَبـــابُ
عليـكَ سـلامُ اللهِ مـن صـاحـبٍ قضـى، فـــأجهـــشَ رَبـــعٌ، بعـــده، وجَنـــابُ(٣)
تولَّى حميدَ الذِّكر، لم يأتِ وصمةً، فتبقـــى، ولـــم تَـــدنَـــسْ عليـــه ثِيـــابُ(٤)
أغـــرُّ طلِيـــقُ الصَّفحَتيـــن، كـــأنَّمـــا وراءَ تُـــرابِ القبـــرِ منـــه شِهـــابُ
ألا إنَّ جِسمـــاً يستحيـــلُ لتُـــربـــةٍ، وإنَّ حيـــاةً تنتهـــي، لَخَـــرابُ
فـــلا سَعـــيَ إلاَّ أن يكـــونَ لآجـــلٍ ولا ذُخـــرَ إلاّ أن يكـــونَ ثـــوابُ

(٣٩)

أنتَ طبيبُ

أأدعـو، فـلا تَلـوي، وأنـتَ قـريـبُ؟ وأَشكو، فلا تُشْكي، وأنت طبيبُ؟(٥)

---

(١) جاشت النّفوس: هاجت واضطربت.
(٢) الظاعن: الراحل، المسافر ـ الإياب: العودة.
(٣) اجهش الربع بالبكاء: تهيّأ له.
(٤) لم يأت وصمة: لم يرتكب إثماً يسيء إلى سمعته.
(٥) لا تلوى: لا تقف أو تتمهّل.

وما كنتُ أخشى أن أَرانيَ ضاحياً، وأَيكُك مطلولُ الفُروعِ رَطيبُ[1]
وهل يستجيزُ المجدُ أن أشْتكي الصَّدى، وأنتَ رِشاءٌ مُحْصَدٌ وقَليبُ؟[2]
وكيفَ بمطلوبي، إذاشطَّتِ النَّوى، وقد صَمَّ من قُربٍ، فليسَ يُجيبُ؟
فهل شِيبَ، من تلك المُصافاةِ، مَشرعٌ، وهِيلَ، على ذاك الإخاءِ، كَثِيبُ؟[3]
سلامٌ على عهدِ الوفاءِ مودِّعاً، سلامُ فِراقٍ ما أقامَ عَسِيبُ[4]
سلامٌ له، فوقَ المحاجرِ، بَلَّةٌ، وطوراً بأحناءِ الضلوعِ لهِيبُ[5]
وقد كان يَسري، والتنائفُ بيننا، فتَندَى به ريحٌ، وينفَحُ طِيبُ[6]
وتفترُّ عن بِشرٍ، هنالك، زَهرةٌ؛ ويهفُو له من مَعطِفيَّ قضِيبُ

(٤٠)

نارُ القِرى

يخيّم الشاعر وسط الطبيعة وعندما جنّه الليل، أوقد نار القرى وأمعن في وصفها وقد بسطت فوقها سماءً من دخان

ومَعِينُ ماءِ البِشرِ أَبرقَ هشَّةً، فكرَعتُ من صَفَحاتِه في مَشربِ[7]
متهلِّلٌ يَندى، حياءً، وجهُه، فتَراه بين مفضَّضٍ ومذهَّبِ[8]

---

(١) **الأيك**: الشجر الكثير الملتف.

(٢) **الصدى (هنا)**: الظمأ، والعطش الشديد ـ **الرشاء**: حبل الدلو، **الرشاء المحصد**: الحبل المفتول، المستحكم الصنعة ـ القليب: الدلو ـ يقول لائماً: كيف أظمأ وأنت كالدلو وبإمكانك أن ترويني فتذهب غلتي؟.

(٣) **شيب**: لم يعد صالحاً ـ **المصافاة**: الودّ والإخاء الصادق ـ **المشرع**: مورد الماء ـ **هيل**: المجهول من أهال (التراب): جعله ينهال.

(٤) **عسيب**: جبل.

(٥) **المحاجر**: العيون ـ **بلّة**: اسم المرّة من بلّ، والمراد الدمعة ـ أحناء الضلوع: حناياها.

(٦) **التنائف**: جمع تنوفة، الفلاة، القفر.

(٧) **المعين من الماء**: الماء الجاري المرئي بالعين ـ **البشر**: بشاشة الوجه من بشَر يبشِر، وأبشر.. به: سُرّ، بشرني بوجه حسن: أي لقيني طلق الوجه ـ **الهشة**: الابتسامة ـ كرع كرعاً وكروعاً في **الماء**: مدّ عنقه وتناول الماء بفيه من موضعه.

(٨) مفضّض: ممّوه أو مرصّع بالفضّة، ومذهّب: مرصع بالذّهب.

أضنى الحُسامَ حَسادةً، ففِرِنْدُه دمعٌ ترَقرقَ، فوقَه، لم يَسكُبِ[1]
خيّمتُ منه بين طودٍ باذخٍ نالَ السِّماكَ، وبين وادٍ مُعشِبِ[2]
تهفو به نارُ القِرى، فكأنّها، مهما عَشا ضيفٌ، لسانُ المُعرِبِ[3]
حمراءُ، نازعتِ الرياحَ رِداءَها، وَهْناً، وزاحمتِ السماءَ بمَنكِبِ[4]
ضرَبتْ سماءً من دخانٍ فوقَها، لم يُدْرَ فيها شعلةٌ من كوكبِ
وتنفَّستْ عن كلِّ نَفحةِ جَمرةٍ، باتَت لها ريحُ الجَنوبِ بمَرقَبِ
قد أُلهبَتْ، فتذهَّبَت، فكأنَّها، لسكونِ شرِّ شرارِها، لم تَلهَبِ[5]
تذكو وراءَ رَمادِها، فكأنَّها شقراءُ، تمرحُ في عَجاجٍ أكهبِ[6]
والليلُ قد ولَّى يُقلِّصُ بُردَه، كدّاً، ويسحَبُ ذيله في المغربِ[7]
وكأنما نجمُ الثريّا، سَحرةً، كفّ تُمسِّحُ عن مَعاطفِ أشهَبِ[8]

(٤١)

الأنس النّدي

ونَديّ أُنسٍ هزَّني هَزَّ الشَّرابِ من الشَّبابِ[9]

---

(١) **الفرند**: جوهر السيف ووشيه.
(٢) **الطود**: الجبل ـ **الباذخ**: العالي، الشاهق ـ **السماك**: نجم.
(٣) **القرى**: الضيافة، ونار القرى: النار التي يهتدي بها المسافر ليلاً وصولاً إلى أماكن الضيافة ـ **عشا الضيف إلى النار**: قصدها ليلاً.
(٤) **وهنا**: أثناء الليل.
(٥) **ألهبت النار**: أضرم لهبها ـ **تذهّبت**: صارت بلون الذهب من شدّة التوقد.
(٦) **ذكت النار**: سعّرت واشتد لهبها ـ **تمرح**: تختال مزهوة ـ **العجاج**: الغبار ـ **الأكهب**: اللون الأغبر المشرب سواداً.
(٧) **قلّص البرد**: شمّره ورفعه، **والبرد**: الثّوب.
(٨) **الثريا**: مجموعة نجوم ـ **سحرة**: أي في السحر ـ **معاطف**: أعناق، جمع معطف ـ **الأشهب**: الفرس الأشهب أي البيضاء التي يداخل بياضها سواد.
(٩) **نديّ أنس**: النّادي أو مجلس أنس ـ **هزّني**: حرّكني بقوة، أهاج مشاعري.

والليـــــلُ وضَّــــاحُ الجَبيــــنِ، قصيــــــرُ أذيــــالِ الثِّيــــابِ[1]
فقَنَصــــتُ منــــه حَمــــامــــةً بيضــــاءَ، تَسنــــحُ مــــن غُــــرابِ[2]
والنَّــــورُ مبتسِــــمٌ، وخــــدُّ الــــوردِ محطــــوطُ النِّقــــابِ[3]
ينــــدَى بــــأخــــلاقِ الصِّحــــاب، هنــــاك، لا بنَــــدى السَّحــــابِ[4]
وكِــــلاهُمــــا نَثــــرٌ، كمــــا نَثَــــروا القــــوافــــيَ بــــالخِطــــابِ[5]
فكــــأنَّ كــــأسَ سُــــلافــــةٍ ضَحِكــــت، إليهــــم، عــــن حَبــــابِ[6]

(٤٢)

دَعْ عنْكَ

دع عنكَ مِن لومِ قومٍ لستَ تَخْبُرُهُمْ، إلاَّ تَكَشَّـفَ سِتـرُ الغَيـبِ عـن عَيْـبِ[7]
عُوجٌ، على الدَّهرِ، هُوجٌ، غيرَ أنَّهمُ سُـودٌ مـنَ الجهـلِ، بِيضـانٌ مـن الشَّيـبِ

(٤٣)

بادَ فٱنقضى

بعَيشِك هل تَدري، أَهُوجُ الجَنائِبِ، تَخُبُّ برَحلي، أم ظُهورُ النَّجائبِ؟[8]
فما لُحتُ في أُولى المشارقِ كوكباً، فأشرَقتُ، حتى جِئتُ أُخرى المغاربِ
وحيـداً تَهـادانـي الفَيـافـي، فـأجتلـي وجـوهَ المَنـايـا، فـي قِناعِ الغَيـاهِـبِ[9]

(١) **الليل الوضاح الجبين**: الليل المقمر ـ **ليلٌ قصير الأذيال**: كناية عن تقلّص رقعة ظلامه المنعكس على الأرض.
(٢) **قنص**: تصيّد ـ **تسنح من غراب**: أي تقبل هرباً من غراب، وفي البيت تورية.
(٣) **النور المبتسم**: الزهر المفتّرة أكمامه ـ **النّقاب (أصلاً)**: الغطاء، **ونقاب الورد**: كمائمه وقوله: محطوط النّقاب: أي متفتح الأكمام.
(٤) **يندى**: يجود ـ **ندى السحاب**: طلّه، المطر.
(٥) **القوافي**: كناية عن أبيات الشعر.
(٦) **السلافة**: الخمرة ـ **الحباب**: ما يعلو من الفقاقيع.
(٧) **تخبرهم**: تختبرهم، تمتحنهم.
(٨) **الجنائب**: رياح الجنوب ـ **الهوج**: الهوجاء ـ **النجائب**: النّوق الكريمة، جمع نجيبة.
(٩) **تهاداني الفيافي**: تتهاداني، والفيافي: جمع فيفاء، الفلاة المقفرة ـ **إجتلى الوجوه**: نظر إليها ـ

ولا جـارَ إلاَّ مـن حُسـامٍ مُصمَّـمٍ؛ ولادارَ إلاَّ فـي قُتُـودِ الـرَّكـائِـبِ[1]
ولا أُنسَ إلاَّ أن أُضـاحِـكَ، سـاعـةً، ثُغـورَ الأمـانـي فـي وجـوهِ المطـالـبِ
وليلٍ، إذا ما قلتُ قد بادَ، فانقضى، تكشَّفَ عـن وعـدٍ مـن الظَّنِّ كـاذبِ[2]
سحَبتُ الـدَّيـاجـي فيـهِ سـودَ ذوائـبٍ، لأعتنِـقَ الآمـالَ بِيـضَ تـرائِـبِ
فمزَّقتُ جَيبَ الليل عن شخصِ أطلسٍ، تَطلَّـعَ وَضّـاحَ المَضـاحِـك قـاطِـبِ[3]
رأيـتُ بـه قِطْعـاً مـن الفجـرِ أغبَشـاً، تـأمَّـلَ عـن نجـمٍ، تَـوقَّـدَ، ثـاقـبِ
وأرعـنَ طَمّـاحِ الـذؤابـة، بـاذخٍ، يطـاوِلُ أعنـانَ السمـاء بغـاربِ[4]
يسُـدّ مَهـبَّ الـريـحِ عـن كـلِّ وُجهَـةٍ، ويَـزحَـمُ، ليـلاً، شُهبَـهُ بـالمَنَـاكِـبِ
وقـورٍ، علـى ظَهـرِ الفـلاةِ، كـأنـه، طِـوالَ اللَّيـالـي، مُفكـرٌ فـي العَـواقـبِ
يلـوثُ عليـه الغَيـمُ سـودَ عَمـائـمٍ، لها، من وَميضِ البَرقِ، حُمرُ ذَوائبِ[5]
أَصَخـتُ إليـه، وهـو أخرسُ صـامتٌ، فحـدَّثَنـي ليـلُ السُّـرى بـالعَجـائـبِ
وقـالَ: ألا كـم كنـتُ ملجـأ قـاتـلٍ، ومَـوطِـنَ أوّاهٍ، تَبتَّـلَ، تـائِـبِ[6]
وكـم مَـرَّ بـي مـن مُـدلِـجٍ ومُـؤوِّبٍ، وقـالَ بظِلِّـي مـن مَطِـيٍّ وراكـبِ[7]
ولاطَمَ، من نُكبِ الرياحِ، معاطفي، وزاحَمَ، من خُضرِ البحارِ، غَوارِبِي[8]
فمـا كـان إلاّ أنْ طَـوَتهُـم يـدُ الـرَّدى، وطـارَت بهـم ريـحُ النَّـوى والنَّـوائِـبِ

= الغياهب: جمع غيهب: الظلمة الشديدة.

(١) **الحسام المصمّم**: السيف الماضي القاطع ـ **القتود**: جمع قتد خشبة الرحل.

(٢) **باد الليل**: ذهب، وولّى.

(٣) **الأطلس**: الذئب الأغبر المائل إلى السواد ـ **المضاحك**: جمع مضحك، الثغر ـ **القاطب**: العابس المتجهم.

(٤) **الأرعن**: الجبل ذو الرعان، الطويل ـ **الذؤابة بعامّة**: الشعر المضفور، **والذؤابة من كل شيء** أعلاه، وهنا قمة الجبل ـ **أعنان السماء**: السحب ـ **الغارب**: الظهر.

(٥) **يلوث**: يعقد، يربط ـ **العمائم**: جمع عمامة غطاء الرأس.

(٦) **الأواه**: الكثير التأوّه ـ تبتل: تنسك وتعبّد.

(٧) **المدلج**: السائر ليلاً ـ **المؤوب**: العائد.

(٨) **الغوارب**: جمع غارب، الظهر.

فمـا خَفْـقُ أيكـي غيـرَ رَجفـةِ أضلُـعٍ؛ ولا نَـوْحُ وُرقِـي غيـرَ صَـرخـةِ نـادِبِ[1]
ومـا غَيَّـضَ السُّلـوان دمعـي، وإنمـا نَـزَفـتُ دُمـوعـي فـي فِـراقِ الصَّـواحِـبِ
فحتَّى متى أَبقى، ويظْعَنُ صاحِبٌ، أُودِّعُ منـــه راحِـــلاً غيـــرَ آيِـــبِ؟
وحتَّى متى أَرعى الكواكِبَ ساهراً، فمن طالعٍ، أُخرى الليالي، وغارِبِ؟[2]
فـرُحمـاك يـا مَـولايَ، دِعْـوةَ ضـارعٍ، يمُـدُّ إلـى نُعمـاك راحـةَ راغـبِ
فـأسمَعَنـي، مـن وَعِظـه، كـلَّ عِبـرةٍ، يتـرجِمُهـا عنـه لسـانُ التجـارِبِ[3]
فسَلَّى بما أَبكى، وسرّى بما شَجا، وكان، على عَهدِ السُّرى، خيرَ صاحِبِ
وقُلْـتُ، وقـد نكَّبْـتُ عنـه لِطيَّـةٍ: سَـلامٌ، فـإنَّـا مِـن مُقيـمٍ وذاهِـبِ[4]

(٤٤)

يا ملكَ الملوك

من مدائحه التي أثنى بها على أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين

بمثـلِ عُـلاكَ، مـن مِلْـكٍ حسيـبِ، عـدَلْـتُ إلـى المـديـحِ عـن النسيـبِ[5]
وسـاعَـدَنـي ثَنـاءٌ فيـك رَطْـبٌ، كمـا سـرَتِ التحيَّـةُ مـن حَبيـبِ
وهـزَّت مـن مَعـاطِفـيَ القَـوافـي، كمـا هفَـت النُّعـامـى بـالقضيـبِ[6]
أمَـــا ورُواءِ دولتِـــه، يمينـــاً تـألأهـا نجيـبٌ فـي نَجيـبِ[7]
لقـد ضحِـك الصبَّـاحُ بمُجتَـلاه، وراءَ الليـلِ، عـن ثَغـرٍ شنيـبِ[8]

---

(١) **الورق**: الحمائم، جمع ورقاء ـ **النادب**: الباكي المتفجع.
(٢) **الكوكب الغارب**: الآفل.
(٣) **العِبرة** (بالكسر): الموعظة، والعَبْرة (بالفتح): الدّمعة.
(٤) **الطيّة**: السفر.
(٥) **الملك الحسيب**: ذو الحسب، والحسب: المحتد الشريف ـ النسيب: الغزل.
(٦) **هزّت**: حرّكت ـ **المعاطف**: حنايا النفس ـ **القوافي**: الشعر من باب المجاز المرسل ـ **هفت**: تطاير لخفته، انخفض وهفت **أيضاً**: تساقط ـ **النّعامى**: ريح الجنوب.
(٧) **الرُّواء**: حسن المنظر ـ **تألّى اليمين**: حلفها ـ **النجيب**: الكريم الأصل.
(٨) الثغر النشيب: الطيّب.

وظَـاهـرَنـي، بمُغتـرَبـي، حُسـامٌ، أَنِسـت بـه، ونِعـمَ أَخـو الغـرِيـبِ
أَشِيـمُ بـه سَنَـا بـرقِ يَمـانٍ، يُخفِّـرنـي إلـى المَـرعـى الخصِيـبِ
إلـى جَـذلانَ، وضّـاحِ المُحيّـا، سليـمِ القلـبِ والصـدرِ الـرَّحيـبِ
إلـى يقظـانَ، وقّـادِ العَـوالـي، مُـريـشِ السَّعْـيِ بـالـرأيِ المُصيـبِ(١)
يسـاورُ، منـه، طـوراً، ليـثَ غـابٍ، ويمسَـحُ، تـارةً، عِطْفَـيْ أَدِيـبِ
إذا استمطـرتَ منـه غَمـامَ رُحْمـى، أَوِ استنصـرتَ فـي يـومٍ عصيـبِ(٢)
مَـلأتَ يـديـك يُسـراهـا بيسـرٍ، ويُمنـاهـا بمُختَـرَطٍ خشيـبِ(٣)
فـإن تنـزِلْ، فـلا بسـوى تميـمٍ؛ وإن تحمِـل، فـلا بسـوى قضيـبِ(٤)
فـإنَّ الغيـثَ فـي بيـضِ الأيـادي؛ وإنَّ الغَـوثَ فـي النَّصـلِ الخضيـبِ(٥)
إمـامٌ فـي الـذُّؤابـة مِـن قُـرَيـشٍ؛ وحَسـبُ المجـدِ من عُـودٍ صليـبِ(٦)
تَشِيـمُ بصَفحَتَيـهِ بُـروقَ بِشـرٍ، تُعيـدُ بَشـاشـةَ الـرَّوضِ الجـديـبِ
تَمُـجُّ الـريَّ أنفـاسُ المَجـانـي بـه، ومَغـارسُ العُـودِ السليـبِ(٧)
ويجمُـلُ فـي حُبـاه طَـودُ حِلـمٍ، تعُـدُّ، خـلالَـه، رمـلَ الكثيـبِ(٨)
تَطلَّـعَ، للعيـونِ وكـلِّ قلـبٍ، شُعـاعٌ يُستطـارُ مـن الـوجيـبِ

---

(١) **العوالي**: الرماح ـ **مريش**: اسم فاعل من أراش (السهم): ألزق عليه الريش، **والرّائش**: السهم ذو الرّيش، وقوله مريش السّعي من باب الاستعارة **أي أنّه يجد في المسعى ويرمي فيصيب** مرماه.
(٢) **استمطر منه الرحمى**: سأله إياها ـ **اليوم العصيب**: الشديد.
(٣) **المخترط**: أي السيف المخترط، **الخشيب**: السيف المسلوك.
(٤) **التميم هنا**: التام الشمائل.
(٥) **الغيث**: المطر ـ **الغوث**: العون ـ **النّصل**: حديدة السهم، **والنّصل الخضيب**: المخضّب بالدم.
(٦) **الذؤابة**: الأعلى من كلّ شيء ـ **العود الصليب**: أي الخالص النّسب.
(٧) **مجّ الشيء**: رمى به ـ **العود السليب**: المقشور.
(٨) **يجمل**: يبدو جميلاً ـ **الحبى**: جمع حبوة، العمامة أو الثوب ـ **الطود**: الجبل ـ **الحلم**: الرزانة الوقار.

بمُعضِلـةٍ تَشيـبُ لهـا النَّـواصـي، فمـا تَلقـى، هنـالـك، غيـرَ شِيـبِ
فقلـتُ، وقـد زجَـرتُ الطَّيـرَ: مهـلاً، فغِـربـانُ العـدوِّ إلـى نعيـبِ
كـأنَّـك بـالظهـورِ يشُـدُّ رَكضـاً، وبـالبُشـرى تَخُـبُّ علـى نجيـبِ[1]
وقـد غنَّـى الحُسـامُ يَصِـلُّ قَـرعـاً، وأَفضـى بـالعـدوِّ إلـى النحيـبِ
فـأضحَـكَ، مـن نَجـاةِ الثغـرِ، ثَغـراً؛ ونَفَّـس، مـن حِمـاه، عـن كئيـبِ
فقَـرَّ، وكـان أخفـقَ مـن جَنـاحٍ؛ ونـامَ، وكـانَ أَرعـى مـن رقيـبِ
وهـل جَمَـعَ العِـدى إلّا هشيـمٌ؛ وهـل بِيـضُ السيـوفِ سـوى لهيـبِ؟
فقـل للخيـلِ، والأبطـالُ شُـوسٌ: أَلا كُـرِّي، وقـل للشمـسِ: غيبـي[2]
وبَـرِّد حـرَّ أَحشـاءِ المـوالـي؛ وخَضخِـض لُجَّـةَ العَلـقِ الصّبيـبِ[3]
وبَـدِّد شمـلَ آمـالِ الأعـادي؛ وطَـأ تيجـانَ أَربـابِ الصليـبِ
وسُمْهُـم، إن يَعُضُّـوا أَو يعَضُّـوا، بعَقـبِ الحَـربِ، أُنملـةَ الحـريـبِ[4]
فـإنَّـك، والـرِّبـاطُ إلـى اغتبـاطٍ، كفيـلُ السَّعْـدِ بـالفَتـحِ القـريـبِ[5]
وإنّـي، والنسِيـمُ بهـا لـذيـذٌ، لَمشتمِـلٌ علـى نَفَـسٍ مُـذيـبِ
لحـادثـةٍ تُصـدِّعُ مـن صَفـاتـي، مكـدِّرةٍ صَفـاءً مـن قليـبِ[6]
فهـا أَنـا أَلحـظُ الأيـامَ شـزراً، وأَرميهـا بطَـرفِ المُستـريـبِ
وأَشكـو، لـو شكـوتُ، إلـى مُصيـخٍ، ليـالـيَ لا تـوقِّـرُ مـن مَشيـبِ
تَمشَّـى، تـارةً، مشـيَ السَّبَنْتـي، وآونـةً، تَـدِبُّ دبِيـبَ ذيـبِ[7]

---

(١) **تخبّ**: تجري، تعدو، من الخبب وهو ضرب من العدو.
(٢) **الأبطال الشوس**: الطّوال.
(٣) **خضخض**: الأمر من خضخض: أي حرّك ـ **العلق**: الدم ـ الصبيب: المسفوح.
(٤) **الأنملة**: الأصبع، أو رأس الإصبع ـ **الحريب**: الذي سلب ماله.
(٥) **الرباط**: أراد مدينة الرباط المغربيّة.
(٦) **صدّع الشيء**: شقّه ـ الصفاة: العقل ـ **القليب**: البئر.
(٧) **السّبنتى**: الشجاع ذو الجرأة، والسّبنتى: النّمر ـ **ذيب**: مخفف ذئب.

وكنتُ، متى استرَبتُ من الليالي، فزعتُ إلى ثبيرٍ أو عَسِيبِ[1]
إلى جبلٍ، أصُدُّ به العَوادي، وأقتادُ المُنى قَودَ الجنيبِ[2]
أظَلُّ به أُنادي من بعيدٍ، وألتمِسُ المَطالبَ من قريبِ
فيا مَلِكَ المُلوكِ، ولي لِسَانٌ يُشيرُ به البَنانُ إلى خَطيبِ
يفُضُّ بكلِّ قافيةٍ خِتاماً، ويُفعِمُ كلَّ نادٍ ريحَ طِيبِ
دعاءٌ، لو دعوتُ به جَماداً، لَهَزَّ مَعاطفَ الغُصنِ الرَّطِيبِ
ومِثلي هَزَّ مثلَك، ثم أصغَى، على ثِقةٍ، يُصيخُ إلى مُجيبِ
وردَّدَ فيك نَظرتَه، رجاءً، كما التفتَ العليلُ إلى الطبيبِ

(٤٥)

إنَّه لَمبرّزٌ

يا لِينَ عِطفي، واخضِرَارَ جَنابي، لِرَفيفِ آدابٍ، وماءِ شَبابِ
راقا ورَقَّا، فالْتقَى بِهِما، مَعاً، ثَغْرُ الحبَابِ، وأوجُهُ الأحبابِ
فَسَجَعتُ ثَمَّ حَمامَةً، ومِنَ المُنى أنّي استعَرتُ لَها جَناحَ غُرابِ
وسَكِرتُ سُكْرَيْ قهوةٍ وشبيبَةٍ؛ وسَحَبتُ مِن ذَيْلَيْ هَوًى وتَصابي[3]
وأَمَّا وطِرفي، إنَّه لَمُبَرّزٌ، في حَلْبَةِ الشُّعَراءِ والكُتَّابِ
مُتَخايِلٌ، في صَدرِ كلِّ جَريدَةٍ، بقَصيدَةٍ وكَتيبَةٍ لِكِتابِ[4]

(٤٦)

أَجَدْتَ وجُدْتَ

كتب هذه الأبيات إلى أبي إسحاق بن ميمون

بَرَعتَ فَرُعتَ، فمَن ذا حَبيبٌ، له الوَيلُ، أَم مَن أَبو الطَّيِّبِ

---

(١) استراب: داخله الريب، شكّ ـ فزع إلى المكان: لجأ ـ ثبير وعسيب: جبلان.

(٢) أصدّ: أدفع ـ العوادي: الشدّائد، وعوادي الدهر: عوائقه.

(٣) سحب من ذيله: تبختر، مشى زهواً.

(٤) المتخايل: المزهو ـ الجريدة: الكوكبة من الفرسان.

وَلَــوْ جــارَيَــاكَ إلــى غــايــةٍ، لَفُــزتَ، وكــانــا مــن الخُيَّــبِ[1]
أَجَــدتَ وَجُــدتَ، فَمِــن رَوْضَــةٍ تَضُــوعُ، ومِــن وابِــلٍ صَيِّــبِ[2]
وحَسبــيَ عليــاكَ مِــن دَوحَــةٍ، وبِــرُّكَ مِــن ثَمَــرٍ طَيِّــبِ
وعِنــدي، فهَــلْ لــكَ مِــن رَغبَــةٍ، لــكَ البِكــرُ فــي خُلُــقِ الثَّيِّــبِ؟[3]

(٤٧)

أثْمَرَتْ بالذّهب

يصف حديقة الطير فيها يخطب والأغصان تطرب، وتزدهي فيها نارنجة خضراء محملة بثمار من الذهب.

ألا أَفصَــحَ الطَّيــرُ، حتــى خطَــبْ، وخــفَّ لــه الغصــنُ، حتــى اضطَّــرَبْ
فمِــلْ طــربــاً بيــنَ ظِــلٍّ، هَفــا، رطيــبٍ، ومــاءٍ، هنــاك، انثعَــبْ[4]
وجُــلْ فــي الحــديقــةِ، اختِ المُنَــى، ودِن بــالمُــدامــةِ، أمِّ الطَّــربْ[5]
وحــاملــةٍ، مــن بنــاتِ القَنــا، أمــاليــدَ تَحمِــلُ خُضــرَ العَــذَب[6]
تنــوبُ، مــورقــةً، عــن عِــذارٍ؛ وتضحَــكُ، زاهــرةً، عــن شَنَــب[7]
وتنــدَى بهــا، فــي مهَــبِّ الصَّبــا، زَبَــرْجَــدَةٌ أثمــرَت بــالــذَّهــب[8]
تَفــاوَحُ أنفــاسُهــا تــارةً؛ وطَــوراً تغــازِلُهــا مــن كثَــب[9]

(١) الخيّب: الذين تصيبهم الخيبة، أي الفشل.
(٢) الوابل الصيّب: المطر الشديد الانهمار.
(٣) الثيّب: المتزوجة التاركة زوجها، المرأة غير البكر.
(٤) هفا (الظلّ): خفق ـ انثعب الماء: سال.
(٥) جُلْ: الأمر من جال، جال في المكان: طاف ودار ـ المدامة: الخمر.
(٦) حاملة: أي شجرة حاملة ـ بنات القنا: كناية عن الأغصان ـ والقنا: جمع القناة، العود الطويل ـ الأماليد: الأغصان الناعمة واللّيّنة، جمع أملود ـ العَذَب (بفتح الأول والثاني): الأفنان.
(٧) العذار: الشعر الذي يلي شحمة الأذن ـ، الشّنب: الأسنان البيضاء، والشّنب أيضاً: الريق.
(٨) الزبرجدة: من الحجارة الثمينة، والزبرجد أخضر اللون ـ وقوله: أثمرت بالذهب يقصد ثمار شجرة النّارنج الذهبية اللون.
(٩) تفاوح أنفاسها: تنتشر ـ طوراً: تارة ـ من كثب: أي من مكان قريب.

فتبسِـمُ، فـي حـالـةٍ، عـن رِضـاً؛ وتنظُـرُ، آونـةً، عـن غضَـب

(٤٨)
دعاني النُهى

ألا دَعـانـي اليـومَ داعـي النُّهـى، وقَـوَّمَـتْ قِـدحـيَ أَيـدي الخُطُـوبْ[١]
وكنـتُ خفَّـاقَ جَنـاح الصِّبـا، جَـرَّارَ أذيـالِ التصـابـي، سَحُـوبْ[٢]
فـربَّ ليـلٍ أقمـرٍ بِتُّـهُ، مُهتـزَّ أعطـافِ الأمـانـي، طَـرُوبْ
هَصَـرتُ فيـه مـن غصـونِ الصِّبـا؛ وبِـتُّ أجنـي مـن ثِمـارِ الـذُّنـوب
سِيّـانِ سِيّـانِ صبـاحُ المُنـى، إذا انطـوى عنـك، وليـلُ الكُـرُوبْ[٣]

(٤٩)
اسحَبْ ذُيولَ اللهو

يدعو الشاعر إلى نهب اللذات قبل أن يولي قطار العمر.

أيُّ زمـانٍ جـادَ إلاَّ نَهَـبْ، أم أيُّ خَطْـبٍ جـارَ إلاَّ ذَهَـبْ؟[٤]
كُـلاًّ طـوى الـدهـرُ، فـلا مـا وَهَـى بجـانـبٍ دامَ، ولا مـا وَهَـبْ[٥]
فمـا لعقـلٍ وافـرٍ والمُنـى؛ ومـا لنفـسٍ حُـرَّةٍ والـذَّهَـبْ
فَصِـلْ، إذا قـارعـتَ قِـرنـاً، وصـلْ خِـدْناً، ولا تُقْلِـعْ، إذا السيفُ هَـبّ[٦]

---

(١) النّهى: العقل ـ القدح: السهم ـ الخطوب: الدّواهي، والأمور الجليلة جمع خطب.
(٢) التصابي: الميل إلى اللهو.
(٣) سيّان: مثنى سيّ، والسيّ: المثل ـ الكروب: جمع كرب، الحزن والغم الشديد.
(٤) الخطب: الشأن، والخطب الأمر المكروه ـ جار: من الجور، وهو الظلم والاستبداد.
(٥) وهى (الشيء): خار وضعف ـ وهب: منح وأعطى. تلاحظ المجانسة غير التّامة بين: وهي، ووهب.
(٦) صل: الأمر من صال: وثب للسطو، وصال: قهر ـ قارع: صارع ـ القِرن (بكسر القاف): النّد، المثيل ـ الخدن: الحبيب، الصاحب.

وابتَــع بكيــسٍ كــاسَ مَشمــولــةٍ، واسحَب ذيولَ اللَّهو، واخلَع، وهبْ[١]
واستضحــكِ المجلِــسَ عــن قَهــوةٍ، قــد نبَّهَــت للصُّبــحِ هُــدأً، فهَــبّ[٢]
نــاريّــةِ اللَّــذعــةِ، نُــوريَّــةٍ، فــي صُفــرةٍ فــاقعــةٍ، أو صَهَــبْ[٣]
وهُــزَّ، مــن عِطفَيــك عــن نَشــوةٍ، غُصنــاً، إذا مــا نفَّــسَ الصُّبــحُ هَــبّ
بــأبيــضٍ، كــالمــاءِ، مستــودَعٍ، مــا شئتَــه مــن أحمــرٍ، كــاللَّهَــبْ[٤]
لــو ذابَ هــذا لجَــرى فِضَّــةً، أو جَمَــدتْ تلــك لكــانــت ذهَــبْ[٥]

(٥٠)

أَحِنُّ. . . معَ الغُروبِ

لا، والــذي تُجلــى الكــروبُ بــه، وتَنفــرِجُ الخُطــوبْ
لا بِــثُّ، إلاَّ بيــن دَمــعٍ يَنهمــي، وَحَشــاً يَــذوبْ[٦]
حَــرّانَ، أَنتشــقُ النسيــمَ، ونِعــمَ مســلاةُ الكــروبْ[٧]
لا تلتقــي الأجفــانُ فيــك، ولا المضــاجــعُ والجُنــوبْ
أبــداً أحِــنُّ إليــك شــوقــاً، كــالغــريــبِ مــعَ الغُــروبْ
وأقــولُ للــرِّيــحِ الجَنــوبِ، مــعَ الأصيــلِ، صِلــي الهُبــوبْ
فهــلِ استطبــتَ بــيَ الشَّمــالَ، كمــا استطبــتُ بــكَ الجَنــوبْ؟

---

(١) **كاس**: مخفّف كأس ـ **الشمولة**: الخمرة التي بردّتها ريح الشمال ـ **هب**: الأمر من وهب، أعطى دون مقابل.

(٢) **القهوة**: الخمرة ـ **الهدء**: الجزء من الليل، يقال: هدأة الليل: أي وقت النوم.

(٣) **نارية اللذعة**: أي مذاقها حاد كالنّار ـ **نوريّة**: نسبة إلى النور أي مشعّة كالضياء ـ **الصهب**: اللون الأشقر.

(٤) **بأبيض**: أي بكأس أبيض ـ **من أحمر**: أي شراب أحمر ـ **كاللهب**: شبه الخمرة بالهب بجامع الحدّة واللون.

(٥) **ذاب هذا**: أي الكأس ـ **تلك**: الخمرة.

(٦) **انهمى الدمع**: سال وجرى غزيراً ـ **الحران**: الشديد العطش.

(٧) **الكروب**: جمع كرب، الحزن ـ **الخطوب**: جمع خطب، الأمر المكروه.

(٥١)

ثَمَّ الحسابُ

أَلا قَصــرُ كــلِّ بَقــاءٍ ذَهــابْ، وعُمــرانُ كــلِّ حيــاةٍ خَــرابْ[١]

وكــلّ يُــدانُ بمــا كــانَ دانَ، فثَــمَّ الجَــزاءُ، وثَــمَّ الحِســابْ

فــلا تُجــرِ كفَّــك، مــن مُهــرَقٍ، بمــا لا يَســرُّ، هنــاك، الكِتــابْ[٢]

فــإنَّــك يــومــاً مُجــازى بــه، وإنَّ يَــــداً كَتَبَتْــــه تُــــرابْ

ولا خِطَّــةٌ غيــرَ إحــدى اثنَتيــنِ: إمَّــا نعيــمٌ، وإمَّــا عَــذابْ

فــرُحمــاك! يــا مَــن عليــه الحِســابُ؛ وزُلفــاك! يــا مــن إليــهِ المــآبْ[٣]

---

(١) الذّهاب: فناء الشيء، ذهابه إلى غير عودة.

(٢) المهرق: اسم مفعول من أهرق، أهرق الماء: صبّه، والدم: سفكه.

(٣) الزّلفى: المنزلة ـ المآب: الرجوع، العودة.

قافية التاء

(٥٢)
كيف آنَسُ بالمُنى

أَلا صُمَّتِ الأجداثُ عنّي فلم تُجِب، ولم يُغْنِني أنّي رَفَعتُ لها صوتي[١]
فيا عجباً لي! كيفَ آنَسُ بالمُنى، وغايةُ ما أَدْرَكتُ منها إلى الفَوتِ؟
وهل من سرورٍ، أَو أَمانٍ لعاقلٍ، ومَفضى عُبورِ العابرين إلى المَوتِ؟[٢]

(١) **صمّت الأجداث**: لم تسمع ـ **الأجداث**: جمع جدث: القبر.
(٢) **مفضى**: اسم المكان من أفضى إلى: وصل إلى.

قافية الثاء

(٥٣)
نَشْوَةٌ

وعَشــيٍّ أُنْــسٍ أَضجَعَتنــي نَشــوةٌ ... فيــه، تُمهِّــدُ مضجَعــي وتُــدمِّــثُ[١]
خلعَــتْ علــيَّ بــه الاراكــةُ ظِلَّهــا، ... والغُصــنُ يُصغـي، والحَمـامُ يُحـدِّثُ[٢]
والشمـسُ تَجنَـحُ للغـروبِ، مـريضـةً، ... والـرَّعـدُ يَـرقـى، والغَمـامـةُ تَنفُـثُ

(٥٤)
أرى به عزّاً

قال ابن خفاجة هذه الأبيات وقد عاده صديقه الفقيه ابن عائشة:

إنَّ الليــالــي، لا دَهَتــكَ، لَعــائِثَــهْ، ... فـوقَيـتُ فيـك يـدَ الـزَّمـانِ العـابِثَـهْ[٣]
وسلِمـتُ مـن خِـلٍّ يعـودُ علـى النَّـوى، ... كـرَمـاً، فتَنفـرِجُ الخُطـوبُ الكـارِثَـهْ[٤]
فـأرى بــه، للقلــبِ، قلبــاً ثــانيــاً، ... عِــزّاً، وللعينيــنِ عينــاً ثــالثَــهْ

---

(١) أضجعتني: جعلتني أضّجع أي أرقد ـ تدمّث المضجع: تجعله ليناً.
(٢) الأراكة: جمع الأراك، شجر يستاك به.
(٣) العائثة: اسم فاعل مؤنث من عاث عوثاً فلاناً عن كذا: صرفه عنه حتى تحيّر ـ العابثة: اللاهية.
(٤) الخلّ: الصديق ـ النّوى: البعد.

قافية الجيم

(٥٥)
لَنا نَهْجُ

لعَمريَ! لو أَوضَعتُ في مَنهَج التُّقى، لكانَ لنا، في كلِّ صالحةٍ، نَهْجُ[١]
فمـا يستقيـمُ الأمـرُ، والمَلْـكُ جـائـرٌ، وهل يستقيمُ الظِّلُّ ، والعُودُ مُعوَجُّ؟

(١) أوضع: أسرع في سيره ـ المنهج: الطريق الواضح.

قافية الحاء

(٥٦)
إذا أَعْوَلتُ

قال هذه المرثية متحسراً لفقد ابن أخته محمد وقد مات في اغمات:

أَرَقتُ أَكُفَّ الدَّمع، طَوراً، وأَسفحُ، ... وأَنْضَحُ خدِّي، تارَةً، ثُمَّ أَمْسَحُ[١]

ودونَك طَمَّاحٌ، من الماءِ، مائِجٌ، ... يعُبُّ، ومُغْبَرٌّ، منَ التُّربِ، أَفيَحُ[٢]

وإنّي، إذا ما اللَّيلُ جاءَ بِفَحمةٍ، ... لأوري زِنادَ الهَمِّ فِيها، فأقدَحُ[٣]

وأُتبِعُ طِيبَ الذِّكرِ أَنَّةَ مُوجَعٍ، ... فينفَحُ هذا حيثُ هاتِيكَ تَلفَحُ

وأَلقَى بياضَ الصُّبحِ يَسوَدُّ وَحشةً، ... فأحسِبُني أُمْسِي على حينَ أُصبِحُ

ويُوحِشُني ناعٍ، منَ اللَّيلِ، ناعِبٌ، ... فأزجُرُ منه بارِحاً لَيس يَبرَحُ

وأَستَقبِلُ الدُّنيا بِذِكرى مُحمدٍ، ... فيَقبُحُ في عَينيَّ ما كان يَملُحُ[٤]

وأُشفِقُ مِن مَوتِ الصِّبا، ثُمَّ إنَّني ... لآمُلُ أَنَّ اللهَ يَعفُو، ويَصفَحُ

---

(١) أرقت الدمع: سكبته ـ نضح خدّه: بلّه.

(٢) دونك طمّاح من الماء: أي يحجزك عن غايتك ـ أراد بالطّماح.. البحر ـ المائج: الهائج والمضطرب ـ الأفيح: الواسع.

(٣) أورى الزناد: أخرج ناره ـ أقدح (بالزّند): حاول إخراج النار منه.

(٤) يملح الشيء في عينه: يحلو.

غُلامٌ، كما استَخشَنتَ جانِبَ هَضبَةٍ، ... ولانَ على طَشٍّ، منَ المُزنِ، أَبطَحُ[١]
أَقُولُ، وقد وافى كِتابُ نَعِيِّهِ، ... يُجمجِمُ في أَلفاظِهِ، فيُصرِّحُ
أَرامٍ بأغماتٍ يُسَدِّدُ سَهمَهُ، ... فيَرمي، وقَلبٌ بالجَزيرَةِ يُجرَحُ؟[٢]
فيا لَغَريبٍ، فاجأتْهُ مَنيَّةٌ، ... أَتَتهُ على عَهدِ الشَّبابِ تُلَحلِحُ[٣]
كأنَّ لهيباً، بينَ جنبَيَّ، واقِداً، ... بهِ، ورَكايا، بينَ جَفنَيَّ، تُمتَحُ[٤]
جَلَستُ أَسُومُ الدَّهرَ فيهِ مَلامَةً، ... وكُنتُ، كما قد كُنتُ، أُثني وأَمْدَحُ[٥]
تَراني، إذا أَعْوَلتُ حُزناً، حَمامَةً ... تُرِنُّ، وطَوراً، أيكةً تَتَرنَّحُ[٦]
غَريقاً ببَحرِ الدَّمعِ والهَمِّ والدُّجى، ... ولو كانَ بَحراً واحداً كُنتُ أَسبَحُ
أُحَمِّلُ أنفاسَ الشَّمالِ تَحيَّةً، ... يَنُوءُ بها من ماءِ جَفنِي، فيرزَحُ[٧]
فلي نَظرَةٌ، نحوَ السَّماءِ، ولَوعَةٌ، ... تَلَدَّدُ بي، نحوَ الجَنوبِ، فأجنَحُ[٨]
فرادَعتُ عنها النفسَ، والنفسُ صَبَّةٌ؛ ... وراوَغتُ حُسنَ الصبرِ، والصبرُ أَرجحُ[٩]
فَنَمَّ، بأسرارِ الصَّبابةِ، مَدمَعِي؛ ... وكلُّ إناءٍ، بالذي فيهِ، يَرشَحُ
وأيأستُ قلباً، كانَ يَخفِقُ، تارَةً، ... وتَنزُو بهِ الآمالُ، طَوراً، فيطمَحُ
فما أَتَلَقَّى الرَّكبَ، أَرجُو تَحيَّةً ... تُوافي لهُ، أو رُقعَةً تُتَصفَّحُ
فَفِي ناظِري، للَّيلِ، مَربَطُ أدهَمٍ، ... وفي وَجنَتي، للدَّمعِ، أَشهَبُ يَجمَحُ
إذا كانَ قَصرُ الأنسِ، بالإلفِ، وحشَةً، ... فما أَشتَهي أنّي أَسُرُّ، فأفرَحُ[١٠]

(١) **الطش**: الخفيف أو الضعيف من المطر.
(٢) **أغمات**: بلدة في المغرب.
(٣) **أتته تلحلح**: أي لازمته ولم تبرحه.
(٤) **الركايا**: الآبار، جمع ركيّة ـ **متحت الركيّة**: استخرج ماؤها.
(٥) **سام يسوم**: غالى بالثمن.
(٦) **أعول**: رفع صوته باكياً ـ **الأيكة**: الشجر الكثير الملتف ـ **ترنّح**: تتمايل من الوهن أو الضعف.
(٧) **ينوء بها**: من ناء بالحمل: نهض به مثقلاً ـ **رزح**: سقط ولم يستطع النهوض.
(٨) **اللوعة**: حرقة الحزن ـ **تلدّد**: تلفّت يميناً وشمالاً، واللفظة من لديدَي العنق وهما صفحتاه.
(٩) **رادع نفسه**: حملها على أن تكف ـ **راوغ**: خاتل ـ **أرجح**: أكثر رجحاناً أي أغلب.
(١٠) **أراد بقصر الأنس**: ما يرمي إليه، أي الغاية التي يطمح إليها.

فيــا عــارِضــاً، يَستَقْبِــلُ اللَّيــلَ واكِفــاً، ويَسري، فيَطوي الأطْولَين، ويَمسحُ[1]
تحمَّــلْ إلــى قبــرِ الغَــريــبِ مَــزادةً، من الدَّمع، تَندى حيثُ سرتَ، وتنضحُ
وأحفــى سَــلامٍ، يَعبُــرُ البَحــرَ دُونَــه، فيَنــدى، وأزهــارَ البِطــاحِ، فتَنْفَــحُ[2]
وعَــرِّج، علـى مَثوى الحبيــبِ، بِنظرةٍ، تَــراه بِهــا عَيِنــي، هنــاكَ، وتَلمَــحُ

(٥٧)

الظلُّ والماء القَراح

ومُــرتَبَــعٍ، حطَطــتُ الــرَّحــلَ منــهُ بحيــثُ الظِّــلُّ، والمــاءُ القَــراحُ[3]
يحــرِّمُ، حُســنَ مَنظــرِه، مَليــكٌ، يحــرِّمُ، مُلكَــه، القَــدْرُ المُتــاحُ
فجِــرْيَــةُ مــاءِ جَــدولِــه بُكــاءٌ عليــه، وشَــدْوُ طــائــرِه نِيــاحُ[4]

(٥٨)

برأسِه ليلٌ بهيمٌ

يصف كلباً أسود الرأس مطوقاً بالبياض سريعاً ينقض على الصيد

وأخطــلَ، لــو تَعــاطــى سَبْــقَ بَــرقٍ، لطــارَ مــن الفِجــاءِ بــه جَنــاحُ[5]
يســوفُ الأرضَ، يســألُ عــن بنِيهــا، فتُخبِــرُ، أَنفَــه عنــه، الــرِّيــاحُ[6]
أَقــبَّ، إذا طَــرَدتَ بــه قنيصــاً، تنكَّــبَ، قــوسَــه، الأجَــلُ المُتــاحُ[7]

---

(١) العارض: السحاب الممطر ـ الواكف: اسم فاعل من وكف المطر: انهلّ.
(٢) أحفى سلام: أكثره حفاوة، أي تكريماً ـ البطاح: جمع البطحاء: المسيل الواسع فيه رمل وحصى.
(٣) المرتبع: المنزل في الربيع ـ الماء القراح: الخالص.
(٤) النّياح: النّواح، مصدر ناح ينوح على الميت: بكى بصياح وعويل.
(٥) الأخطل: السريع في جريه ـ الفجاء: جمع فجوة المتسع من الأرض.
(٦) يسوف الأرض: يتنسّم رائحتها، يشمّها.
(٧) الأقب: الضامر ـ يصف ضموره وسرعة انقضاضه على الصيد ويشبهه بسهام الموت.

أطـــلَّ، بــــرأسِـــــه، ليـــلٌ بهيـــمٌ، فشَـــدَّ، علـــى مخـــانقِـــه، صَبـــاحُ[1]

(٥٩)
دَمْعي مَطَرٌ تَوالَى

تَهـــادانـــي لـــذكـــركـــمُ ارتيـــاحُ، فبِـــتُّ، وكـــلُّ جـــانحـــةٍ جَنـــاحُ[2]
ودمعـــي، جِـــريـــةً، مطـــرٌ تَـــوالـــى؛ وجِسمـــي، هِـــزةً، غُصـــنٌ يَـــراحُ[3]
أإخـــوانـــي، ولا إخـــوانَ صِـــدقٍ، أُصـــافـــي بعـــدَكـــم، إلاَّ الصِّفـــاحُ[4]
لحُســـنِ الصَّبـــرِ دونكـــمُ حِـــرانٌ، وللعبَـــراتِ بعـــدكُـــمُ جِمـــاحُ[5]
فـــدَيتُكـــمُ بنفســـي مـــن كِـــرامٍ، يهُـــزُّ بهـــم، مَعـــاطفَـــهُ، السَّمـــاحُ[6]
أرى بهـــمِ النجـــومَ، ولا ظَـــلامٌ، وأَوضـــاحَ النهـــارِ، ولا صَبـــاحُ
تخـــايَـــلُ، نخـــوةً، بهـــمِ المـــذاكـــي، وتَعسِـــلُ، هِـــزَّةً، لهـــمُ الـــرِّمـــاحُ[7]
لهـــم هِمَـــمٌ، كمـــا شمَخَـــت جبـــالٌ، وأخـــلاقٌ، كمـــا دَمثَـــت بِطـــاحُ
وجـــاريـــةٍ ركِبْـــتُ بهـــا ظَـــلامـــاً، يطِيـــرُ، مـــن الـــرِّيـــاحِ بهـــا، جَنـــاحُ[8]
إذا المـــاءُ اطمـــأنَّ ، فـــرقَّ خَصـــراً، عَـــلا، مِـــن مَـــوجِـــه، رِدفٌ رَداحُ[9]
وقـــد فَغَـــرَ الحِمـــامُ، هنـــاك، فـــاهُ، وأتلَـــعَ، جِيـــدَه، الأجَـلُ المُتـــاحُ[10]

---

(١) **المخانق**: جمع مخنق، موضع الخنق من العنق.

(٢) **تهاداني الارتياح لذكركم**: جعلني أتمايل فرحاً ـ الجانحة وجمعها جوانح: أضلاع الصدر.

(٣) **يراح الغصن**: تهزه الريح.

(٤) **صافاه يصافيه**: محضه الودّ ـ **الصِّفاح** (بكسر الصاد): السيوف.

(٥) **الحران**: عدم الانقياد ـ **الجماح**: مصدر جمح جمحا وجماحاً وجموحاً الفرس تغلّب على راكبه وذهب به لا ينثني، استعصى فهو جامح بلفظ واحد للمذكر والمؤنث.

(٦) **السماح**: السماحة، الملاينة.

(٧) **تخايل**: تتخايل، تزهو ـ **المذاكي**: الخيول الأصيلة ـ تعسل الرماح: تهتزّ.

(٨) **أراد بالجارية**: السفينة.

(٩) **الردف من السفينة**: مؤخرها، جانبها ـ الرداح: الضخم.

(١٠) **فغر**: فتح ـ **الحمام**: الموت ـ **أتلع جيده**: رفعه.

فمـــا أدري، أَمـــوجٌ أم قُلـــوبٌ؛ وأنفـــاسٌ، تُصَعَّـــدُ، أم رِيـــاحُ

(٦٠)
بين كَلْب وأرنب

وأطلـسَ، مـلءُ جـانِحَتَيـه خَـوفٌ، لأشْـوسَ، مـلءُ شَـدقَيـه سِـلاحُ[١]
يجـاهِـرُنـا، يطيـرُ حَـذارَ طـاوٍ، لـهُ رَكـضٌ يغَـصُّ بـهِ البَـراحُ[٢]
وأعجَـبُ أنْ تقَلَّـصَ ذَيـلُ ليـلٍ أحـمَّ، وقـد أجـدَّ بـه الـرَّواحُ[٣]
يجولُ بحيثُ يكشِرُ عن نِصالٍ مُؤَلَّلةٍ، وتَحمِلُـــه رِمـــاحُ[٤]
وطـوراً يَـرتقـي حُـدْبَ الـرَّوابـي؛ وآوِنـةً تسِيـلُ بـه البِطـاحُ[٥]
جـرَى شَـدّاً، وللصُّبـحِ التمـاعٌ، بحيـثُ جَـرى وللبَـرقِ التمـاحُ[٦]
فخَلْخَلَـهُ، وسَـوَّرَهُ، وَميـضٌ جَـرى معـه، وطـوَّقَـه صَبـاحُ[٧]

(٦١)
تخايلَت بهِم الجِيادُ

يصف فرسان المسلمين مادحاً بسالتهم ومروءتهم

ركَضُوا الجِيادَ إلى الجِلادِ صَباحاً؛ واستَشعـرُوا النَّصرَ العزيزَ سِلاحا[٨]

---

(١) **الأطلس**: أراد الأرنب المائل لونه الأغبر إلى السواد ـ ملء جانحتيه: أي ملء جنبيه ـ **الأشوس**: أراد الكلب الأشوس وهو الذي ينظر شزراً من شدّة الحنق.
(٢) **جاهر**: أظهر علناً ـ **الطاوي**: الجائع ـ **البراح**: الفضاء الرحب.
(٣) **الليل الأحم**: الأسود، الشديد الحلكة.
(٤) **أراد بالنصال المؤلّلة**: أنيابه المحدّدة.
(٥) **الروابي الحدب**: المحدودبة، المحنية ـ **البطاح**: المنبسط من الأرض.
(٦) **الالتماح**: البريق، اللمعان.
(٧) **خلخله**: ألبسه الخلخال ـ **سوّره**: ألبسه السّوار ـ **طوّقه**: جعل في رأسه الطوق.
(٨) **ركضوا الجياد**: جعلوها تعدو ـ **الجلاد**: الحرب ـ استشعروا: اتخذوا شعاراً ـ **العزيز**: الصعب المنال.

واستقبلُوا أُفُقَ الشَّمالِ بجَحفَلٍ نشَرَ القَتامَ، على الشَّمالِ، جَناحا[1]
قد ماسَ، في أَرجائِه، شجَرُ القنا؛ وجرى به ماءُ الحديدِ، فساحا[2]
مطَرَ الأعاجِمَ منه عارضُ سَطوةٍ، بَرَقَ الحديدُ بجانِبَيه، فَلاحا
حتى إذا قُضِمَ المُهنَّدُ، نَبوةً، واندقَّ صَدرُ السَّمهريِّ، فطاحا[3]
زَحمَت مَناكبُه الأعادي زَحمةً، بَسَطَتْهُمُ فوقَ البِطاحِ بِطاحا[4]
قَتلى، بحيثُ ارفضَّ دمعُ المُزنِ، لا رُحمى، فأسعدَه الحَمامُ، فناحا[5]
قد تُرِّبَت منهم صَحائفُ أَوجُهٍ، جعَلَت تمزِّقُها السيوفُ جِراحا[6]
فلو اطَّلَعتَ لمَا اطَّلَعتَ على سِوى سهمٍ، تَثَلَّمَ في قتيلٍ طاحا[7]
فحمَت، حريمَ المُسلمينَ، مَصارعٌ، تركَت حريمَ المُشركينَ مُباحا[8]
مُسوَدَّ ساحاتِ المنازلِ وَحشةً، مملوءَ أفنيةِ الدِّيارِ نِياحا
تأتي صقورٌ منهمُ مُنقضَّةٌ، قَدَراً، على مُهَجِ العدوِّ، مُتاحا[9]
مَلأوا ضُلوعَ الليلَ زُرْقَ أَسِنَّةٍ، سالَتْ على أعطافِه أوضاحا[10]
وتخايَلَتْ بِهِمُ الجِيادُ، كأنَّما شَرِبَتْ مَعاطِفَ كلِّ طِرفٍ راحا[11]

---

(١) **الجحفل**: الجيش ـ **القتام**: السواد.
(٢) **ماس**: تمايل ـ **شجر القنا**: أي الرماح ـ **ماء الحديد**: أراد السيوف.
(٣) **قضم المهند**: بُتر، والمهنّد: السيف ـ **النبوة**: أي نبوة السيف وهي الضربة غير القاطعة ـ **السمهري**: الرمح.
(٤) **مناكب الجحفل**: نواحيه.
(٥) **ارفضّ دمع المزن**: تناثر، ودمع المزن: مطر السحاب ـ **رحمى**: رحمة ـ **أسعده**: أمدّه بالعون.
(٦) **تربت**: عفرت بالتراب.
(٧) **تثلّم**: تآكلت جوانبه.
(٨) **المصارع**: المهالك: جمع مصرع.
(٩) **الصقور**: الفرسان ـ **المهج**: جمع مهجة الروح.
(١٠) **الأوضاح**: جمع الوضح: الضوء.
(١١) **تخايلت**: تمايلت مزهوة ـ **الراح**: الخمر.

مـن كـلِّ منصـورِ اللِّـواءِ، إذا سَـرى، مَثُلَـت لـه عُقبـى السُّرى، فـارتـاحـا[1]
فـانصـاعَ، يضحَـكُ وجهُـه عـن غُـرَّةٍ، سـالـت، ويَلعـبُ فـي العِنـانِ مِـراحـا[2]
يَسـري بـأبلـجَ، مـا ادلهمَّـت رَوعـةٌ، إلاَّ تـلألأ وجهُـه مِصبـاحـا
وأقـامَ فـوقهـمُ العَجـاجَـةَ كِلَّـةً؛ وأدارَ بينَهـمُ الـرَّدى أقـداحـا[3]
أيْسـارُ حـربٍ، كلَّمـا اشتَجـر القَنـا، لـم يُعمِلـوا، إلاَّ الـرِّمـاحَ، قِـداحـا[4]
طـالـوا العَـوالـيَ بَسطـةً، فكـأنَّمـا، ركَـزَت يـدُ الهَيجـا بهِـم أرمـاحـا[5]
مـن كـلِّ هَضبـةِ سُـؤدَدٍ، هَـزَّ النَّـدى أعطـافـه، طـربـاً، فسـالَ سَمـاحـا
أدمـى اللِّقـاءُ، مِـنَ القَنـا، ظفـراً لـه ذَرِبـاً، ومـدَّ مِـنَ اللِّـواءِ جَنـاحـا[6]
فانجابَ ليلُ الخَطب عن أُفق الهُدى، وتطلَّـعَ الفَتـحُ المُبيـنُ صَبـاحـا

(٦٢)

كما سَرى بَرْقٌ

تلقّى شعراً من صديق فأجاب قائلاً:

أَطِـرسُـك أم ثَغْـرٌ، تبسَّـمَ، واضِـحُ؛ ولفظُـك أم رَوضٌ، تنفَّسَ، نـافـحُ؟[7]
لـوَانـيَ لَـيَّ الخَيـزُرانـةِ هِـزَّةً؛ وتَهفـو بـأعطـافِ الكِـرامِ المـدائِـحُ
كـلامٌ، يـرِفُّ النُّـورُ فـي جَنَبـاتِـه، وتَنـدى بـه، تحـتَ الهَجيـر، الجَوانـحُ
تُنَصَّـلُ، يـومَ الـرَّوع، سُمـرُ القنـا بـه، وتُطبَـعُ منـه، للجِـلادِ، الصَّفـائـحُ[8]

---

(١) **العقبى**: العاقبة، النهاية ـ **السّرى**: السير ليلاً.
(٢) **المراح**: الاختيال والفرح من مرح يمرح الرجل إذا نشط وجاوز القدر فرحاً واختيالاً.
(٣) **العجاجة**: الغبار ـ **الكلّة**: الستارة الخاصة برد البعوض ونحوه ـ **الأقداح**: الكؤوس، جمع قدح.
(٤) **الأيسار**: لاعبو الميسر، المقامرون ـ القداح: جمع قدح سهم الميسر.
(٥) **العوالي**: الرماح ـ **البسط**: الارتفاع والشموخ ـ **الهيجا**: الهيجاء، الحرب.
(٦) **القنا**: الرماح ـ **الظفر**: النصر ـ **الذرب**: الحادّ.
(٧) **الطرس**: الصحيفة والجمع طروس.
(٨) **تنصّل السهام أو الرماح**: يجعل لها نصل ـ **الرّوع**: الفزع، ويوم الرّوع: الحرب ـ **الجلاد**: =

يَشِفُّ سَوادُ النِّقسِ عنه، كما سَرى ... وراءَ الدُّجى بَرقٌ، تَطَلَّعَ، لامحُ[1]
وإنّي لظمآنٌ إليه، عَلاقةً، ... وها أنا، في بحر البَلاغةِ، سابحُ
بَعثتُ به يندى، كما جادَ عارضٌ، ... ويُطربُني، طَوراً، كما حَنَّ صادحُ[2]
تلوحُ به، في دَهْمةِ الحِبرِ، غُرَّةٌ، ... ويَركُضُ، في شوطِ الفصاحة، سائحُ
فإن أنا لم أشكرْكَ، والدارُ غُربةٌ، ... فلا جادَني غادٍ، من المُزنِ، رائحُ
ولا استشرَفَت يوماً إليَّ به الرُّبى ... جَلالاً، ولا هشَّت إليَّ الأباطحُ[3]

(٦٣)

نفضتْ ذوائبَها الرّياحُ

يصف شجرة مورقة الأفنان، هزّت الرياح ذوائبها

يا رُبَّ مائسةِ المَعاطفِ تزدَهي، ... مِن كلِّ غُصنٍ خافقٍ، بوِشاحِ[4]
مُهتزَّةٍ، يرتَجُّ، من أعطافِها، ... ما شئتَ من كفَلٍ، يموجُ، رَداحِ[5]
نَفضَت، ذوائبَها، الرِّياحُ عَشيَّةً، ... فتملَّكَتها هِزَّةُ المُرتاحِ[6]
حطَّ الربيعُ قِناعَها عن مَفرِقٍ ... شَمِطٍ، كما تَرتدُّ كاسُ الرّاحِ[7]
لفَّاءُ، حاكَ لها الغَمامُ مُلاءةً، ... لبِسَت بها، حُسناً، قميصَ صَباحِ[8]

= المبارزة والقتال ـ **الصفائح**: السيوف.

(١) **النّقس**: الحبر.

(٢) **العارض**: السحاب الممطر ـ **الصادح**: اسم فاعل من صدح: رفع صوته بالغناء.

(٣) **هشت إليّ**: تبسّمت، ارتاحت.

(٤) **مائسة**: اسم فاعل مؤنث، من ماس يميس: مال زهواً ـ **المعاطف**: الأعطاف ـ **تزدهي**: تحمل على الزهو والكبر ـ **الوشاح**: قلادة من نسيج أو جلد مرصّع بالحجارة الثمينة تزيّن بها المرأة صدرها، وتجعل بين الكتف والخصر ـ **يلاحظ كيف استعار الشاعر القلادة لتمثيل فتنة الزهر في الأغصان.**

(٥) **يرتجّ**: يهتز ـ **الكفل**: مؤخر الجسم ـ **الرداح**: الممتد والواسع والرداح أصلاً الشجرة الكبيرة.

(٦) **الذوائب**: جمع ذؤابة ضفائر الشعر، وهنا كناية عن الأغصان المتدلية.

(٧) **الشمط**: المنتشر الأوراق.

(٨) **اللفاء**: الكبيرة، الفخمة.

نَضَـــح النَّـــدى نُـــوَّارَهـــا، فكـــأنَّمـــا مسحَـت، معـاطِفَهـا، يمينُ سَمـاحِ[1]
ولوى الخليجُ، هناك، صفحةَ مُعرِضٍ، لثَمـت، ســوالفَهـا ثغـورُ أَقـاحِ[2]

(٦٤)

عِزٌّ تَهَادَى

عاد منصب القضاء إلى صديقه الفقيه قاضي القضاة أبي أمية فهنأه قائلاً:

بُشـرى، كمـا أسفَـرَ وجـهُ الصَّبـاحْ، واستشـرَفَ الـرائـدُ بـرقـاً ألاحْ[3]
وارتجـزَ الـرَّعـدُ يمُـجُّ النَّـدى رَيَّـا، ويَحـدو بمَطـايـا الـرِّيـاحْ[4]
فـدنَّـرَ الـزَّهـرُ مُتـونَ الـرُّبـى؛ ودَرْهَـمَ القَطـرُ بُطـونَ البطـاحْ[5]
هبَّـت رَواحـاً، وَهْـيَ نَفَّـاحـةٌ، فطـابَ، ريحـاً، نَشـرُ ذاك الـرَّواحْ
أفصـحَ غِـرِّيـدٌ بهـا مُطـرِبٌ، نفَّشَ، مِـن طِـرسٍ، قُـدامى جَنـاحْ[6]
فهـل تَـرى أَسمـعَ غُصـنَ النَّقـا، فهـزَّ مـن عِطفَيـه، هَـزَّ ارتيـاحْ؟[7]
أم هَـل سَـرى يُنعِـشُ مَيـتَ الـرُّبـى، فمَـجَّ، رِيـقَ الطَّـلِّ، ثَغـرُ الأقـاحْ؟
عِـزٌّ تَهـادى بـالقَنـا هِـزَّةً، واختـالَ بـالجُـردِ المَـذاكِي مِـراحْ[8]
فطـاولَ، النَّجـمَ، منـارُ الهُـدى، وأَحـرزَ الـديـنُ مُعلَّـى القِـداحْ

---

(١) نضح: بل، رش ـ النّدى: الطلّ ـ النوار: الزهر.
(٢) لثمت: قبلت، عانقت ـ السوالف: أراد سوالف الخليج أي شطآنه ـ الأقاح: جمع الأقحوان، وهو ضرب من الزهور البرية الصفراء.
(٣) استشرف: انتصب، واستشرف الشيء: رفع بصره لينظر إليه. . ـ الرائد: رسول القوم المتقدّم.
(٤) ارتجز الرعد: أرسل صوته ـ يمج: ينثر ـ الريّا: الرائحة ـ يحدو: من الحداء وهو الغناء للمطايا لحثّها على السير.
(٥) دنّر: فعل اشتقه من الدنانير، والمقصود أن الأزهار رصعت أعالي الرّبى بما يشبه الدنانير من الريحان والزهور ـ درهم: من الدراهم، بمعنى دنّر ـ القطر: المطر.
(٦) الطرس: الصحيفة وقوله: نفّش جناح: أي نشر جناحا.
(٧) النّقا: الكثيب من الرمل.
(٨) اختال: تبختر ـ الجرد: الخيل القصيرة الشعر.

والتــأمَ الشَّعــبُ، ومــا إن عَــدا … رأيُ أميــرِ المُــؤمنيــنَ الصَّــلاحْ
خيــر إمــامٍ، دامَ فــي عَسكَــرَيْ … جَــدٌّ وجِــدٌّ، مــلءُ صَدرِ البَـراحْ[1]
يَعطِــسُ عــن أنــفِ حمــيٍّ لــه، … أضــرعَ، خَــدَّيْ كــلِّ حــيٍّ، كفــاحْ
أَرعَــدَ فــي تُــدميــرَ زَجــراً لهــا، … فَمــا لِعَنــزَيــن، هنــاك، انتطــاحْ[2]
وغــضَّ، مــن أصــواتِهــا، صــوتُــه؛ … إنَّ زَئيــرَ اللَّيــثِ غيــرُ النُّبــاحْ
وشَــدَّ أزرَ ابــنِ عِصــامٍ بمــا … حبَّــرَ مِــن أَلفــاظِ بِــرٍّ، فِصــاحْ[3]
فــي رُقعــةٍ، تحمِــلُ، مــن رِفعــةٍ، … لألاءَ أوضــاحِ الــوجــوهِ الصِّبــاحْ
مَيمــونــةٍ، لــو لمَسَــتْ جَلْمَــداً … صَلْــداً، لســالَ المــاءُ عنــه، فَســاحْ
فــالمجــدُ ممطــورُ جَنــابِ المُنــى؛ … والمُلــكُ خَفَّــاقُ جَنــاحِ النَّجــاحْ
يُسفــرُ عــن بيــضٍ وجــوهِ الظُّبــي … بــأســاً، ويَــرنــو عــن عيــونِ الــرِّمــاحْ
أَبيــضُ، وضَّــاحُ جبيــنِ العُلــى، … جــذلانُ، مَبســوطُ يميــنِ السَّمــاحْ
فقــلْ لمــن ســاجَلَــه، ضِلَّــةً، … مــا سُــدفــةُ اللَّيــلِ وضــوءُ الصَّبــاحْ
كيــفَ يُكــافيــه، وهــل تستــوي … خُشــونــةُ الجِــدِّ ولِيــنُ المُــزاحْ؟
تميَّــزَت، مــن شِيمــةٍ، شِيمــةٌ؛ … إنَّ الأجــاجَ الصِّــرفَ غيــرُ القَــراحْ[4]
جــالــدتُــه مــن حــاســرٍ دارِعــاً، … كفــاه حمــلُ الــرأيِ حمــلَ السِّــلاحْ
وأَيــنَ مِــن بَحــرٍ طمــا، أخضــرٍ، … ما سالَ من أَوشالِ بِيضِ الصِّفاحْ؟[5]
حمَــت، ومــن يقعُــد بــهِ جَــدُّه، … فكــلُّ زَنــدٍ، فــي يَــدَيــه، شَحــاحْ
فــلا تَنَــمْ عينُــك مــن حــاسِــدٍ، … غــضَّ حِــرانــاً مــن عِنــانِ الجِمــاحْ
أَمضَّــه جُــرحٌ دخيــلٌ بــه؛ … إنَّ الــرَّزايــا مــن أَمــضِّ الجِــراحْ

---

(١) الجَدّ (بفتح الجيم): الحظّ ـ الجِدّ: (بكسر الجيم): الدأب أو العمل الدؤوب.
(٢) تدمير: منطقة في الأندلس، وهي مقرّ قاضي القضاة.
(٣) ابن عصام: الممدوح الذي يهنئه بعودة القضاء إليه.
(٤) الشيمة: الخلق والطبيعة، العادة ـ الأجاج: الماء المالح ـ القراح: الماء العذب الخالص.
(٥) طما البحر: علا موجه ـ الأوشال: جمع وشل، الماء القليل.

فـــرقــــرَقَ العَبـــرةَ فــــي خجلَـــةٍ، وربَّمـــــا يُمــــزَجُ بــــالمـــاءِ راحْ
مـــا غـــصَّ بـــالـــدَّمعـــةِ إلاّ هَفـــا، فـانظـر تَجِـدْ ثَـمَّ السِّـوارَ الـوِشـاحْ[1]

(١) هفا يهفو: أسرع، وهفا الطائر: خفق بجناحيه، والمراد هنا (فؤاده): أي خفق شوقاً ـ السوار الوشاح: من باب التمثيل، وقد عنى بهما الرفعة والمجد.

قافية الدال

(٦٥)
موتُك للأسى مِيلادُ

هذه القصيدة من مراثيه قالها في رثاء الوزير أبي محمد بن ربيعة:

رَفعَتْ عليك، عويلَها، الأمجادُ، وجَفَتْ، كريمَ جَنابِكَ، العُوَّادُ[١]
وتكنَّفَت شَكواكَ عن خَطبٍ دهى، هَدَّت له، أركانَها، الأطوادُ
سَلَّت عَتادَ الصَّبرِ فيه، صَبابةً، ما لي بها، غيرَ الدُّموعِ، عَتادُ
للهِ أيُّ خليلِ صِدقٍ مُخلِصٍ، أهوى به رُكنٌ، ومالَ عِمادُ!
خَطَمَ القَضاءُ به قَريعاً مُصعَباً، فانقادَ يَصحَبُ، والحِمامُ قِيادُ[٢]
جارَيتُه طَلَقَ الحياةِ إلى الرَّدى، فحَوى به، قصَبَ السِّباقِ، جَوادُ[٣]
كنّا اصطَحَبنا، والتشاكُلُ نِسبةٌ، حتّى كأنَّا عاتِقٌ ونِجادُ[٤]
ثُمَّ افترَقْنا، لا لعَودةِ صُحبةٍ، حتّى كأنَّا شُعلةٌ وزِنادُ
يا أيُّها النائي، ولستَ بمُسمِعٍ سَكَنَ القبورِ، وبينَنا أسدادُ[٥]

---

(١) جفت العوّاد جنابه: أعرضت عنه ـ العوّاد: جمع عائد، وهو الذي يزور المريض أثناء علّته.
(٢) خطم: أخرس قهراً ـ القريع: السيد العالي الشأن ـ المصعب: الصعب ـ الحمام: الموت.
(٣) طلق الحياة: شوطها، مسيرتها.
(٤) التشاكل: التماثل ـ العاتق: ما بين المنكب والعنق ـ النجاد: حمائل السيف لأنه يعلو العاتق.
(٥) النّائي: البعيد، إشارة إلى تركه دنيا الناس ـ الأسداد: السدود والحواجز.

مـا تفعَـلُ النَّفـسُ النفيسـةُ، عنـدمـا تتهـــاجَـــرُ الأرواحُ والأجســـادُ؟
كُشفَ الغِطاءُ إليك عن سرِّ الرَّدى، فـأجِـب بمـا تَنـدى بـه الأكبـادُ
فـوَراءَ سِتـرِ الليـلِ مُضطـرِمُ الحَشـا، لا يستقِـرُّ بـه، هنـاك، مِهـادُ
لم يدرِ، إلَّا يومَ موتِك، ما الأسى، فكـأنَّ مَـوتَـك لـلأسـى مِيـلادُ
وكفـاه مجـداً أن يقـولَ، ولـلـدُّجـى فجـرٌ لـه، مـن دَمعِـه، أَمـدادُ
حتَّـامَ أنـدُبُ صـاحبـاً وشبيبـةً، فتَفِيـضَ عيـنٌ، أو يَحِـنَّ فـؤادُ؟
أقصِـر، فـلا ذاك الخليـلُ بـآيـبٍ، يـومـاً، ولا ذاك الشَّبـابُ يُعـادُ
فقُصـارُ مُجتمِـعِ الأصـاحـبِ فِـرقـةٌ؛ ومَحـارُ أنـوارِ الشَّبـابِ رَمـادُ(١)
فيـمَ السُّلـوُّ، وقـد تحمَّـلَ صـاحـبٌ، شطَّـت بـه، دارٌ، وطـالَ بُعـادُ؟
أَتبَعتُـه قلبـاً لـه، مِـن لـوعـةٍ، زادٌ، ومـن عيـنٍ تَفيـضُ، مَـزادُ
فـذٌّ، تبسَّـمَ عنـه صَـدرُ المُنتـدى، طـربـاً بـه، واهتـزَّتِ الأنـدادُ(٢)
وأَخٌ لـلـوُدِّ، لا أخٌ لـلـوِلادةِ، وأَمَـسُّ مـن نسَـبِ الـوِلاد وَدادُ
مَلَكَتـه غَشيَـةُ نـومـةٍ لا تَنجلـي، ولكـلِّ عيـنٍ نَـومـةٌ وسُهـادُ
ودَّعتُـه تـوديـعَ مكتئِـبٍ ولا، غيـرَ المَعـاد، للُقيـةٍ، مِيعـادُ
ونفَضـتُ منـه يـدي بعِلـقِ مَضَنَّـةٍ، فُتَّـت بـه الأكبـادُ والأعضـادُ(٣)
وتـركتُـه، والمجـدُ يُـرغِـمُ أنفَـه، متـوسِّـداً، حيـثُ التُّـرابُ وِسـادُ
فـي مـوطِـنٍ نـزَلَتْـه جُـرهُـمُ قبلَـه، وتحـوَّلَـت إرَمٌ إليـه، وعـادُ(٤)
أُمـمٌ، يَغـصُّ بهـا الفَضـاءُ، طَـوَتهـمُ كـفُّ الـرَّدى طَـيَّ الـرِّداءِ، فبـادُوا
سـادوا وقـادوا، ثُـمَّ أجلـى جَمعُهـم، عـن وَحـدةٍ، فكـأنَّهـم مـا قـادُوا

---

(١) المحار: المرجع.
(٢) الفذّ: الفرد، والفذّ أول سهام الميسر ـ الأنداد: جمع نِدّ: وهو المِثل.
(٣) العلق: الشيء النفيس ـ الأعضاد: جمع عضد، وهو من المرفق إلى الذراع والعضد هنا النّصير والعون.
(٤) جرهم وإرم وعاد من قبائل العرب البائدة، وهي من الجاهلية الأولى.

عفَتِ البُناةُ، على اللَّيالي، والبُنى، ... وتَلاحقَ الأمجادُ والأوغادُ[1]

ولربَّما ذَبُّوا، وذادوا عن حِمى ... مِلكِ هَوى، فكأنَّهم ما ذادُوا[2]

فأصِخ طويلاً! هل تَعِي من منطِقٍ؛ ... وانظُر مَليّاً، هل ترى ما شادُوا؟

زُمَرٌ يُعَدُّ بها الحَصى من كَثرةٍ، ... ولربَّما فنِيَت بها الأعداد

أَلوى بهِم، ولكُلِّ رَكبٍ سائقٌ، ... زمَنٌ حَدا بركابِهم، يَقتادُ

ورمى رَبيعَةَ بالخُمول، وإنَّما ... كانُوا بعَبدِ الله فيهم سادُوا

بأغَرَّ وضّاحِ الجَبينِ، كأنَّه، ... تَحتَ الدُّجُنَّةِ، كَوكَبٌ وَقّادُ

مُتَبسِّمٌ في هِزَّةٍ، فكأنَّه ... غُصنٌ تَفتَّقَ نَوْرُه، ميَّادُ[3]

وطِيءَ السماكَ، به التواضعُ، رِفعَةً، ... فكأنَّما إتهامُه إنجادُ

أَلْقى الحِمامُ بِرَحلِه، في منزِلٍ، ... نَزَلت به الآباءُ والأجدادُ

يَعلُو به نَفَسٌ، وتَدمَعُ مُقلَةٌ، ... فيُراحُ، طَوْراً، تُربُه، ويُجادُ[4]

فَوقفتُ أَندُبُ منهُ شِلواً داثِراً، ... ما إن يُحِسُّ، وهل يُحِسُّ جَمادُ؟

تَمحُو صحِيفَةَ صَفحَتَيْه يدُ البِلى، ... عَبثاً، وتَطوِي، ذكرَه، الآبادُ

فَخلا، برُغمِ المَجدِ، منه منزِلٌ ... مَلأت، مَدامِعَها، به الأمجادُ

لوَتِ الضُّلوعَ، به، الأصادقَ، لوعةٌ، ... ولَرُبَّما رقَّت بهِ الحُسَّادُ

مُتَقَلِّدٌ بالدَّمعِ حَلياً كُلَّما، ... عَطِلَت به، من حَلِيها، الأجيادُ

يَبْيَضُّ مُلتَحِماً، ويُظلِمُ وَحشةً، ... فكأنَّما ذاكَ البَياضُ حِدادُ

فبَكاك، من قَبرٍ كَريمٍ، عارِضٌ ... زَجِلٌ، له مِن رَنَّةٍ إرعادُ[5]

---

(١) **عفت**: من عفا الأثر: زال وامحى ـ **البناة**: جمع الباني ـ **البنى**: جمع بنية، كل ما يبنيه المرء ـ **الأوغاد**: خلاف الأمجاد، الأراذل، والأشرار.

(٢) **ذبّوا وذادوا معناهما واحد**: دافعوا ـ **هوى الملك**: سقط.

(٣) **تفتّق النور**: تفتحت كمائمه ـ **النّور**: الزهر. **الغصن الميّاد**: المتمايل، الذي تهتز أعطافه.

(٤) **المقلة**: العين.

(٥) **العارض**: السحاب الممطر ـ **زجل**: له صوت.

نُحِـرَ العَـزاءُ عليـهِ، لـم تُنحَـر بـهِ ... إبِـلٌ، ولـم تُعقَـر عَليـهِ جِيـادُ[1]
وسقـاكَ وابـلُ رَحمَـةٍ، يَغشـى بهـا ... جَنبـاتِـكَ الـوُرَّادُ والـزُّوَّادُ
تَهفُـو البُـرُوقُ بجـانِبَيـهِ، كـأنَّمـا ... عُقِـرَت بهـا خَيـلٌ، عليـكَ وِرادُ[2]
فبِطِيـب تُـربِـكَ، أَيُّ بيتِ قصِيـدةٌ، ... لـو أَنَّ ذاكَ البَيـتَ كـانَ يُعـادُ
لا تلتقـي عيـنٌ عليـه ونَـومـةٌ ... ليـلاً، ولا جَنـبٌ بـه ومِهـادُ
والليـلُ فُسطـاطٌ، هنـاك، مُطنَّـبٌ، ... ضُـربَـت لـه، مـن أنجُـمٍ، أوتـادُ[3]
وكفـى مَعـاداً للتَّـلاقـي فـي الكَـرى، ... لـو كـان يَسمَـحُ بـالخَيـالِ رُقـادُ

(٦٦)

في النَّادي

وصـدرِ نـادٍ نَظَمنـا ... بـه القـوافـيَ عِقـدا
فـي منـزلٍ قـد سحبنـا، ... بظلِّـه، العِـزَّ بُـردا[4]
قـد طنَّـبَ المجـدُ بيتـاً، ... فيـه، وعـرَّسَ وَفـدا
تـذكـو بـه الشُّهـبُ جَمـراً، ... ويَعبَـقُ الليـلُ نَـدّا[5]
وقـد تـأرَّجَ نَـوْرٌ ... غَـضٌ، يخـالـطُ وَردا[6]
كمـا تبسَّـمَ ثَغـرٌ ... عَـذبٌ، يقبِّـلُ خـدّا

---

(١) **تعقر**: تذبح ـ يشير في هذا البيت إلى التقليد الجاهلي وهو ذبح الذبائح تعظيماً للميت وتفجعاً عليه.
(٢) **الوراد**: جمع ورد، الجواد الأشقر.
(٣) **الفسطاط**: الخيمة الكبيرة ـ **مطنّب**: مشدود بالطنب وهو حبل يشدّ به سرادق البيت أو المضرب.
(٤) **البرد**: الثوب.
(٥) **النّد**: عود البخور.
(٦) **تأرج النّور**: فاح أريجه، أي رائحته.

(٦٧)

أَجُوبُ جُيُوبَ البيدِ

يصف سراه في ليلة ظلماء، بات فيها على صهوة فرسه معانقاً سيفه..

أَبـى البَـرقُ إلاّ أن يَحِـنَّ فُـؤادُ، ... وَيكحَـلَ، أجفـانَ المحـبِّ، سُهـادُ(١)

فبِتُّ ولي، من قانيءِ الدَّمع، قهوةٌ ... تُـدارُ، ومـن إحـدى يَـديَّ وِسـادُ(٢)

تنـوحُ لـيَ الـوَرقـاءُ، وهـيَ خَلِيّـةٌ، ... ويَنهَـلُّ دَمـعُ المُـزنِ، وهـو جَمـادُ(٣)

وقـد كـانَ فـي خَـدّيَّ للشُّهـبِ مَلعَـبٌ، ... فقـد صـارَ فيـهِ للـوِرادِ طِـرادُ(٤)

وليـلٍ، كمـا مَـدَّ الغُـرابُ جَنـاحَـه، ... وسـال علـى وَجـهِ السِّجـلِّ مِـدادُ(٥)

بـه مـن وميضِ البَرقِ، والليلُ فَحْمةٌ، ... شَـرارٌ تَـرامَـى، والغَمـامُ زِنـادُ

سَـرَيْـتُ بـهِ أُحييـه، ولا حيَّـةُ السُّـرى ... تمـوتُ، ولا مَيـتُ الصَّبـاحِ يُعـادُ(٦)

يقلِّـبُ منّـي العَـزمُ إنسـانَ مُقْلـةٍ، ... لهـا الأفـقُ جَفـنٌ، والظَّـلامُ سـوادُ(٧)

بخَـرقٍ لقلـبِ البـرقِ خفقـةُ روعـةٍ ... بـه، ولجَفـنِ النَّجـمِ فيـه سُهـادُ(٨)

سحيـقٍ، ولا غيـرَ الـريـاحِ ركـائـبٌ، ... هنـاك، ولا غيـرَ الغَمـامِ مَـزادُ(٩)

كـأنـي، وأحشـاءُ البـلادِ تَجُنُّنـي، ... سَـريـرةُ حُـبٍّ، والظَّـلامُ فـؤادُ(١٠)

---

(١) السهاد: الأرق.

(٢) الدمع القانىء: الأحمر.

(٣) الورقاء: الحمامة ـ المزن: السحاب الممطر.

(٤) الوراد: الزعفران ـ الطراد: السباق ـ السجل: الكتاب

(٥) المداد: الحبر.

(٦) السرى: السير في الليل ـ يعاد: يزار.

(٧) المقلة: العين وإنسانها: البؤبؤ.

(٨) الخرق: المكان القفر ـ الروعة: الخوف.

(٩) السحيق: النّائي ـ المزاد: جمع مزادة، وهي إناء من جلد لحفظ الماء.

(١٠) تجنّني: تسترني.

أجوبُ جُيوبَ البيد، والصبحُ صارمٌ، ... لــه اللَّيــلُ غِمــدٌ، والمَجَــرُّ نِجــادُ[1]
وفـي مُصطَلـى الآفـاقِ جَمرُ كـواكـبٍ، ... عَـلاهـا، مـنَ الفجـرِ المُطـلِّ، رَمـادُ
ولمَّا تفرَّى، من دُجى الليل، طِحلبٌ، ... وأعـرضَ، مـن مـاءِ الصَّبـاحِ، ثِمـادُ[2]
حنَنـتُ، وقـد نـاحَ الحَمـامُ صبـابـةً، ... وشُــقَّ، مــن الليــلِ البَهيــمِ، حِــدادُ
علـى حِيـنَ شَطَّـت، بـالحبـائـب، نيّةٌ، ... وحــالــت فَيــافٍ، بَيننــا، وبِــلادُ[3]
عشِيَّــةَ، ولا مِثــلَ الجَــوادِ ذخيــرةٌ؛ ... ولا مِثــلَ رَقــراقِ الحــديــدِ عَتــادُ[4]
إذا زارَ خَطْــبٌ خفَّــرتنــي ثَــلاثــةٌ: ... سنــانٌ، وعضــبٌ صــارمٌ، وجــوادُ[5]
فبِــتُّ ولا غَيــرَ الحُســامِ مُضــاجِــعٌ؛ ... ولا غَيــرَ ظَهــرِ الأعــوَجــيّ مِهــادُ[6]
معــانــقَ خِــلٍّ لا يُخِــلُّ، وإنمــا ... مَكــانُ ذِراعَيــهِ علــيَّ نِجــادُ[7]

(٦٨)

يجدّ بي هواهُ

يصف خال المحبوب في صحن الخدّ. . .

رأيــتُ بخــالِــه، فــي صَحِــن خــدِّه، ... فــؤادَ مُحبِّــه فــي نــارِ صَــدِّهْ[8]
فخِفــتُ، وقَصْــرُ نفســي لثْــمُ فِيــه، ... فــأعطــانيــه مِيثــاقــاً بــوُدِّهْ[9]
ومــرَّ يجُــدُّ بــي فيــه هَــواه، ... وقــد لَعِــبَ الصِّبا بقضِيــبِ قــدِّهْ[10]

---

(١) شبه الصباح: بالسيف القاطع للمعان ضوئه ـ النجاد: حمالة السيف.
(٢) تفرّى: انبثق ـ الثماد: الماء القليل.
(٣) شطت: نأت ـ فياف: جمع فيفاء، المفازة.
(٤) الذخيرة: العدّة المهيّأة أو المحفوظة لوقت الحاجة ـ رقراق الحديد: جوهر السيف.
(٥) خفر: حفظ وحرس ـ السنان: الرمح ـ العضب: السيف القاطع ـ الجواد: الحصان.
(٦) الأعوجيّ: الجواد الأصيل ـ المهاد: السرير.
(٧) الخلّ: الصاحب ـ لا يخلّ: أي لا يغدر لأنه وفي ـ النجاد: حمالة السيف.
(٨) الصدّ: الجفاء، القطيعة والهجر.
(٩) لثم: تقبيل ـ فيه: فمه، ثغره ـ يقول: أعطاه ثغره يقبله عربوناً للمحبّة.
(١٠) القدّ: القامة، وقوله: قضيب قدّه من باب تمثيل القامة المديدة بالغصن.

(٦٩)
نار النّدى

ومَـوقِـدِ نـارٍ طـابَ، حتـى كـأنَّمـا ... يشبُّ النّدى فيه، لساري الدُّجى، نَدًّا[١]
فـأطلـعَ، مـن داجِـي دُخـانٍ، بنَفْسجـاً ... جَنِيّـاً، ومِـن قـانـي شُـواظٍ لـه وَردا[٢]
وضـاحـكَ غُـرّاً مـن وجـوهٍ وضِيئـةٍ، ... فلـم أدرِ أيّ كـان أذكـاهُمـا وَقْـدا
إذا بسَطَـت كـفُّ الهِيـاجِ، إلـى العِـدى، ... أَناملَ سُمْرِ الخَطِّ، كانوا لها زَنْدا[٣]
فظلَّـت، وكـلّ فـي مَضـاءِ حُسـامِـه، ... فـؤاداً، وفـي إشـرافِ خَطِّيـه، قَـدّاً
أرى خيـرَ نـارٍ، حَـولَهـا خيـرُ فِتيـةٍ، ... أَنافَت لهم جِيداً، وحَفُّوا بها عِقدا[٤]
إذا الـرِّيـحُ هَبَّـتِ، مِـن سَـوادِ دُخـانِهـا، ... عِذاراً، ومن مُحمَرِّ جاحِمِها، خدًّا[٥]
أثـارَت قَتـامـاً يَمـلأ العيـنَ أَكهَبـاً، ... وجالت جواداً، في عِنانِ الصَّبا، وَردا[٦]
رأَيـتُ جُفـونَ الـريـحِ، والليـلُ إثمِـدٌ، ... تُقلِّب، من حُمر الجُذى، أَعيناً رُمدا[٧]
وبـالجمـرِ، مـن أَكنـافِهـا، مَسَّ رِعـدةٍ، ... تَئِنُّ، وحامي الجَمرِ عن حَرِّه، بَردا[٨]

(٧٠)
كأنَّه كوكبُ

وأسْمـــرٍ، يَلحَـــظُ عَـــن أزرقٍ، ... كـــأنَّـــه كـــوكـــبُ رَجـــمٍ وقـــدْ[٩]

---

(١) **النّدى**: الكرم ـ **النّدّ**: عرق البخور.
(٢) **الشواظ القاني**: اللهب الأحمر، الجمر.
(٣) **سمر الخطّ**: الرماح ـ **الزّند**: ما تورى به النار.
(٤) **أنافت الجيد**: رفعته، **والجيد**: العنق.
(٥) **العذار**: جانب الوجه.
(٦) **القتام**: السواد الحالك ـ **الأكهب**: ذو اللون الأغير.
(٧) **الاثمد**: الكحل، **وقوله**: الليل إثمد تشبيه مثّل به ظلمة الليل بسواد الكحل ـ **الجذى**: جمع جذوة، النار المشتعلة.
(٨) **الأكناف**: الجوانب، جمع كنف ـ يصف ما تحدث النار من رعدة في الجمر المتوقد الذي يرسل صوتاً كالأنين وكأن جمره الحار يرسل برداً.
(٩) **الأسمر**: الرمح ـ **الأزرق**: رأس الرمح، سنانه ـ شبّه رأس الرمح لامعاً برجوم الكواكب=

يعتمـــدُ العيـــنَ اعتمـــادَ الكـــرى؛ ويَنتحـــي القلـــبَ انتحـــاء الكَمَـــدْ[1]
حيـثُ الـوَغـى بحـرٌ، وبِيـضُ الظُّبـى مَوج، وخُرصـانُ العـوالـي زبَـدْ[2]
يضحَـكُ مـن بِيـضِ حَبـابٍ طَفـا فيـه، ومِـن دِرعِ غَـديـرٍ جَمَـدْ[3]

(٧١)
مِدادُ العِذار

وافَـى لنـا، ولَـه صَحيفـةُ صفحـةٍ، جَعَـلَ العِـذارُ بهـا يسِيـلُ مـدادا[4]
متَجَهِّمـاً ثَكِـلَ الشَّبـابَ، كـأنَّمـا نَشَـرَ العِـذارُ علـى الشَّبـابِ حِـدادا[5]

(٧٢)
وجهٌ أنار قمراً

وأغـرَّ ضـاحَـكَ وجهُـهُ مِصبـاحَـه، فـأنـارَ ذا قمـراً، وذلـك فَـرقَـدا[6]
مـا إن خَبـا تِلقـاءَ نُـورِ جَبينِـه، حتـى ذَكـا بـذكـائِـه، فتَـوقَّـدا[7]

(٧٣)
أوفَتْ على نَهْرٍ

يصف سرحةً مشرفة على نهر.

وسَـرحـةٍ خـاضَ مِنهـا ظلُّهـا نهـراً، اوفَـت عليـه، فلـم تَنقُـص ولـم تَـزِدِ[8]

= المتوقدة الساقطة من السماء.

(١) **الكرى**: النوم ـ **يتنحي**: يتجه إلى ناحية ـ **الكمد**: الحزن الشديد.

(٢) **الظبّى**: السيوف ـ **الخرصان**: الرماح.

(٣) **الحباب**: ما يطفو على وجه الماء من فقاقيع الزبد ـ **طفا فيه**: عام.

(٤) **الصفحة**: كناية عن الخد ـ **العذار**: جانب الوجه. **المداد**: الحبر.

(٥) **متجهّماً**: عابساً ـ **الحداد**: ثياب المآتم السود.

(٦) **الأغرّ**: الأبيض أو ذو الغرّة البيضاء ـ **الفرقد**: الكوكب ـ افتن في وصف وجه المحبوب فتمثله قمراً وشبّه المصباح بالكوكب.

(٧) **خبا النور**: انطفأ ـ **ذكا يذكو**: اشتدّ توقّده.

(٨) **السرحة**: الشجرة العظيمة ـ **أوفت على النهر**: أشرفت عليه.

كمـا تـدانَيـتَ، مـن ثَغـرٍ، لمُـرتشَـفٍ		ثـم انثنَيـتَ، فلـم تصـدُر ولـم تَـرِدِ[1]
كـأنَّ افنـانهـا، طيبـاً، حِمـى مَلِـكٍ		أغضى وأَعطى، فلم يوعِد ولم يَعِدِ[2]

(٧٤)

كدْتُ أشربُ خَدّه

يصف مفاتنَ السّاقي الذي تمايس منه القدّة واحمّر بلهب السكر خدّه

وأَهيـــــفٍ قـــــامَ يَسقـــــي،		والسُّكـــــرُ يَعطِـــــفُ قَـــــدَّه[3]
وقـــد تَـــرنَّـــحَ غُصنـــاً،		واحمـــــرَّتِ الكـــأْسُ وَردَه[4]
وأَلهَـــبَ السُّكـــرُ خـــدّاً،		أورى بـــه الـــوَجـــدُ زَنـــدَه[5]
فكـــادَ يشـــربُ نَفســـي،		وكـــدْتُ أشـــرَبُ خَـــدَّه

(٧٥)

صِلْني برُمّانة

صِلنـي، لـكَ الخَيـرُ، بـرُمّـانـةٍ،		لـم تَنتَقِـل عـن كَـرَمِ العهـدِ
لا عِنَبـاً، أَمتَـصُّ عُنقُـودَه،		ثَـدْيـاً، كـأنـي، بعـدُ، فـي المهـدِ
وهَـل يـرى، بينَهمـا، نِسبـةً،		مَـن عَـدَلَ الخِصيـةَ بـالنهـدِ؟

(٧٦)

أُغازِلُ مِنْه الغُصْن

يصف مجلساً من مجالس السمر توزع فيه بين الحديث والغزل

وليـلِ تَعـاطَينـا المُـدامَ، وبينَنـا		حديـثٌ، كما هَـبَّ النسيمُ على الـوردِ

---

(١) **تداني**: اقترب ـ **انثنى**: تراجع.
(٢) **الأفنان**: الأغصان ـ **يوعد**: يتوعدّ، يتهدّد.
(٣) **الأهيف**: الضامر الخصر.
(٤) **ترنّح**: تمايل من نشوة السكر ـ **الورد**: أراد به خده الأحمر.
(٥) **أورى**: أضرم، أشعل ناراً ـ **الوجد**: الحبّ.

نُعــاوِدُه، والكــاسُ يَعبَــقُ نَفحــةً،	وأَطيَــبُ منــه مــا نُعِيــدُ ومــا نُبــدي
ونَقلي أَقاحُ الثغرِ، أو سُوسَنُ الطُّلى،	ونَــرجِســةُ الأجفــانِ، أو وَردةُ الخــدِّ[1]
إلى أن سرَت في جسمه الكاس والكرى	ومَا لا بعِطفَيه، فمالَ على عَضْدي[2]
فــأقبَلَــتُ اسْتَهــدي، لمــا بيــن أضلُعــي	مــن الحرِّ، مــا بيــنَ الضُّلــوعِ مــن البَــردِ
وعــاينتُــه قــد سُــلَّ مــن وشــي بُــردهِ،	فعــايَنــتُ منــه السَّيــفَ سُــلَّ مــن الغِمــدِ
ليَــانُ مَجَــسٍّ، واستقــامــةُ قــامــة،	وهَــزَّةُ أعطــافٍ، ورونــقُ إفــرنــدِ
أُغــازلُ منــه الغُصــنَ فــي مَغــرس النَّقــا،	وألْثُــمُ وجــه الشمــس فــي مَطلــعِ السَّعــدِ
فــإن لــم يَكُنْهــا أو تَكُنْــهُ، فــإنَّــه	أخُوها، كما قُدَّ الشِّراكُ منَ الجِلدِ[3]
تُســـافِـــرُ كِلتــا راحَتــيّ بِجسمــهِ،	فطــوراً إلــى خَصــرٍ، وطَــوراً إلــى نَهــدِ
فتَهبِــطُ، مــن كَشْحَيــه، كفِّــي تَهــامــةً،	وتَصعَدُ، من نَهدَيه أُخرى، إلى نَجدِ[4]

(٧٧)

بكى جَفْني

اقــضِ علــى خِلِّــك، أو ســاعــدِ،	عِشــتَ بجَــدٍّ، فــي العُلــى، صــاعــدِ[5]
فقَــد بكــى جَفنــي دمــاً ســائــلاً،	حتــى لقَــد ســاعَــده ســاعِــدي[6]

(٧٨)

مِنْ كَفِّه

حيَّــا بهــا، ونسِيمُهــا كنسِيمِــه،	فشــرِبتُهــا، مــن كفِّــهِ، فــي وُدِّه

(١) النّقل: كل ما يتنقل به على الشراب من فاكهة أو فستق ونحوه والجمع نقول ونقولات.
(٢) سرت في جسمه: دبّت ـ الكرى: النوم أو النّعاس مال على عضدي: أي نام على ساعدي.
(٣) قدّ: قطع ـ الشراك: سير النّعل.
(٤) الكشحان: مثنى الكشح، الخصر ـ تهامة: واد منخفض، وكل مكان منخفض ـ نجد: هضبة عالية مرتفعة وهي كناية عن كل مكان مرتفع.
(٥) الجَدّ: (بفتح الجيم): الحظ، والجدّ الصاعد: الآخذ بالأزدياد.
(٦) ساعده ساعدي: جاش بين الساعد وهو الذراع وفعل ساعد والمعنى أنه راح يمسح دموعه فكأنه زاد في انصباب دمعه.

مُنساغَةً، فكأنَّها من رِيقهِ؛ محمرَّةً، فكأنَّها مِن خَدِّه[1]

(٧٩)

أَهْوَتْ تَخُرُّ

ألا طَمَّ بَحرُ أَتِيٍّ طَما، وأجرى كفَّيْ سَماءٍ تَجودْ[2]
فأهوَت تخُرُّ، هناك، البُنى، كما تَتَلقَّى المُلوكُ الوفودْ[3]
وباتَتَ كأنَّ، عليها، صَلاةً، فَبَعْضٌ ركوعٌ، وبعضٌ سُجودْ

(٨٠)

عَلى نَهْجِ

ومخطوطِ السَّوادِ، كأنَّ دمعاً جَرى، ودماً، هناك، على حِدادِ[4]
إذا التَبَسَتْ وجوهُ الحكمِ، يوماً، قضى، فمضى على نَهجِ السَّدادِ[5]
فأيُّ بياضِ نُعمى، ليس يُعزى لمشتملٍ بِسربالِ السَّوادِ[6]
تَلوَّى، فالتمحتُ به ضميراً دخِيلَ السِّرِّ، ممذوقَ الوِدادِ[7]
يُجيبُ، وما سألتُ له مجيباً، فيا عجَباً لإفصاحِ الجَمادِ!..[8]

---

(١) **المنساغة**: صفة الخمرة التي استسيغت فسهل رشفها ـ شبه طيب الخمرة بريق المحبوب، وحمرتها من لون خدّه، وعلّل سهولة تناولها بهذا الضرب من التمثيل.

(٢) **الأتيّ**: السيل.

(٣) **تخرّ**: تنحنى ـ شبه سقوط البنى بفعل السيل بانحناء الوفود أمام الملوك ـ المحك: حجر يحكّ به للاختبار والانتقاد.

(٤) ورى بهذا البيت عن تداخل سواد لونه بحمرته.

(٥) نهج السدّاد: طريق الصواب.

(٦) **يعزى**: ينسب ـ السربال: اللباس.

(٧) **ممذوق الوداد**: غير خالص الود.

(٨) **الإفصاح**: البيان.

(٨١)

قُلْ لذاتِ الخَالِ

قال مخاطباً ذات الخال

ألا قُـل، لـذاتِ الخـالِ. عنّـيَ، إنّـي   لأرغـبُ عـن خـالِ تطلّـعَ فـي خـدِّ[١]
وزهّـدنـي، فـي ذلـك الخـالِ، نسبـةٌ،   أَراهـا بخـالِ الخَـدِّ مـن جُعَـلِ الـوَردِ[٢]

(٨٢)

مكانَتي أبعدُ

قال ابن خفاجة معتدّاً بمناقبه وقيمه ومضاء عزيمته

أنّــي تُطــاوِلُنــي، ودونــي بَسطَتــا   جــدٌّ يســاعــدنــي، وجَــدٌّ يُسعِـد؟[٣]
هــا قــد حلَلــتُ، وللتقَلقُــلِ غــايــةٌ،   فـي حيثُ يُشرقُ، ثـمَّ يُشرفُ مَقْعَدُ[٤]
طُلـتُ السَّمــاءَ، فهـل سَمِعـتَ بحِيلـةٍ   تَـرقَـى بهـا نحـوَ السمـاءِ، وتَصعَـدُ؟
إلـزَمْ ثَـراكَ، وغُـضَّ طَـرفَـك ذلَّـةً،   فمَكـانَتـي أَنـأى عليــك، وأَبعَــدُ
ولئـن طَـربـتُ، وقْـد عَـرَتنـيَ وَعكـةٌ،   فـالليّـثُ يَبـرُدُ، والمهنّـدُ يُـرعَـدُ

(٨٣)

أين الوجع؟

أخبره شاعر صديق أنه استماح بخيلاً بعض عطائه فأناله القليل واعتذر إليه من رمحة فرس أصابته، فقال:

مـاإن درى ذاك الـذَّمِيـمُ، وقـد شكـا   مـن نَيـلِ مُمْتَـدِحٍ، ورَمـحِ جَـوادِ[٥]
هــل يشتكِــي وجعَــاً بــه فــي سُـرَّةٍ،   بــالسيــن، أم فــي صُـرَّةٍ، بـالصَّـادِ[٦]

---

(١) **رغب عن الشيء**: زهد فيه، لم يرده، كرهه.
(٢) **الجعل**: دويبة من ضروب الخنافس، كريهة الرائحة.
(٣) **تطاولني**: تحاول السموّ إلى منزلتي، تتحدّاني ـ **الجَدّ**: الحظ.
(٤) **حللت حيث**: نزلت وأقمت.
(٥) **الذّميم**: المذموم، غير المحمود ـ **الرّمح**: من رمحته الدّابة أي ركلته ورفسته.
(٦) **السرّة**: وسط البطن ـ **الصرّة**: أي صرّة المال ـ يسخر الشاعر من حجّة البخيل واعتذاره لأنه أعطى القليل.

(٨٤)
كِلاهما سَديدُ

وصف أخوين مختلفي الخَلْق أصيلي المنبت فقال:

طرُقُ الرِّجالِ، إلى المعالي، جَمَّةُ، شَتَّى، فَدانٍ قاصدٌ، وبَعِيدُ[١]
وابناكَ إن لم يَمْثُلا في خِلْقةٍ، فكلاهما في ما يرومُ سَديدُ
كرَماً، فهذا، في مَفارقِ عصرِه، تاجٌ، وذاك، بصَفْحَتيهِ، فريدُ
كالرُّمحِ، والقَلَمِ القصيرِ لنسبةٍ، وكلاهما في ما ينوبُ حَميدُ[٢]

(٨٥)
هَضْبَة عِصْمَة

هذه القصيدة من مدائحه قالها مطرياً صديقه الفقيه أبا أمية.

لا ماءَ، إلّا فوقَ نَصلٍ يُجرَّدُ، ولا ظِلَّ، إلّا تحتَ رُمحٍ يُسدَّدُ[٣]
ولا غيمَ، إلّا قَسطلٌ، ثار، أقتَمٌ، ولا برقَ، إلّا أشقرٌ، جالَ، أَجرَدُ[٤]
ولا سَيرَ، إلّا فوقَ ظَهرِ تَنُوفَةٍ، يُراعُ سَرابُ القاعِ فيها، فيُرعَدُ[٥]
وخَرقٍ سحيقٍ، يملأ الصَّدرَ وَحشةً، يرَجعِ صهيلَ الطِّرفِ فيه، ويُوقِدُ
طِلاباً لأمرٍ يَركَعُ الرمحُ عِنَده، طَويلاً، ويَهوي المَشرَفيُّ، فيَسجُدُ
وحَوماً على ماءٍ تَدانى به المُنى، وينأى به المَسرى، فيَدنو ويَبعُدُ
طويتُ به، تحت الضُّلوع، سريرةً، سيُفصِحُ عنها السيفُ، وهو مُجرَّدُ

---

(١) **جمّة**: كثيرة ـ **الداني**: القريب.
(٢) **ما ينوب**: ما يعود إليه من الأصالة والمنبت الكريم.
(٣) **في قوله**: ألا ماء، أراد بالماء جوهر السيف.
(٤) **القسطل**: الغبار الساطع في الحرب.
(٥) **التنوفة**: البريّة الخالية من الإنسان والماء.

وقــد فلَّــه طــولُ الجِــلادِ، كــأنَّمــا يُضـاحِـكُ منه، مَفـرِقَ الفَـرقِ، أدرَدُ[1]
وطــولُ اعتنــاقِ المجــدِ كــلّ ثَنيَّــةٍ، تُمَــدُّ إلــى لَمـسِ السمــاءِ بهــا يَــدُ
عليهــا وِشــاحٌ للعقيقــةِ مُــذهَــبٌ، يَجــولُ، وبُــردٌ للغَمــامــةِ أربَــدُ[2]
وأخضــرَ عَجَّــاجٍ تُــدرِّجُــه الصَّبــا، فتُتهِـمُ فيـه العيـنُ، طَـوراً، وتُنجِـدُ[3]
كــأنَّ فــؤاداً، بيــنَ جَنبيــه، راجفــاً، يقــومُ بــه نــأيُ الحبيــبِ، ويقعــدُ
ســأركــبُ منــه ظهــرَ أدهــمَ رَيِّــضٍ، مَـرُوعٍ، بسَوطِ الرِّيـحِ، يَرتـدُّ يُزبِدُ[4]
وأَمضــي، فــإمَّــا بيــتُ نفــس كــريمــةٍ يُهَــدُّ، وإمَّــا بيــتُ عِــزٍّ يُشَيَّــدُ
وإن غضَّ يوماً دونه، طَرفُ حاسدٍ، فــإنَّهمــا شمــسٌ تُنيــرُ، وأرمَــدُ
فــلا يَغتــرِرْ بــالحِلــمِ قَــومٌ، فــربَّمــا تصدَّعَ، عن سقطِ من النار، جَلمَدُ[5]
ولا يَكفُــروا نُعمــى الغَمــام، فــربَّمــا تَــدلَّــت عليهــم صَعقــةٌ تَتَــوقَّــدُ
فقَصــرُ أَنــاةِ الحِلــمِ عَضَّــةُ سَطــوةٍ، تُقيـمُ صَغـا تلـك القَنـا، وتُسـوِّدُ[6]
وإن عصَفَــت يــومــاً بهــم ريــحُ زَجــرةٍ، ولفَّهُــم خَطــبٌ، تَقعقَــعَ، مُــرعِــدُ
فــإنَّ، لإبــراهيــمَ، فَيــأةَ رَأفــةٍ، تَعـودُ بعَطـفِ الحِلمِ، والعَـودُ أحمدُ[7]
ومــا ابــنُ عِصــامٍ غيــرَ هَضبــةِ عِصمــةٍ تُجيــرُ، وسُقيــا رَحمــةٍ تَتجــدَّدُ
يسيــرُ بــه، فــي الحــقِّ، رأيٌ مُســدَّدٌ علـى منهَـجِ التَّقـوى، وعَـزمٌ مُـؤيَّـدُ[8]

---

(١) **الجلاد**: القتال ـ **الأدرد**: الذي لا أسنان له، والمقصود السيف الذي تثلّم من مقارعة الأعداء في الحرب.

(٢) **العقيقة**: النهر، ومسيل الماء ـ **البرد**: الثوب ـ **الأربد**: ذو الرّبدة، والرّبدة: الغبرة.

(٣) **الأخضر العجاج**: البحر والمقصود هنا نهر العقيقة الذي ذكره ـ **الصّبا**: الريح وقوله تدرجه **الصّبا**: تشكل فيه ريح الصبا درجاً ـ **تتهم العين**: تنظر إلى أسفله، وتنجد: تنظر إلى أعاليه.

(٤) **سأركب**.. الخ يقول إنه وهو يعلو هذا النهر كأنه يمتطي ظهر فرس أسود اللون في اخضرار ووصف هذا الفرس بالرّيض وأنه سهل الانقياد.

(٥) **سقط النّار**: ما يتساقط من شررها ـ **الجلمد**: الصخر.

(٦) **الصغا**: الميل ـ القنا: الرمح.

(٧) **الفيأة**: الأوبة، الرجعة.

(٨) الرأي المسدّد: القويم، السديد ـ **المنهج**: الطريق.

فما تُرعَدُ الأسيافُ، إلا مَهابةً   لمُؤتمرٍ في اللهِ، يَنهى ويَنْهَدُ[1]

ولا تُكسَفُ الأفكارُ، إلا حَسادةً   لمُضطَلِعٍ بالمجدِ، يَسعى، فيَسعَدُ

ويُذكي، وراءَ اللَّيلِ، عيناً حديدةً،   يَنامُ بها الدِّينُ احتراساً، ويسهَدُ

ويَحلُمُ، ولا عن ذِلَّةٍ، ولَربَّما   سطا أَسدٌ منه، وأَطرقَ أَسودُ[2]

أَمَا وسِراطٍ بين عينيه للهُدى   لقد شادَ أَركانَ الهُدى منه سيِّدُ

وأَلَّفَ، أَشتاتَ الفَضائلِ، أَروعُ،   وقامَ، بأعباءِ المَكارم، أَيِّدُ

ودارَ به، في مُقلةِ المَجدِ، ناظرٌ،   وأَشرَقَ، في حَلْيِ المَساعي، مُقَلَّدُ

وسارَ مسيرَ النَّجمِ هَدياً ورفعةً،   فغارَ به رَأيٌ، وأَنجدَ سُوددُ[3]

فطابقَ منه، منظراً راقَ، مَخبرٌ،   وظاهرَ فيه، مَولِداً طابَ، مَحتِدُ

وحسبكَ مِن لفظٍ وخطٍّ، قِلادةٌ،   تُفَضَّلُ لِلْعَليا، وَوَشيٌ مُعمَّدُ[4]

فللّهِ طِرسٌ، كلَّما أسَوَدَّ أسطراً   تألَّقَ لفظاً، فهوَ أَبيضُ أَسودُ

ونَدبٌ لبيبٌ يمشُقُ الطعنَ كاتباً،   ويَكفيه أُنبوبٌ، من الرمحِ، أَملَدُ

يُسوِّدُ أَطرافَ اليَراعِ، وإنَّما   يُحمِّرُ سُمرَ الخَطِّ، حينَ يُسوِّدُ

تبرَّعَ، لم يلجأ إلى الوعدِ صَمتُهُ،   وعاقَبَ، لم يُقعِده ضعفٌ، فيُوعِدُ[5]

له شِيمةٌ تَندى فتَشفي من الصَّدى،   وتَنقَعُ أَحشاءَ الهجيرِ، فيَبرُدُ

تمُدُّ عليك، الظِّلَّ، سَرحةُ أَبطحٍ   بها، ويغنِّيكَ الحَمامُ المُغرِّدُ

فمِن نورِ رأيٍ، لو تَراءَى لناظرٍ   لَلاحَ بهِ، تحتَ الدُّجُنَّةِ، فَرقَدُ

ومن حُرِّ نُبلٍ، قَد أَفاضَتهُ همَّةٌ،   فساحَ به، في سَفحِ ثَهلانَ، موردُ[6]

---

(١) **ينهد**: يقوم وينهض.

(٢) **الأسود**: الذكر من الأفاعي.

(٣) **سودد**: مخفّف سؤدد بالترخيم، والسؤدد: المجد.

(٤) **المعمدّ**: المشيد على العمد.

(٥) **يوعد**: يتهدّد.

(٦) **ثهلان**: جبل معروف في أرض العرب.

وقـولٍ لـه، فـي مقعَـدِ الحِلـمِ، حِكمـةٌ يَحُـلُّ بهـا، فـي اللهِ طـوراً، ويَعقُـدُ
وحكـمٍ لـه، دون الـدِّيـانـةِ، سَـورةٌ، تُقيـمُ علـى جَمـرِ العِقـابِ، وتَقعُـدُ
وما السَّيفُ، لولا الخوفُ، إلا حديدةٌ، ولا الـرمـحُ إلا خُـوطَـةٌ تتـأَوَّدُ
فيا عارِضاً يَطوي السُّرى طَيَّ رَهبَةٍ، فَيسـلُّ سيـفَ البـرقِ، طـوراً، ويُغمِـدُ
ويَسحبُ أَذيالَ الـرَّبـابِ على الـرُّبى، فيلقَـطُ مـن دُرِّ النَّـدى مـا يُبـدَّدُ[1]
تحمّـلْ إلـى قـاضـي القُضـاةِ تَحِيَّـةً، تَبيـتُ بمَلقـى رَحِلـه تَتـرددُ
تَضُوعُ، كما فاحَت معَ الفَجرِ روضةٌ، وطابَ، بريحِ المَندَلِ الرَّطبِ مَوقِدُ[2]
وتُهـوِي إلـى لَثْـمِ البِسـاطِ، وإنمـا تُصلِّـي إلـى رُكـنِ المَعـالـي، فتسجُـدُ

---

(١) الرباب: السحاب الأبيض ـ يبدَّد: المجهول من بدّد (الشيء): فرّقه، جعله يتلاشى.
(٢) تضوع: تعبق رائحتها ـ المندل: العود الطيّب الرائحة.

قافية الرّاء

(٨٦)
دعَوْتُ كبارا

قالها ممتدحاً صاحب قرطبة أبا الحسن بن الربيع مشيداً بمآثره.

مــاذا عليــكَ، وقــد نــأيــتَ دِيــارا، لــو طــافَ بــي ذاك الخَيــالُ فــزارا؟
ونظمــتُ مــن قُبَــل، بصَفحــةِ جيــدِه، عِقــداً، وقــد لَبِــسَ العِنــاقَ شِعــارا
فِيــمَ التعلُّــلُ فــي هــواكَ، وقــد طــوى، منّــي الضَّنــى وبــك النَّــوى، أســرارا؟
ولــربَّمــا مــنَّ النسيــمُ بنَفحــةٍ، تَنــدَى، علــى كبِــدٍ، تــذوبُ أُوارا[١]
وسألتُ فيك الليلَ عنِ سنَةِ الكَرى، حتــى أجــابنَــي الصَّبــاحُ سِــرارا
وسحَبــتُ أردانَ الظَّــلامِ علــى السُّــرى طُــولاً، ومــزَّقــتُ الــذُّيــولَ عِثــارا
ووطِئــتُ، دونَ الظَّبــيِ، غــابــةَ ضيغَــمٍ، غيرانَ، أنجدَ، في الوعيدِ، وغارا[٢]
أذكــى الــدُّجــى، عــن نظــرةٍ، نــاراً، كمــا هــزَّ الفَــلا، عــن زأرةٍ، أقطــارا
فصَممــتُ عنــه، وقــد سمِعــتُ حمــامــةَ، فــاغــرَورقَــت عينــي لهــا استِعبــارا
هــزَّت كهــزّي نَصــلَ سيفــي لَــوعــةً، فــرَفَقْــتُ حــاشيــةً، ورقَّ غِــرارا[٣]

---

(١) الأوار: الحرّ، العطش.
(٢) الضيغم: الأسد.
(٣) الغرار: حدّ السيف.

ومـــلأتْ جَفنِـــي عبـــرةً، ولـــربّمـــا أبكيتُـــــه، فجـــرى دمـــاً مَـــوّارا
وصَبَـــا إليهـــا أسمـــرٌ أعـــديتُـــه، فلَـــوى معـــاطفَـــه لهـــا تَخطـــارا[١]
وإذا رقَـــى ورقـــاءَ، تحسِـــبُ مُقلـــةً زرقـــاءَ، لـــم تُطبِـــق لهـــا أشفـــارا
ومشـــى يتيـــهُ بهـــا، اختيـــالاً، أجـــردٌ، فـــي شُقـــرةٍ، لـــو ســـالَ ســـالَ نُضـــارا[٢]
تسترقـــصُ الأعطـــافَ، مـــن طـــربٍ بـــه، شِيَـــةٌ تـــدورُ، علـــى العيـــونِ، عُقـــارا
لـــو كنـــتَ شـــاهدَهُ، وقـــد مـــلأ الفَضـــا ركضـــاً، وســـدَّ علـــى الكَمـــيِّ قِفـــارا[٣]
لرأيتَ، في ما قد رأيتَ، وقد بدا، نـــاراً تكـــونُ، إذا جـــرى، إعصـــارا
أَستعطـــفُ الأسمـــاعَ إطـــراءً لـــه، فـــي صـــورةٍ تستعطِـــفُ الأبصـــارا
وغَمـــامـــةٍ نَشـــرتْ جَنـــاحَ حَمـــامـــةٍ؛ والبـــرقُ قـــد نسَـــجَ الظَّـــلامَ نهـــارا
متألّقٌ، صدع الدُّجى، وسقَى الثَّرى، فـــابيـــضَّ ذا نُـــوراً وذا أنـــوارا
فـــي أجـــرعٍ خلَـــفَ الـــربيـــعُ بـــه ابنَـــه، كـــرَمـــاً، فـــأخصـــبَ رَبـــوةً، وقـــرارا[٤]
هفـــتِ الصَّبـــا منـــه بمســـرى دِيمـــةٍ، هَطـــلاءَ، قـــرَّ بهـــا العَجـــاجُ وَقـــارا
وكفَـــتْ، فســـالَـــت فِضَّـــةً، ولـــربّمـــا طَبَعَـــــتْ بكـــــلِّ قَـــــرارةٍ دِينـــــارا
نثَلـــت بـــه زُرْقُ النِّطـــافِ سَـــوابغـــاً زُرقـــاً، وجـــرَّدتِ الشِّعـــابُ شِفـــارا
فكـــأنّمـــا فُلَّـــتْ، هنـــاك، كتيبـــةٌ، فـــرمَـــت بـــه عنهـــا السِّـــلاحَ فِـــرارا
أرضٌ هبَطـــتُ بهـــا سمـــاءً طَلقـــةً، وخبَطـــتُ، مـــن سَـــدَفٍ بهـــا، أنـــوارا[٥]
عـاطيتُ ذِكـر أبـي الحُسين بهـا السُّـرى ريحـــانـــةً، يشتمُّهـــا مِعطـــارا
وسُـــلافـــةً خفَّـــت بنـــا طـــربـــاً لهـــا، واستـــرقصَـــتْ مـــن فِتيـــةٍ ومَهـــارى
عبِثـــت بهـــا سِنَـــةُ الكَـــرى، فتمـــايَـــدَت، فـــي مُلتقـــى أسحـــارِهـــا، أشجـــارا

---

(١) التخطار: التبختر، بباعث الاعجاب والزهو.
(٢) يتيه: يزهو ـ النضار: الذهب.
(٣) الكميّ: الشجاع، لابس السلاح.
(٤) ابن الربيع: كناية عن المطر ـ الربوة: الأكمة الخضراء.
(٥) السدف: الظلمة.

ولـربَّمـا سـالـت أبـاطِحُهـا بِهـا، فـي مُنتحـى أنهـارِهـا، أنهـارا
أأَبـا الحسيـنِ، ومـا دعـوتُ مُصغَّـراً بـأبـي الحسيـن، وقـد دعَـوتُ كُبـارا
أعـزِز علـيَّ، وقـد حَللـتَ عَـلاقـةً، بيـن الجَـوانـحِ، أن شَحْطـتَ جِـوارا[1]
وشـرقـتُ فيـك بعَبـرةٍ مشبـوبـةٍ، كـالبـرقِ يقـدَحُ، فـي الغَمـامـة، نـارا
وعُـلاكَ، لـو سمـحَ الـزمـانُ بليلـةٍ منـه، لظَـلَّ بصَفْحَتَيْـه عِـذارا
تَثنـي معـاطفَهـا اهتـزازَ بشـاشـةٍ تَتـرى، وخـفَّ بهـا السـرورُ وَقـارا[2]
فـاستهجَنَـت حمـلَ الثُّـريّـا تُـومـةً، واستصغَـرت لُبـسَ الهِـلال سِـوارا[3]
وعسـى الـزمـانُ، وإن عَسـا فـي حـالـةٍ، يحنـو، فيـدنُـو بـالـوزيـرِ مَـزارا
فمـن المُنـى، وهـو الغـزالـةُ سنّـةً، لـو أنّنـي كنـتُ الهِـلالَ سِـرارا[4]
طُلـتَ المـدائـحَ طَـولَ أروعَ مـاجِـدٍ، فلبستَهـا حُلـلاً، عليـك، قِصـارا
وكفـاك أنّـك مـن بُـدورِ معـاشـرٍ، طلَعـوا، لأوَلِ ليلَـةٍ أقمـارا
ولئـن عـدَتنـي عنـك كـلُّ تَنُـوفـةٍ، يهفُـو لهـا قلـبُ السَّـرابِ حِـذارا[5]
فلـربَّمـا طـرَقَـتْ، جَنـابـي، فِتيـةٌ، كَـرُمُـوا جِـواراً، فـي العُـلا، ونِجـارا[6]
نُجبـاءُ، تخفِـقُ فـي ظُهـورِ نجـائـبٍ، مـا إن نضَـلُّ، وقـد مَثلـنَ منـارا
صدَعتْ بهم، سُجفَ الظَّلامِ، أجادلٌ، لَـزِمَـتْ بهـم أكـوارَهـا أوكـارا[7]
فسَـرَت إلـيَّ مـعَ الـرِّكـابِ، تحيَّـةٌ، عقـدَت علـيَّ، لهـا، العُلـى، أزرارا

---

(١) **شحطت جواداً**: نأيت وابتعدت.
(٢) **تثني معاطفها**: تميس وتزهو متمايلة.
(٣) **استهجن (هُ)**: استقبحه ـ **التومة**: جمع تُوَم وتُوْم القرط أو حبّة من فضّة شبه الدرّة، والتومة أيضاً الخزام الذي يوضع في الأنف.
(٤) **الغزالة**: الشمس ـ **سنّة**: طلعة ـ **السرار**: الليلة الأخيرة من الشهر القمري، وفي هذه الليلة لا يظهر القمر.
(٥) **التنوفة**: المفازة.
(٦) **النجار**: الأصل والحسب.
(٧) **السجف**: الحجب، الستائر ـ **الأجادل**: الصقور، جمع الأجدل.

هَــــزَّازةٌ نـــاءت بعِطفَــــيْ عِــــزَّةٍ، حتـى جَـرَرتُ، علـى المَجـرِّ، إزارا[1]
هـدرَت جنـايـةُ صـرفِ دهـرٍ جـائـرٍ، نَفـضَ المشيـبَ، بعـارضـيَّ، غُبـارا
فـإذا حَنـوتُ، فـلا سلـوتُ، فـإنَّمـا أنـتَ القـريـبُ وإن شَحطـتَ دِيـارا

(٨٧)
مَنْصورُ اللّواء

من قصائده في مدح نجل أمير المؤمنين القائد أبي الطاهر تميم:

أَمـا والتفـاتِ الـرَّوضِ عـن أزرق النَّهـرِ، وإشـراقِ جِيـدِ الغُصـن فـي حِلَيـةِ الزَّهـرِ
وقـد نَسَمَـت رِيـحُ النُّعـامـى، فنَبَّهَـتْ عيونَ النَّدامى، تحتَ رَيحانةِ الفَجرِ[2]
وخِـدرِ فتـاةٍ قـد طَـرَقـتُ، وإنَّمـا أَبحـتُ بـه وَكـرَ الحَمـامـةِ للصَّقـرِ
وقـدٌّ خلعـتُ البُـردَ عنـه، وإنَّمـا نشَـرتُ بـه طـيَّ الصحيفـةِ عـن سَطـرِ
لقـد جُبـتُ، دونَ الحيِّ، كـلَّ تَنوفـةٍ، يحـومُ بهـا نَسـرُ السمـاءِ علـى وَكـرِ[3]
وخُضـتُ ظـلامَ الليـلِ، يسـودُّ فحمُـه، ودُستُ عرينَ اللَّيثِ، ينظُرُ عن جَمرِ
وجئـتُ ديـارَ الحـيِّ، والليـلُ مُطـرَفٌ، مُنمنَـمُ ثـوب الأفـقِ بـالأنجُـم الـزُّهـرِ[4]
أَشيـمُ بهـا بـرقَ الحـديـدِ، وربّمـا عَثـرتُ بـأطـرافِ الـرُّدَينيَّـةِ السُّمـرِ
فلـم ألـقَ، إلاَّ صَعـدةً فـوقَ لامـةٍ، فَقُلْـتُ: قضيـبٌ قـد أَطـلَّ علـى نَهـرِ[5]
ولا شِمـتُ، إلاَّ غُـرَّةً فـوقَ شُقـرةٍ، فقلـتُ: حَبـابٌ يستـديـرُ علـى خَمـرِ
ودونَ طـروقِ الحـيّ خَـوضـةُ فَتكـةٍ، مـوَرَّسَـةِ السِّـربـالِ، داميـةِ الظُّفـرِ[6]

---

(١) **الإزار**: الرداء.
(٢) **نسمت الريح**: هبّت وتحرّكت.
(٣) **جبتُ المطاف**: طفت به ـ **الوكر**: عشّ الطائر.
(٤) **المطرف**: الذي طرفت عينه فدمعت **والطرف أيضاً**: الإزار ـ **الثوب المنمنم**: المزخرف والموشّى.
(٥) **الصعدة**: الرمح ـ **اللامة**: مخفّف اللأمة، وهي الدرع.
(٦) **السربال**: القميص، وكلّ ما يلبس ـ **مورّسة**: حمراء.

تطلّعُ في فرعٍ، من النقعِ، أسودٍ، ... وتسفُرُ عن خدٍّ، من السيفِ، مُحمرٍّ
فسرتُ، وقلبُ البَرقِ يخفُقُ غَيرةً، ... هناك، وعينُ النجمِ تنظُرُ عن شَزرِ(١)
وطارَ إليها بي جَناحُ صبَابةٍ، ... فطارَ بها عنّي جَناحٌ منَ الذُّعرِ
فقلتُ: رُويداً، لا تُراعي، إنّنا ... لنَطوي ضُلوعَ الليلِ منّا على سِرِّ
وسكّنتُ من نفسٍ، تجيش، مَرُوعةٍ، ... ومسّحتُ عن عِطفٍ، تمايلَ، مُزوَرِّ
ومزّقتُ جيبَ الليلِ عنها، وإنّما ... رَفعتُ جَناحَ النسر عن بَيضةِ الخِدْرِ(٢)
وقبّلتُ ما بينَ المُحيّا إلى الطُّلى؛ ... وعانَقتُ ما بين التَّراقي إلى الخَصرِ
وأطربَ سَجعُ الحَلْيِ من خيزُرانةٍ ... تميلُ بها ريحُ الشبيبةِ والسُّكرِ(٣)
غَزاليّةُ الألحاظِ، رِيميّةُ الطُّلى، ... مُداميّةُ الألمى، حَبابيّةُ الثّغرِ(٤)
تَرجّحُ في مَوشيّةٍ ذَهبيّةٍ، ... كما اشتَبكت زُهرُ النجومِ على البَدرِ
تلاقى نسيبي في هَواها وأدمُعي، ... فمن لُؤلؤٍ نَظمٍ، ومن لُؤلؤٍ نَثرِ
وقد خلَعَت، ليلاً، علينا يدُ الهَوى ... رداءَ عِناقٍ مزّقَته يدُ الفَجرِ
ولمّا تجلّى ضَوءُ صُبحٍ، كأنه ... مَشيبٌ بِفَودِ الليلِ طالعَ من قطرِ
وحطَّ رِداءَ الغيمِ عن منكِبِ الصَّبا؛ ... ونَمَّ، على ذيلِ الدُّجى، نَفَسُ الزَّهرِ
صَدرتُ، ودونَ النَّجمِ سترُ غَمامةٍ، ... يَشفُّ، كما شفَّ الرَّمادُ عن الجَمرِ
ولا ليلَ، إلّا بالثّويّة، أقمرٌ، ... تنفّسَ فيه السكرُ عن نَفحةِ الشُّكرِ(٥)
ولا كفَّ، إلا للأميرِ، كريمةٌ، ... تبسّمَ فيها النّصلُ عن مَبسِمِ النّصرِ
وهَبَّ، بها، يَمضي فيَفري، كأنّما ... شهابٌ، بها، يَنقضُّ، أو قَدَرٌ يجري

---

(١) **الشزر**: الحمرة في العين.
(٢) **الجيب**: القميص، والجيب أيضاً القلب أو الصدر.
(٣) **والخيزرانة** هنا كناية عن القامة الطويلة اللينة.
(٤) **غزالية الأنماط**: أي عيناها كعيني الظبي ـ **ريمية** نسبة إلى الريم، وهو الظبي ـ الطّلى ـ جمع الطلية ـ العنق، يشبه عنقها أو جيدها بجيد الريم.
(٥) **الثوية**: علم على موضع.

فللّــهِ محمــولٌ، هنــاك، وحــامــلٌ بعيدُ مَجالِ الصَّوتِ والصِّيت والـذّكـرِ
تَلـوذُ المُنـى، منـه، بـأصيـدَ أمجـدِ، صقيـلِ فـرنـدِ الحمـدِ والمجـدِ والبِشـرِ
وأبلـجَ منصـورِ اللـواءِ، إذا سَـرى، أظلّـت عُقـابُ النصـرِ أَجنِحـةَ النَّسـرِ (١)
عليـــه يميـــنٌ أن تَفيـــضَ يَمينُـــه، وأن لا يَغُضَّ السيفُ جَفناً على وِتْرِ (٢)
يَعُبُّ عُبابَ البَحرِ، في السِّلمِ والوَغى، ببَــذلِ اليــدِ الغَــرّاءِ، والفَتكـةِ البِكـرِ
لـه رايـةٌ، لـو زاحـمَ الـدهـرُ، تحتَهـا لعُـدَّت بـه دُهـمُ الليـالـي مـن الشُّقـرِ
وعــزمٌ يُــذِلُّ الطَّــودَ هــدّاً، ونَجــدةٌ تَهُـزُّ قُـدودَ السُّمـرِ فـي الحُلَـلِ الحُمـرِ
ووجــهٌ وضــيءٌ، شـفَّ عنـه لِثـامـهُ، كمـا شـفَّ رقـراقُ الغَمـام عـن البَـدرِ
إذا كَتمتَــه، بــالمَفــاضــةِ، دِرْعُــه، تَـراءى هِـلالٌ، منه، يطلُعُ مِن بَحرِ (٣)
سَــرى بيــنَ نُــوّارِ لــزُرقِ أَسِنَّــةٍ، حِــدادٍ، وأوراقٍ لــرايــاتِــه الخُضــرِ
فهــزَّت إليــه، عطِفَهــا، كـلُّ رايـةٍ، تَهُـزُّ عليـه الغُصـنَ فـي الـورَقِ النَّضـرِ
وحــنَّ إليـــه كـــلُّ وِردٍ مُحجَّـــلٍ، كـأنَّ لُجَيْنـاً سـالَ منـه علـى تِبـرِ (٤)
يجوُلُ، فتَجري، في عنانٍ، به الصَّبا، ويـزخَـرُ، فـي لِبـدٍ، بـه البحـرُ فـي البرّ
وأَشهـــبُ وضّـــاحٌ تحمَّـــلَ رُقعـــةً من الحُسنِ، لم تَعبُر به العينُ في بَسرِ (٥)
تخُطُّ سطُورَ الضرب، في صدره، الظُّبى، ويَعجمُهـــا وَخـــزُ المثقَّفـــة السُّمـــرِ
ويَـدرُجُ منـه السِّلـمُ مـا تنشُـرُ الـوَغـى، فطـوراً إلـى طـيٍّ، وطـوراً إلـى نَشـرِ
وأدهـــمُ، لـــولا أنـــه راقَ صـــورةً، لمـا عـرَفَتـه العيـنُ مـن لَيلـة الهَجـرِ (٦)

---

(١) الأبلج: الواضح المحيا، النّاصع الجبين.
(٢) يقول: إن ممدوحه أقسم على أن تفيض يده عطاء وألا يغمد سيفه إلا إذا نال ثأره من خصم أو عدو.
(٣) المفاضة: الدرع الواسعة.
(٤) اللجين: الفّضة ـ التّبر: الذهب.
(٥) البسر: العجلة، يقول إن حسنه لافت يستوقف الناظرين.
(٦) الأدهم: الأسود ـ ليلة الهجر: يريد الليلة التي يهجر فيها المحبّ حبيبه وهي ليلة حالكة السواد.

طويلُ سبيبِ العُرفِ والعُنقِ والشوى، قصيرُ عسيبِ الذَّيلِ والأذنِ والنَّسرِ[(١)]
لـه غُـرَّةٌ، تستصحِـبُ النَّصـرَ، طَلْقـةٌ، كفاكَ بهـا في سُورةِ الحَشرِ مـن عَشرِ
أَمـا وانتشـارِ النَّقـع عَنـه صحيفـةً، لقـد راعَ في تلـك الصحيفـةِ من حِبرِ
ونـال فطيمـاً سؤددَ الكَهلِ في الصِّبا، فتَـمَّ تمـامَ البـدر فـي غُـرَّةِ الشَّهـرِ
وحلَّـت بـه الآمـالُ، وهـي شـريفـةٌ مَحـلَّ ليـالـي الصَّـومِ مـن لَيلـةِ القَـدرِ
لَبيـبٌ، فمـا نَـدري: أَرأيـاً لحـادثٍ يُبيِّـتُ، أَم سهمـاً لشـاكلـةِ يَبـري[(٢)]
تقسَّمَـه جـودٌ يفيـض، وهِمَّـةٌ، فمِـن مَنهَـلٍ غمـرٍ، ومـن جَبـلٍ وعـرِ[(٣)]
لـه كـلُّ نُعمـى، بيّضَـت كـلَّ صَفحـةٍ، بكـلِّ مَكـانٍ، فـالبَهيـمُ مـن الغُـرّ
فلـو مَسَحَـت يُمنـاه، عـن وجـهِ ليلـةٍ، لحطَّـت قِناعَ الليـلِ عـن قمَـرٍ يَسري[(٤)]
رميَـتُ بـآمـالـي إليـه، وإنَّمـا حَملتُ بها المَرعى الجدِيبَ إلى القَطرِ
ولا أَمـلٌ إلاَّ كتـابُ شَفـاعـةٍ، إذا الخطـبُ أَعيـا وزرُه شَـدَّ مـن أزري
شفِيـعٌ، لـو استعطفـتُ عصـرَ الصِّبا بـهِ لعـاجَ، سقَتـه دمعـةُ المُـزنِ مـن عَصـرِ
وبيَ مَسُّ شكوى، لا أُطيق لها السُّرى، فـإن لـم أطـأ بـابَ الأميـرِ، فعَـن عُـذْرِ
ولـو مُلِئَـت عيـنُ الـدُّجـى لمَـلأتُهـا بغُرَّةِ شمسِ العَصرِ، في مطلع القَصرِ
ومـا المـرءُ إلاَّ قلبُـه، وإذا سَـرى معَ الركبِ من شوقٍ، فإني معَ السَّفرِ
أبـا الطَّـاهـرِ أقبَلْهـا إليـك تحيَّـةً، أَرَقتُ عليها، سَحرةً، رونَقَ السِّحرِ[(٥)]
خلَعـتُ قـوافِيهـا عليـك، وإنَّمـا نظَمـتُ بهـا عِقـداً نفيسـاً علـى نَحـرِ
فسُد، وطإِ التِّيجانَ عزّاً، وذُدْ، وجُدْ، فسيـحَ فِناءِ المُلـكِ عـالـي يـدِ الأمـرِ
طليقَ لسانِ السيفِ والضيفِ والنَّدى، رفيـعَ مَنـارِ القَـدرِ، والـذِّكـرِ والفَخـرِ

(١) السبيب: الخصلة من الشعر ـ الشوى: الأطراف ـ الذيل العسيب: العظيم.
(٢) لبيب: فطن، شديد الذكاء ـ يبيّت الأمر أو الرأي: يعدّه مسبقاً ـ الشاكلة: النيّة.
(٣) يمتدح كرمه وهمته ويقول بأنه موزّع بين هذا وذاك.
(٤) يتابع إطراءه ويقول بأنّ شمائله الحميدة كفيلة أن تبدّد ظلمة الليلَ لتنكشف عن نور قمر يسري.
(٥) أرقت: من أراق أي صبّ.

(٨٨)
ارتقى شَرَفاً

أنشد هذه القصيدة مادحاً الأمير أبا يحيى بن إبراهيم

سمَحَ الخيالُ، على النَّوى، بمَزارِ، والصبحُ يمسحُ عن جبينِ نَهارِ
فرفعتُ، من ناري، لضيفِ طارِقٍ، يعشُو إليها من خيالٍ طاري
ركِبَ الدُّجى، أَحسنْ بها من مَركبٍ؛ وطَوى السُّرى، أَحبِبْ به من ساري
وأَناخَ حيثُ دموعُ عيني منهَلٌ يَروي، وحيثُ حَشايَ مَوقِدُ نارِ
وسَقى فأروي غُلَّةً من ناهلٍ أَورى، بجانحَتَيهِ، زَندَ أُوارِ(١)
خلعَ الهوى ثوباً عليه من الضَّنى، قد شفَّ عنه، فهو كاسٍ عاري
يَلوي الضلوعَ، من الولوعِ، لخطرةٍ من شَيمِ برقٍ، أو شميمِ عَرارِ
والليلُ قد نضح الندى سِربالَه، فانهلَّ دمعُ الطَّلِّ فوقَ صِدارِ(٢)
لبسَ المجرَّ على السَّوادِ فخلتُه متنزِّهاً، قد شَدَّ من زُنّارِ
ووراءَ أَستارِ الدُّجى متململٌ، يَلقى بيُمنى، تارةً، ويَسارِ
ما طالعَته بَرقَةٌ نجديَّةٌ، إلَّا اجتلَتها نظرةُ استعبارِ(٣)
مترقِّبٌ رُسُلَ الرياحِ، عشِيَّةً، بمساقطِ الأنواءِ والأنوارِ
ومَجَرِّ ذيلِ غمامةٍ، لبِسَت به، وَشيَ الحَبابِ، معاطِفُ الأنهارِ
خفقَت ظِلالُ الأيكِ فيه ذوائباً، وارتجَّ، رِدفاً، مائجُ التَّيّارِ(٤)
ولَوى القضيبُ، هناك، جيداً أَتلعاً، قد قبَّلَته مَباسمُ النُّوّارِ
باكرتُه، والغيمُ قِطعةُ عنبرٍ، مشبوبةٌ، والبرقُ لَفحةُ نارِ
والريحُ تَلطِمُ فيه أَردافَ الرُّبى، لَعِباً، وتَلثِمُ أَوجُهَ الأزهارِ

---

(١) الغلّة: العطش الشديد ـ أورى: أوقد الأوار: الظمأ والحرّ الشديد.
(٢) السربال: القميص ـ الطلّ: النّدى ـ الصدار: قميص يستر الصدر دون اليدين.
(٣) اجتلى (ه): نظر إليه ـ الاستعبار: مصدر استعبرت (العين): أي أرسلت عبرتها، أي دمعتها.
(٤) الأيك: الشجر الكثير الملتف ـ الذوائب: الأغصان، والذوائب جمع ذؤابة الضفيرة.

ومنـابـرُ الأشجـار قـد قـامَـت بهـا، خُطَبـــاء مفصحـــةٌ مـــن الأطيـــارِ
فـي فِتيـةٍ جنَبـوا العَجـاجـةَ، ليلـةً، ولـــربّمـــا سفـــروا عـــن الأقمـــارِ[1]
ثـارَ القَتـامُ بهـم دُخـانـاً، وارتمـى زَنْــدُ الحفيظــة، منهــمُ، بشــرارِ[2]
شـاهـدتُ، مـن هيـآتِهـم وهِبـاتهـم، أَشــرافَ أَطــوادٍ، وفيــضَ بِحــارِ
مــن كــلِّ منتقِــبٍ بــوَردةِ خجْلــةٍ، كــرَمــاً، ومُشتمــلٍ بثــوبِ وقــارِ
فــي عِمَّــةٍ خَلَعَــت عليــه كلمــةً؛ وذؤابـــةٍ قُـــرِنَـــت بهـــا كعِـــذارِ
ضـافـي رداءِ المجـدِ، طَمّـاحِ العُـلا، طـامـي عُبـابِ الجُـودِ، رَحـبِ الـدارِ
جَـــرّارِ أَذيـــالِ المعـــالـــي والقنَـــا، حـــامـــي الحقيقـــةِ والحِمـــى والجـــارِ
طَــرَدَ القَنيــصَ بكــلِّ قَيــدِ طَــريــدةٍ، زجِــلِ الجَنــاحِ، مُــورَّدِ الأظفــارِ[3]
ملتفَّـــةٍ أَعطـــافُـــهُ بحبيـــرةٍ، مكحـــولـــةٍ أَجفـــانُـــه بنُضـــارِ[4]
يـرمـي بـه الأمـلَ القصـيَّ، فينثنـي مخضـــوبَ راءِ الظُّفـــرِ والمِنقـــارِ[5]
وبكـلِّ نـائـي الشـوطِ أَشـدقَ أَصـدرٍ، طاوي الحشى حالي المقلَّدِ ضاري[6]
يَفتــرُّ عــن مثــلِ النِّصــالِ، وإنَّمــا يمشـــي علـــى مثـــلِ القَنـــا الخطّـــارِ
مستقـريـاً أَثـرَ القَنيـص علـى الصَّفـا، والليـــلُ مشتمـــلٌ بشملـــةِ قـــارِ[7]
مــن كــلِّ مسِــوَدٍّ، تلهَّــبَ طَــرفُــه، تَهـــديـــد فحَمتُهُ بشُعْلـــة نـــارِ
ومـــورَّسِ السِّـــربـــالِ، يخلـــعُ قـــدَّه عـن نجـمِ رجـمٍ فـي سمـاءِ غُبـارِ[8]

---

(١) **العجاجة**: الغبار الثائر ـ **سفر عن**: كشف.
(٢) **القتام**: الغبار ـ **الحفيظة**: الحمية التي تدفع إلى الذّود عن المكارم والأعراض.
(٣) **أراد بالطريدة هنا**: الفرس النشيط ـ **زجل**: ذو صوت ـ **مورّد**: مدمّى، مصبوغ بلون الورد.
(٤) **الحبيرة**: البرد المزركش ـ **النّضار**: الذهب.
(٥) **القصيّ**: البعيد ـ **راء الظفر والمنقاد**: أي الطرف من هذين الاسمين ويلاحظ أنه حرف الرّاء.
(٦) **النائي**: البعيد ـ **الأشدق**: الواسع الشدق أي الفم ـ **طاوي الحشى**: نحيل الخصر ـ **حالي المقلّد**: أي جيده مزيّن بالحليّ.
(٧) **مستقرياً**: مخفّف مستقرئاً، متتبعاً ـ **بشملة قار**: أي بثوب أسود.
(٨) **السربال**: القميص.

عطفَ الضُّمورُ سَراتَه، فكأنَّه، والنَّقعُ يَحجُبُه، هِلالُ سِرارِ[1]
ولربَّ روَّاعٍ، هنالك، أنبطٍ، خَلقِ المسامعِ، أَطلسِ الأطمارِ[2]
يجري على حذَرٍ، فيجمعُ بَسطَه، يَهوي، فينعطِفُ انعطافَ سُوارِ
ممتدِّ حَبل الشأوِ، يعسِلُ راتعاً، فيكادُ يُفلتُ أيديَ الأقدارِ[3]
متردداً يَرمي به خوفُ الرَّدى كُرَةً، تهادَتها أكُفُّ قِفارِ
ولرُبَّ طَيّارٍ خفيفٍ، قد جرى فشَلا بجارٍ، خلفه، طَيّارِ
من كلِّ قاصرةِ الخُطى، مُختالةٍ، مَشيَ الفَتاةِ تجرُّ فَضلَ إزارِ
مخضوبةِ المنقارِ، تحسَبُ أنَّها كَرَعت، على ظَمإٍ، بكاسَ عُقارِ
لا تستقرُّ بها الأيادي، خشيةً من ليلِ ويلٍ، أو نهارِ بَوارِ[4]
ولو استجارَت منهما بحِمى أبي يحيى، لأمَّنَها أعزَّ جِوارِ
حَرَمٌ، إذا اشتملَ الطريدُ بظلِّه، لم يَخشَ من جَورٍ، هنالكَ جاري
تقِفُ الرِّياحُ، بجانبَيه، هَيبةً، ويعُبُّ بحرُ العسكرِ الجَرّارِ
ويَقِيلُ، من أمنٍ به، ظبيُ النَّقا في جحرِ خيسِ الضَّيغمِ الزَّآرِ[5]
خدمَ القضاءُ مُرادهُ فكأنَّما ملكَت يداهُ أَعنَّةَ الأقدارِ
وعَنا الزمانُ لأمرِه، فكأنَّما أصغى الزمانُ به إلى أمَّارِ
وجَلا الإمارةَ في رقيقِ نَضارةٍ، جَلَتِ الدُّجى في حُلَّةِ الأنوارِ
في حيثُ وشَّحَ لَبَّةً بِقلادةٍ منها، وحَلَّى مِعصماً بِسوارِ[6]

---

(١) السراة: الظهر.
(٢) الأنبط: الأبيض فما تحت الإبط ـ الخلِق: من خَلَق خلقا الشيء: سوّاه ملّسه، وخلَق: لان واملس.
(٣) الشأو: الشوط ـ يعسل: يضطرب في مشيته.
(٤) الويل: الهلاك، حلول الشرّ ـ البوار: الكساد.
(٥) يقيل: ينام القيلولة، أي نوم الظهيرة ـ خيس: أجمة ـ الضيغم: الأسد ـ الزآر: الذي يزأر بشدّة.
(٦) اللبّة: موضع القلادة من الصدر، واللفظة من لُبّ الشيء، أي خالصه.

جذلانَ يملأُ مِنحةٍ وبشاشةً ... أيدي العُفاةِ، وأعينَ الزُّوّارِ
متقسِّمٌ ما بينَ بدرِ دُجُنَّةٍ ... أسرى، وبينَ غمامةٍ مِدرارِ
أَرِجَ النَّديُّ بذكرِه، فكأنَّه ... متنفِّسٌ عن روضةٍ مِعطارِ[1]
في حُسنِ منطِقهِ، وهَشّةِ وجهِه، ... مُستمتَعُ الأسماعِ والأبصارِ
جارى الرِّياحَ إلى السَّماحِ، فما جرَت ... معه الرياحُ النُّكبُ في مِضمارِ[2]
وزكا، فشدَّ على العَفافَ إزارَه؛ ... إنَّ العَفافَ لَشيمةُ الأحرارِ
يَقِظٌ ذَكا فَهماً، وأشرفَ هِمَّةً؛ ... وكفاك من نارٍ به ومَنارِ
لبِسَ التواضعَ عن جَلالٍ، وارتقى ... شرَفاً بحيثُ سما سماءَ فَخارِ
ألقت إليه، بالأمورِ، إمارةٌ، ... ملأت، رُواءً، أعينَ النُّظّارِ
فعِنانُ تلك الدولةِ، الغَرّاءِ، في ... تَدبيرِ ذاكَ الفارسِ المِغوارِ
بطلٌ جرى الفَلَكُ المُحيطُ بسَرجِه، ... واستَلَّ صارمَه، يدُ المِقدارِ
يمتدُّ حبلُ الأسمرِ الخَطِّيَّ في ... يدِه، وباعُ الأبيضِ البَتّارِ[3]
بيمينِه، يومَ الوَغى، وشِمالِه، ... ما شاءَ من نارٍ ومن إعصارِ
فالشَّمسُ خَمرٌ، والجِيادُ عَرائسٌ، ... والجوُّ كاسٍ، والسيوفُ مَداري[4]
والخيلُ تعثُرُ في شَبا شوكِ القَنا، ... وتظَلُّ تسبحُ في الدمِ المَوّارِ[5]
والبِيضُ تُحنى في الطُّلى، فكأنّما ... لُوِيَتْ عُرَى، منها، على أزرارِ
والنَّقعُ يكسِرُ من سنا شمسِ الضُّحى، ... فكأنَّه صدأٌ على دِينارِ
صحِبَ، الحسامَ، النَّصرُ صُحبةَ غِبطةٍ، ... في كفِّ صَوّالٍ به سَوّارِ[6]

---

(١) **أرج**: فاح ـ **المعطار**: الكثير التعطّر.
(٢) **النكب**: جمع النكباء: الريح الواقعة بين الصّبا والشمال.
(٣) **الأسمر الخطيّ**: الرمح ـ **الأبيض**: السيف ـ **البتّار**: السيف القاطع.
(٤) **المداري**: جمع مدرى، وهو المشط.
(٥) **تعثر**: تكبو وتزلّ ـ الشبا: حدّ كل شيء جمع الشباة.
(٦) **الحسام**: السيف ـ **الصوّال**: الشديد السطو والقهر ـ **سوّار**: وثّاب.

لــو أنــه أوحــى إليــه بنَظــرةٍ، يــومــاً، لثــارَ فلــم ينَــم عــن ثــارِ
ومضــى، وقــد ملكَتــه هِــزَّةُ عِــزْةٍ، تحــت العَجــاجِ، وضِحكــةُ استبشــارِ
ولــربّ صِفــرِ الكــفِّ، هــاذٍ بــالمنى، كلِــفٍ بــأطــوارٍ مــن الأوطــارِ
قــد أسبــل الظّلمــاءَ ستــراً، دونَــه، وخــلا بــأبكــارٍ مــن الأفكــارِ
صــاحــت بــه الأيــامُ، تــرفــعُ صــوتَهــا، فكــأنَّمــا نــادَتــه خلــف جــدار:
دع عنــك ثيِّــبَ كــلِّ نُعمــى، والتمِــس مِنَحــاً لإبــراهيــمَ، فهــيَ عَــذاري[1]
واربــع بحيــثُ تصــوبُ، أرضَــك، ديمــةٌ ليميـــن يُمـــنٍ، أو يَســـارِ يَســـارِ
هَطــلاءُ، تضحــكُ كــلُّ زهــرةِ صفحــةٍ عنهــا، وتُعشِــبُ كــلُّ ســاحــةِ دارِ
مــن معشــرٍ تَــدمــى بهــم، يــومَ الــوغــى، بَيـــضُ السيـــوفِ وأوجـــهُ الكُفّـــارِ
وتحـــورُ نفـــسُ المستطيـــلِ مهـــابـــةً، ويـــذِلُّ، رُغمـــاً، معطِـــسُ الجَبّـــارِ
جمــعَ النَّــدى بهــم، وصــدرُ المُنتــدى، كَـــرَمَ النفـــوسِ ورِقّـــةَ الأبشـــارِ[2]
ســادَ السّــراةُ بمــا استفــادوا عنهُــمُ؛ إنَّ الشمـــوسَ لعِلّـــةُ الأقمـــارِ
وسخــا الكــرامُ بمــا استمــدوا منهــمُ؛ إنَّ البحَـــارَ لَمنشـــأُ الأمطـــارِ
تُنميهــمُ الــدُّنيــا إلــى صِنهــاجــة؛ والــديــنُ يُنميهــم إلــى الأنصــارِ[3]
شــادَت يــدُ العَليــاءِ فــي عَــرَصــاتهــم، أعلـــى منـــارٍ فـــي أعـــزِّ ديـــارِ
مــن كــلِّ غَيــثٍ، للسَّمــاحــة، واكــفٍ، يَهمــي، وقِــرنٍ، فــي الــوَغــى، هَــدّارِ
يتتــابعــون إلــى الصَّــريــخِ، كــأنهــم أمـــواجُ بَحـــرٍ، قـــد طمـــى، زخّـــارِ[4]
كــم مطلَــقٍ، لنَــداهــمُ وظُبــاهــمُ، مـــن قَيـــدِ إعســـارٍ وقِـــدِّ إســـارِ
ورداءِ مجـــدٍ، طُـــرِّزت أعطـــافُـــه بـــالحمـــد، لا يبْلَـــى علـــى الأعصـــارِ

---

(١) **الثيّب**: أصلاً المرأة غير العذراء ـ **المنح**: جمع منحة الهبات والعطايا ـ **العذاري**: الأبكار.
(٢) **الأبشار**: جمع بشرة، جلد الجسم الظاهر.
(٣) **صنهاجة**: من القبائل الإفريقية التي تستّم زعماؤها حكم البلاد خلال حقبة من الزمن ـ الأنصار: أراد أهل المدينة الذين نصروا الإسلام عند نشأته.
(٤) **الصّريخ**: المستجير ـ **طمى البحر**: علا موجه ـ **البحر الزخّار**: الزاخر، الموّار.

فلـوَ إنّهـم خلَـدوا خلـودَ ثنـائهـم، لـم تَنفصـم عنهـم عُـرى الأعمـارِ
وإليـكَ، مـن حَـوكِ البـديـعِ، قـوافيـاً، هـزَّ النشيـدُ بهـا متـونَ شفـارِ
زَفَّـت، أَبـا بكـرٍ، إليـك محـاسنـاً، جـاءتـك تحمِـلُ عُـذرة الأبكـارِ
فـأصِـخ إلـى هَـزجِ المَـديـحِ، فـإنَّمـا صدَحَت، بأغصانِ السطورِ قُماري[1]
هـزَّت معـاطِـفَ سـامعيهـا حكمـةً، كـادت تهُـزُّ معـاطـفَ الأسطـارِ
مسحتَ جفونَ الركب من سِنة الكرى، ولَـوَمهُـمُ طـرَبـاً علـى الأكـوارِ[2]
ورأتـك كُفـؤاً، فـانتَحَـتـك علـى النَّـوى والبعـدِ، بعـدَ السّتّـةِ الأقطـارِ
فـاطَلـعْ، لـرَوضَتِهـا، صبـاحـاً نَيِّـراً، يستضحِـك النُّـوّارَ لـلأنـوارِ
واسلـم، أَبـا يحيـى، لهـا مـن دولـةٍ كَسَـت اللّيـالـيَ رونـقَ الأسحـارِ
وانهَـد لهـا، فـالسيفُ فـي يـد فـارسٍ، يسطـو بـه، والسَّهـمُ فـي يـدِ بـاري
واشفَـع علـى شحـطِ الـديـارِ لآمـلٍ، أهـدى الثَّنـاءَ علـى تنـائـي الـدارِ

(٨٩)

كما تَهْوى العُلا

نظم هذه القصيدة مادحاً أبا الحسن بن نعيم:

تشفَّـعْ بعِلـقٍ، للشَّبـابِ، خطيـرِ؛ وبِـتْ تحـتَ ليـلٍ، للـوِصـالِ، قصِيـرِ[3]
ونَل نَظرةً من نُضرةِ الحُسن، وانتعش بغُـرَّةِ رَقـراقِ الشبـابِ غـريـرِ
فمـا الأنـسُ، إلاّ فـي مُجـاجِ زجـاجـةٍ؛ ولا العيـشُ، إلاَّ فـي صـريـرِ سـريـرِ[4]
وإنّـي، وإن جئـتُ المشيـبَ، لَمُـولـعٌ بطُـرَّةِ ظِـلٍّ، فـوقَ وجـهِ غـديـرِ
فيـا حبَّـذا مـاءٌ بمُنعـرَجِ اللّـوى، ومـا اهتـزَّ مِـنْ أَيـكٍ عليـه مَطِيـرِ

---

(١) **أصخ**: استمع ـ **صدحت**: غرّدت ـ **القماري**: من ضروب الحمام الحسن الصوت.
(٢) **الكرى**: النوم.
(٣) **العلق**: النفيس ـ **الوصال**: خلاف الهجر والصّرم.
(٤) **المجاج**: الريق، ومجاج النحل: العسل **وقوله**: مجاج زجاجة عنى الخمر.

ونفحــةُ ريــحٍ، للــربيــعِ، ذكيَّــةٌ، … ولمحــةُ وجــهٍ، للشبــابِ، نضِيــرِ
ونعسـةُ طَرفِ العَيـن من سِنَةِ الكرى، … لـرجـعِ خـرِيـرٍ ، أَو لشَجـوِ هَـديـرِ
وقد لاحَ وجهُ الصبحِ، يندى، كأنه، … وراءَ قِنـاعِ الليـلِ، وجـهُ بشِيـرِ
وأَشــرقَ نجــمٌ للثُّـريَّـا، كـأنــه، … أَيـادي نعِيـمٍ، أَو هضـاب ثَبيـرِ[1]
فتًى شابَ، في عصرِ الشبيبةِ، حِنكةً، … وقـامَ صغيـراً فـي جَـلالِ كبيـرِ
وأَصغَى، إلى داعي النَّدى، سَمع أَروعٍ … مُجيـبٍ، علـى بُعـدِ الصَّـريـخِ، مُجيرِ
فبـاتَ، ولـلأنبـاءِ فيـه تـأرُّجٌ، … تَطيـبُ بـه أَنفـاسُ كـلِّ سَميـرِ
وللـروضِ سِـرّ شـافَهَتنـا بـه الصَّبـا، … سُحَيـراً، فـألهـى مـن حـديـثِ خبيـرِ
وللمــدحِ أَلحــانٌ، تهُــزُّ، شجيَّــةٌ، … تُنَسِّـي بهـا المُكَّـاءَ كـلَّ صفيـرِ[2]
وقـد أَغضـتِ الشِّعـرى العبـورُ لهمَّـةٍ، … تُقلِّـبُ، دونَ المجـدِ، لَحـظَ غيـورِ[3]
تُـواقِـعُ أَبكـارَ العُـلا، غيـرَ أَنَّهـا … تَـرى انَّ بَحـرَ الجُـودِ خَيـرُ طَهـورِ
وتصفَـحُ، لا عَـن ذِلَّـةٍ، صَفـحَ رَحمـةٍ، … فتـرسـلُ، دونَ الـذَّنـب، سِتـرَ غَفـورِ
وتجلـو سـوادَ المُشكِـلاتِ بخـاطِـرٍ، … تـركَّـبَ مـن نـارٍ، تُشَـبُّ، ونُـورِ
إذا قِسـتَ مـا بيـنَ الحُسـامِ وبينَـه، … تبسَّـمَ، واهتـزَّ اهتـزازَ سُـرورِ
مـن آلِ رَحيـمٍ، حيـثُ لا هضْبَـةُ العُـلا … لهـدٍّ، ولا بَحـرُ النَّـدى لعُبـورِ[4]
مـنَ القـومِ، أَدَّتهـم إلـى خيـرِ أَبطُـنٍ … تَخيَّـرنَ، لـلأبنـاءِ، خيـرَ ظُهـورِ
تَـرى المُـزنَ ثَجَّـاجـاً بهـم، متهلِّـلاً … سمـاحـةُ أَيـدٍ، وابتسـامُ ثُغـورِ[5]
غَيـارى علـى الأيـدي العَذارى، كـأنَّما … تُـزَفُّ، مـن الكِتمـانِ، خَلـفَ سُتـورِ

---

(١) **ثبير**: اسم جبل.
(٢) **المُكّاء**: من الطيور.
(٣) **الشِّعْرى**: كوكب يطلع في الجوزاء من شدّة الحرّ ـ اللحظ: النظر بمؤخر العين.
(٤) **الهدّ**: الهدم ـ **النّدى**: الجود.
(٥) **المزن**: السحاب الممطر ـ **ثجّاجا**: شديد الانهمار ـ متهلّلاً: متلألئاً.

فهـا هـم كمـا تَهـوى العُـلا، لا ثنـاؤُهـم لطـــيٍّ، ولا أَســـرارُهـــم لنُشـــورِ[1]
يـذوبـون ظَـرفـاً، غيـرَ أَنَّ قلـوبَهـم، إذا مـا دَهـى خَطـبٌ، قلـوبُ صخـورِ
تَـرى بهِـمُ مـن نَضـرةٍ فـي سمـاحـةٍ، طُلــوعَ بــدُورٍ، فـي ارتجــاجِ بحُــورِ
وتعْشُـو إلـى نـارٍ بهـم فـي مَفـازَةٍ، ذَكــاءُ قلــوبٍ، فــي اتِّســاعِ صُــدورِ
فما البَطَلُ الحامي، وقد صافحَ الطُّلى بــأبيـضَ بسَّــامِ الفِـرنـدِ، طَـريـرِ[2]
بـأطـولَ بـاعـاً مـن رحيـمٍ، وقـد سَطـا بــأرقــشَ مُصْفَــرٍّ القميـصِ، قصيـرِ
فيـا حُسـنَ مـرأى المَلْـكِ بيـن مهنَّـدٍ خضِيـــبٍ، ورَنـــدٍ، لليَـــرَاعِ، نضيـــرِ
وقـد طـارح السيـفُ اليَـرَاعَ، فـأطـربـا بـــرجـــعِ صليـــلٍ رائـــعٍ، وصـــريـــرِ[3]

(٩٠)
فاهنأْ بِها

قال مادحاً الوزير أبي الحسن بن رحيم:

جفـنٌ، تجـافـى للخَلـيِّ عـن الكَـرى؛ وهـوًى تهـاوى بـالمَطـيِّ علـى السُّـرى[4]
ومثقَّـــفٌ لـــدْنُ المهـــزِّ، يشـــوقُـــه مـا شـاقَنـي، فـإذا هَـزِزتُ تـأطَّـرا[5]
وقـــد اشتبَهنـــا سُمـــرةً ونَحـــافَـــةً، فلـو التفـتُّ لمـا عـرفـتُ الأسمـرا
وأَقَــبُّ يحتمِــلُ الصبــاحَ، إذا مشــى، شِيَــةً، وينتعِــلُ الــرِّيــاحَ، إذا جــرى
قـد بـاتَ يَحمِـلُ لِبـدُه ظَبـيَ النَّقـا، ركضـاً، ويحمِـل لِبـدُه لَيـثَ الشَّـرى[6]

---

(١) **الطيّ**: الكتمان ـ **النشور**: خلاف الطيّ.
(٢) **الحامي**: الذي يحامي ويذود عن الحمى ـ **الطّلى**: جمع **الطُّلاة**: العنق ـ **الأبيض**: السيف ـ **الفرند**: جوهر السيف.
(٣) **اليراع**: القلم ـ **صليل**: صوت السيوف ـ **الصرير**: الصوت، أراد صوت اليراع.
(٤) **تجافى عن الكرى**: لم يجد سبيلاً إليه، لم ينم ـ **تهاوى**: سقط في المهواة، **وتهاوى الرجل**: سار شديداً **المطيّ**: الراحلة، **السّرى**: السير ليلاً.
(٥) **المثقّف**: الرمح ـ ولدن المهز: لين الحركة ـ **تأطّر**: تثنّى.
(٦) **اللّبد**: الصوف أو الشعر المتلّبد. ـ **الليث**: الأسد ـ **الشرى**: واد تكثر فيه الأسود.

وحَثا التُّرابَ على الصَّبا، فكأنَّما   أزجى، هناك، غمامةً، بَرقٌ سَرى[1]
واسترجفَ الأرضَ الفَضاءَ بوَثبةٍ،   فكأنَّ رُكناً خرَّ، فيها، من حِرا[2]
مزَّقتُ من خِلَعِ العَجاجةِ، فوقَه،   ثوباً بأطرافِ الرِّماحِ مُدنَّرا
وصَرختُ: يا لَبَني رحيمٍ، صرخَةً،   فالتفَّتِ الأنجادُ، حولي، عَسكرا
من كلِّ طَلقِ الوجهِ، تاهَ جَوادُه   زَهواً بِعزَّةِ ربِّه، فتبَختَرا
صَلْتِ الجبينِ، لو أنَّني مستقبِلٌ،   بِرُوائه، ليلَ السِّرارِ لأقمرا[3]
ما إن سقَتكَ به السَّماحةُ مُزنةً،   إلاَّ أرَتْكَ به الصباحةُ نيِّرا[4]
وأَغرَّ، أزهرَ، باتَ يَعبَقُ نَفحةً،   فكأنَّ، في بُردَيه، روضاً أزهرا
طلقَ الْمُحَيّا واليدين، كأنه   قمرٌ، تطلَّعَ في غَمامٍ أمطَرا
لَبسَ الرِّداءَ، من الثَّناءِ، مطرَّزاً،   فوقَ القميصِ، منَ الحياءِ، مُعَصفرا
استمجدَ الأشرافُ من شَرفٍ به،   فمشى اليَراعُ بكفِّه مُتبَختِرا
فلَرُبَّ سمراءِ الأديمِ، طويلةٍ،   حسَدت براحتِه القصيرَ الأصفرا
وإليكَها، فاهنأ بها، من مِدحةٍ،   أهديتُها روضاً، إليكَ، مُنوَّراً
فتلألأت حُسناً، بمجدِك، حُلَّةً،   وتنفَّست طيباً، بحمدِكَ، مُجمِرا
وسوايَ يكذِبُ، في سواها، مِدحةً   فارغَب بسمعِك عن حديثٍ يُفترى

(٩١)

رُبّ يومٍ

ألا رُبَّ يومٍ حثَّتِ الكاسُ خطوَه،   فطارَ، وأيامُ السُّرورِ قِصارُ
عثرتُ بذَيلِ السُّكرِ فيه، عشيّةً،   وللريحِ في موجِ الخليجِ عِثارُ

---

(١) أزجى: ساق.
(٢) الركن: الأساس ـ حرا: مخفف حراء، من جبال مكة.
(٣) صلت الجبين: ناصع الجبين ـ الرواء: البهاء والحسن ـ السّرار: آخر ليلة من الشهر.
(٤) السّماحة: الجود ـ الصباحة: اشراقة الوجه.

وقــد فضَّــض النُّــوّارُ كــلَّ ربــاوةٍ، وســالَ عليهــا لــلأصِيــلِ نُضــارُ[1]

(٩٢)
الماءُ صَفْحةُ ضاحِك

يصف الشاعر مفاتن الطبيعة وهو يجوب في أرجائها

وكِمــامــةٍ حــدَرَ الصبــاحُ قِنــاعَهــا، عــن صَفحــةٍ، تَنــدَى مــنَ الأزهــارِ[2]
فــي أَبطــحٍ، رضِعَــت ثغــورُ أَقــاحِــه أخــلافَ كــلِّ غمــامــةٍ مِــدرارِ[3]
نثَرَت، بِحجرِ الأرضِ فيه، يـدُ الصَّبا دُرَرَ النَّــدى ودراهــمَ النُّــوّارِ
وقـد ارتـدَى غصـنَ النَّقـا، وتقلَّـدَت، حَلْـيَ الحَبـابِ، سـوالِـفُ الأنهـارِ[4]
فحَللتُ حيثُ الماءُ صَفحةُ ضاحِكٍ، جَـذِلٍ، وحيـثُ الشـطُّ بـدءُ عِـذارِ
والـريحُ تنفُـضُ، بُكـرةً، لِمـمَ الـرُّبى؛ والطَّــلُّ يَنضَــحُ أَوجُــهَ الأشجــارِ[5]
متقسِّــمُ الألحــاظِ بيــنَ محــاســنٍ، مِــن رِدفِ رابيــةٍ، وخَصــرِ قَــرارِ
وأَراكــةٍ سَجَــعَ الهــدِيــلُ بفَــرعِهــا، والصُّبــحُ يُسفِــرُ عــن جَبيــن نَهــارِ[6]
هــزَّت لــه أَعطــافَهــا، ولــربَّمــا خلَعَــت عليــهِ مُــلاءَةَ الأنــوارِ

(٩٣)
حُلْو السجيّة

امتدح بهذه القصيدة الوزير أبا محمد طاهر بن عامر:

حــدَرَ القِنــاعَ عــن الصَّبــاحِ المُسفــرِ؛ ولــوى القصيــبَ علــى الكثيــبِ الأعفــرِ

---

(١) **النضار**: الذّهب.
(٢) **الكمامة**: أكمام الزهر ـ **حدر الصباح قناعها**: أنزله.
(٣) **الغمامة المدرار**: الغزيرة.
(٤) **الحباب (هنا)**: الندى الذي يزين في نظر الشاعر أوراق الأغصان.
(٥) **بكرة**: باكراً ـ **اللمم**: جمع لمّة: شعر مقدّم الرأس، ولمم الرّبى من باب الاستعارة ـ **الطلّ**: الندى ـ **ينضح**: يرشّ ويبلّ.
(٦) **الأراكة**: واحدة الأراك، شجر يستاك بأغصانه ـ **الهديل**: الحمام.

وتملَّكَتـــــهُ هِـــــزَّةٌ فـــــي عِـــــزَّةٍ فـارتـجَّ فـي وَرَقِ الشبـابِ الأخضـرِ
متنفِّسـاً عـن مثـلِ نفحـةِ مِسكـةٍ؛ متبسِّمـاً عـن مثـلِ سِمطَيْ جَوهـرِ[1]
سلَّـت علـيَّ، سيـوفَهـا، أجفـانُـه، فلقيتُهـنَّ، مـن المَشِيـبِ، بِمغفَـرِ[2]
متجلـداً أَربَـا بنفســي أن يُـرى هـذا الهـزبـرُ قتيـلَ ذاك الجُـؤذُرِ[3]
فحشَـا بطَعنَتِـهِ حَشَـى متنفّـسٍ، تحـتَ الـدُّجى، عـن مـارجٍ متسعِّـرِ[4]
يغشَـى رمـاحَ الخَـطِّ، أوَّلَ مُقبـلٍ، ويكُـرُّ، يـومَ الـروعِ، آخـرَ مُـدبـرِ
فتـراه بيـنَ جِـراحتيـن: للحظـةٍ مكســـورةٍ، ولعـــامـــلٍ متكسِّــرِ
نَـزْرَ الكَـرى، يـرمـي الظـلامَ بمُقلـةٍ سهِـرَت لأخـرى، تحتـه، لـم تَسهـرِ
مـن ليلـةٍ أرخـى علـيَّ جَنـاحَـه، فيهـا، غُـرابُ دُجُنَّـةٍ لـم يُـزجَـرِ
لا يستقـلُّ بهـا السُّـرى، فكـأنَّمـا بـاتَـت تُسـرّي عـن صبـاح المَحشَـرِ
ولقـد أقـولُ لبـرقِ ليـلٍ هـاجنـي، فمسحـتُ عـن طَـرفٍ بـه مستعبِـرِ
اقـرأ علـى الجِـزع السـلام، وقُـل لـه: سُقِّيـت مـن سَبَـلِ الغمـام الممطـرِ[5]
بينـي وبينـك ذمَّـةٌ مَـرعِيَّـةٌ، فـإذا تُنـوسيـتِ المـودةُ، فـاذكُـرِ
وإذا غشِيـتَ ديـارَ ليلـى بـاللِّـوى، فـاسـأل ريـاحَ الطِّيـبِ عنهـا تُخبَـرِ
والمـح صحيفـةَ صَفحتـي، فـاقـرأ بهـا سطـريـن مـن دَمـعٍ بهـا متحـدِّرِ
كتَبَتْهمـا، تحـتَ الظـلام، يـدُ الضَّنـى، خـوفَ الـوُشـاةِ، بـأحمـرٍ فـي أصفـرِ
ولقد جريتُ، مع الصِّبا، جَريَ الصِّبا، وشـربتُهـا مـن كـفِّ أحـوَى أحـوَرِ[6]

---

(١) **سمطا وسمطيّ**: مثنى سمط، وهو القلادة، العقد.
(٢) **سلّت سيوفها**: أخرجتها من أغمادها، وأراد **بالسيوف**: نظرات العين الفاتنة.
(٣) **الهزبر**: الأسد ـ **الجؤذر**: الظبي.
(٤) **المارج**: النار ـ **المتسعّر**: المتوقد.
(٥) **سبل الغمام**: المطر.
(٦) **الأحوى**: الذي به حوّة والحوة السواد إلى الخضرة أو الحمرة إلى السواد ـ **الأحور**: الذي في عينيه حور، والعين الحوراء التي اشتدّ بياضها وسوادها.

نـاجيـتُ منـه عُطـارداً، ولـربَّمـا قبَّلتُـه، فلثمـتُ وجـهَ المُشتـري[1]
تَنـدى بفيـهِ أُقـاحـةٌ نفَّـاحـةٌ شـربـت، علـى ظمإٍ، بمـاءِ الكَـوثـرِ[2]
شهِـدتْ لـه فتكـاتُـه فـي مُهجتـي، يـومَ الغميـمِ، بنسبـةٍ فـي قيصـرِ
ولقـد خلـوتُ بـه أُقسِّم نظـرَتـي، مـا بيـن جُـؤذرٍ كِلَّـةٍ، وغَضنفَـرِ[3]
يثنـي معـاطفَـه، وأذرُفُ عَبـرتـي، فـإخـالُـه غصنـاً بشـاطـىء جَعفـرِ[4]
وأهَـابَ بـي شـرخُ الشبـابِ، لـريبـةٍ، فـرميـتُ جـانبَـه بعِطـفٍ أزورِ
وأخٍ زأَرتُ لـه، ولـولا أننـي آنسـتُ مـا أنكـرتُـه لـم ازأَرِ
آنسـتُ مـا آنستُـهُ مـن عَتْبِـه، فـأقـامَ تحـتَ غَمـامـةٍ لـم تُمطـرِ
ولـو التقينـا، حيـث يصغـي سـاعـةً، لسَقَتـه بيـن مـلامـةٍ وتشكُّـرِ
تهمـي بمـاءِ الـوردِ، فـي أردانِـه، وبـلاً، وتَحصُـبُ سمعَـه بـالجَـوهـرِ[5]
وعُـلاه، لـولا بـرقُ وعـدِ شِمتُـه فـي عـارضٍ، مـن بِـرِّه، مستمطـرِ[6]
لنسَخـتُ أسطـارَ الكتـابِ كتـائبـاً، مصطفَّـةً، وطـرقتُـه فـي عَسكـرِ
ومقـامِ بـأسٍ، فـي الكـريهـة، قُمتُـهُ، فسبحـتُ فـي بحـرِ الحـديـدِ الأخضَـرِ
أَضحكتُ ثغرَ النَّصر فيه من العِدى، ولـربَّمـا أبكَيـتُ عيـنَ السَّمهـري
ورميـتُ هَبـوتَـه بلَبَّـةِ أشهـبٍ، فسفـرتُ، ليـلاً، عـن صبـاحٍ مُسفـرِ[7]
يجـري فتحسبُـه، انصبـابـاً، كـوكبـاً ينقـضُّ فـي غَبـشِ العَجـاجِ الأكـدَرِ
أوردتُـه نُطَـفَ الأسنَّـةِ أشهبـاً، ونـزَلـت منـه، ظـافـراً، عـن أشْقَـرِ[8]

---

(١) **العطارد والمشتري**: من الكواكب، من باب المجاز.

(٢) **الكوثر**: نهر في الجنة.

(٣) **الغضنفر**: الأسد.

(٤) **جعفر**: اسم نهر.

(٥) **تهمي**: تسيل ـ **الأردان**: جمع ردن أطراف الأكمام الواسعة.

(٦) **العارض**: السحاب الممطر.

(٧) **الهبوة**: الغبرة، والجمع هبوات.

(٨) **نطف**: جمع نطفة، الصافي من الماء ـ **الأسنة**: رؤوس الرماح.

ولقـد خبطـتُ الغـابَ، أَسْـألُ، ليلـةً، عـن سِـرِّ صُبـحٍ فـي حَشـاه مُضمَـرِ
وحططـتُ عـن بنـتِ الـزّنـادِ قِنـاعَهـا، ليـلاً، لسـارٍ، تحتَــه، متنــوِّرِ[1]
ومسحــتُ منهـا عــن معـاطِـف مُهـرةٍ شقـراءَ، تُـذعَـرُ مـن شَمـالِ صرصـرِ[2]
وجرى الحديثُ ببعض ذِكرى طاهرٍ، فجعلـتُ جَـزلَ وقـودِهـا مـن عَنبـرِ
وطِفقْــتُ أُذكِيهــا وأذكُــرُ ذِهنَــهُ، فــإِخــالُ ذاك وهــذه مــن عُنصُــرِ
فكــأنَّهــا، والـريــحُ عــابثــةٌ بهــا، تُـزهـى، فتـرقـصُ فـي قميـصٍ أحمـرِ
ولَــدَتْ بــه أُمُّ السيــادةِ أوحــداً، متضمّنــاً مَعنــى العــديــدِ الأكثــرِ
تُعــدي عُــلاهُ ديــارَه، فلَهــا بــه، في مُرتقى زُحَلٍ، جَمالُ المشتري[3]
وإذا وطئــتُ جَنــابَــه قــدّستُــه، فكــأنّنــي أمشــي بــه فــي مَشعــرِ[4]
أَتــتِ العُلــى منــه بــأوحــدَ أَصْيَـدٍ، حُلـوِ السجيَّـةِ، طَلـقِ وجـهِ المَخبـرِ
وأغـرَّ، أروعَ، مـلءِ سمـعِ المُنتقـى، حُـرِّ الكـلام، ومـلءِ عيـنِ المُبصـرِ
حلَّــت أواصــرُه بــه عــن عــامـرٍ، فـي حيـثُ حلَّـتْ مُقلـةٌ مـن محجَـرِ[5]
طلــقِ الجبيــنِ، كــأنّنـي مستقبِــلٌ، بلقــائِــه، وجــهَ الشبــابِ المــدبــرِ
رطـبِ الكـلامِ، علـى سَمـاعِ جليسِـه، فكــأنَّ، فــي فيــه، لســانَ مبشِّــرِ
لا تعتــريــه شبهــةٌ، فكــأنّمــا يمشــي علــى وضَــحِ النَّهــارِ النَّيِّــرِ
متحمِّــلِ العــبءِ الثقيــلِ بمَنكِــبٍ أيْــدٍ، ولــم يَشــدُد لــه مــن مئــزَرِ[6]
فكــأنــه متصــوِّبٌ، فــي المــرتقــى، دَمِـثَ المسـالـكِ، فـي الطريـقِ الأوعـرِ

(١) **بنت الزناد**: شرارة النار، شبه بها المهرة ـ **الساري**: السائر ليلاً.
(٢) **تذعر**: تخاف ـ **الشمال**: ريح الشمال ـ **الصرصر**: الريح الشديدة الهبوب.
(٣) **زحل**: من الكواكب السيّارة.
(٤) **المشعر**: من مناسك الحج.
(٥) **الأواصر**: جمع آصرة، والآصرة صلة النسب والقرابة.
(٦) **الأيد**: القوّة.

(٩٤)
لاحَ صُبْحُ الشَّيْبِ

ألا قــانِـعٌ مـن مُـلـك كِسـرى بكِسـرَةٍ، فما الوجدُ إلاّ الخُلد، لا ما جنى كسرى[١]
فمـا بـالُنـا، والمـالُ عُـرضَـةُ حـادثٍ، تَـركنـا مطـايـا الـريـح فـي إثْـرِه حَسـرى
ومــا الغَــيُّ إلاّ أن يُعبِّــدَنــا الهَــوى، ولـم نَدرِ، جهلاً، أَنّنا معشرٌ أَسرى[٢]
وقد لاحَ صُبحُ الشيبِ، وانسلخَ الصِّبا، فيا صبحُ ما أَجلى، ويا ليلُ ما أَسرى!
فيــا ليــتَ أنّــي مــا خُلِقـتُ لِمَطعَــم، ولـم أَدرِ ما اليسرى هناك، وما العُسرى[٣]
ولســـتُ أُرانـــي، والمَغَبّـــةُ خِسَّـــةٌ، يفي غَسليَ اليُمنى لغَسليَ باليُسرى[٤]

(٩٥)
صُروفُ اللّيالي

لا العَطــايــا، ولا الــرَّزايــا بَــواقٍ؛ كــلُّ شــيءٍ إلــى بِلًــى ودُثــورِ[٥]
فــالــهُ عــن حــالتَــيْ ســرورٍ وحُــزنٍ، فــإلــى غــايةٍ مجــاري الأمــورِ
وإذا مــا انقضَــت صــروفُ الليــالــي، فسَــواءٌ ليـــلا الأســـى والسُّـــرورِ

(٩٦)
قَدْ يَبْكي الخَليلُ

لقـد أَصَخـتُ إلـى نَجـواكَ مـن قمـرٍ، وبِــتُّ أُدلِـجُ بيــنَ الــوعــيِ والنَّظَــرِ
لا أجتلـي مُلَحـاً، حتـى أعـي مُلَحـاً، عدلاً من الحكم بين السَّمعِ والبَصَرِ[٦]

---

(١) **الوجد**: الثراء والغنى ـ كسرى: من ملوك الفرس.
(٢) **الغيّ**: الضلال ـ يعبّدنا: يجعلنا عبيداً.
(٣) **العسرى**: خلاف اليسرى.
(٤) **مغبّة الأمر**: عاقبته.
(٥) **الرزايا**: المصائب ـ الدثور: الفناء والبلى.
(٦) **الملح**: البياض يداخله السواد، والمقصود هنا الشيب الملح (الثانية): جمع ملحة وهي الطريف من النوادر والمستملح من الكلام.

وقـد مـلأتُ سَـوادَ العيـنِ مـن وضَـحٍ، فقرِّطِ السَّمعَ قُرطَ الأنس من سَمَرِ[1]
فلـو جمعـتَ إلـى حُسـنِ مُحـاورةً، حُـزتَ الجَمـالَيـن مـن خُبـرٍ ومـن خَبَـرِ
وإن صَممـتَ، ففـي مـرآك لـي عِظـةٌ، قـد أفصَحـتْ لـيَ عنهـا أَلسُـنُ العِبَـرِ
تمـرُّ مـن نـاقـصٍ حَـوراً، ومكتمـلٍ كَوراً، ومن مُرتقٍ طَوراً، ومُنحدِرِ
والنـاسُ مـن مُعـرِضٍ يَلهـو، وملتفـتٍ يَـرعـى، ومـن ذاهـلٍ يَنسـى، ومُـدَّكِـرِ
يلهـو بسـاحـاتِ أقـوامٍ تحـدِّثُنـا، وقـد قضَـوا، فمضَـوا؛ إنّـا علـى الأثَـرِ
فـإن بَكيـتُ، وقـد يَبكـي الخليـلُ، فعَـن شَجـوٍ، يُفَجِّـرُ عيـنَ المـاءِ فـي الحجَـرِ

(٩٧)
أقَلِّبُ جَفْناً

أَمـا وشبـابٌ قـد تـرامَـت بـه النَّـوى، فـأرسلـتُ فـي أَعقـابِـه نظـرةً عَبْـرى
لقـد رَكِبـتْ ظهـرَ السُّـرى بـيَ نَـومـةٌ، فأصبحتُ في أَرضٍ، وقد بِتُّ في أُخرى
أُقلِّـبُ جَفنـاً، لا يجِـفُّ، فكلَّمـا تأوَّهت من شكوى، تألمت عن شَكرى[2]
فهـا أنـا لا نَفْـسٌ يَخِـفُّ بهـا المُنـى، فتلهُـو، ولا سمـعٌ تطِيـرُ بـه بُشـرى
وإنـي، إذا مـا شـاقَنـي لحمـامـةٍ رنِيـنٌ، وهـزَّتنـي لبـارقـةٍ ذِكـرى
لأجمـعُ بيـنَ المـاءِ والنَّـارِ، لـوعـةً، فمـن مُقلـة ريّـا، ومـن كبِـدٍ حـرّى
وقد خف خَطبُ الشيب في جانب الردى، فصارت به صُغرى، التي كانت الكُبرى[3]
وللشّعـرِ عنـدي، كلَّمـا نـدَب الصِّبـا فأبكى، محَلّ أَلحقَ الشّعرَ بالشِّعرى[4]
فليـتَ حـديثـاً للحـداثـةِ لـو جَـرى فـأسلـى، وطيفـاً للشبيبـةِ لـو أَسـرى

(١) **الوضح**: بياض الصبح، وبياض القمر، والمراد طلعة المحبوب ـ **قرّط السمع**: من قرّط الجارية ألبسها قرطاً أي شنف السمع بالغناء المطرب ـ **السمر**: حديث الليل.
(٢) **الشكرى**: العين المغرورقة بالدمع.
(٣) **الخطب**: الأمر الجلل ـ **الردى**: الموت.
(٤) **الشِّعْرى**: نجمان بهذا الاسم: الشعرى الغميصاء والشعرى اليمانية.

(٩٨)
بين الرّعد والقَطْر

أَمـا ومَسِيـلِ مـاثِـلِ الغَيـثِ كـالسَّطـرِ، كما أَتْرَعَ الساقي الزُّجاجةَ بالخمرِ
لقـد بِـتُّ بيـنَ الـرَّعـدِ والقطـرِ أشتكـي بسَمعيَ من وَقرٍ، وظهريَ من وَقْرِ[١]
وهـا أنـا مَبْلُـولُ الجَنـاحِ مِـن الحَيـا يصُوب، ومذعور الفِراخ من الوَكْرِ[٢]
وأَسقَيتُهـا مِـن دِيمَـةٍ إِثْـرَ دِيمـةٍ، فمالَت بها الجُدرانُ سَطراً على سطرِ
فمِن عارِضٍ يَسقي، ومن سقفِ مجلِس يُغَنّي، ومـن بيـتٍ يَميـلُ مـنَ السُّكْـرِ[٣]
إذا مـا هَـوى رُكـنٌ فـأَهْـوى، فـإِنـنـي لأشجَى مِن الخَنساءِ تَبكي على صَخْرِ

(٩٩)
جَنَّةُ الخُلْدِ

يـا أَهـلَ أَنـدَلُـسٍ! للهِ دَرُّكُـمُ؛ مـاءٌ وظِـلّ وأَنهـارٌ وأَشجـارُ
مـا جنَّـةُ الخُلـدِ إلاّ فـي ديـارِكُـمُ، ولـو تخيَّـرتُ هـذا كنـتُ أَختـارُ
لا تختَشُوا، بعدَ ذا، أَن تدخلوا سَقراً، فليسَ تُـدخَـلُ، بعـدَ الجنَّـةِ، النـارُ[٤]

(١٠٠)
صَحَّ الهوى

صَـحَّ الهـوى منـك، ولكنَّنـي أعجَـبُ مـن بيـنٍ لنـا يُقـدَرُ
كـأَنَّنـا فـي فَلَـكٍ دائـرٍ، فـأنـتَ تَخفـى، وأَنـا أظهَـرُ

---

(١) **الوقر**: الثقل، العبء الشديد.
(٢) **الحيا**: المطر ـ **مذعور**: من الذعر وهو الخوف الشديد.
(٣) **العارض**: السحاب الممطر ـ **السّكر**: يقصد النشوة.
(٤) **سقر**: من أسماء جهنم.

(١٠١)
أَيْكَةٌ خَفَّاقَةٌ

أَذِنَ الغَمَـــامُ بـــديمـــةٍ وعُقـــارِ، فـــامـــزُج لُجَينـــاً، منهمـــا، بنُضـــارِ[١]
واربَـــعْ علـــى حُكـــمِ الـــربيـــعِ بـــأجـــرعٍ هَـــزِجِ النَّـــدى، مـــن مُفصِـــحِ الأطيـــارِ
نثَرت بحِجرِ الرَّوضِ فيه، يدُ الصَّبا، دُرَرَ النَّـــدى ودراهـــمَ الأنـــوارِ[٢]
وهفَـــت بتغـــريـــدٍ هنـــالـــكَ، أيكـــةٌ، خَفَّـــاقـــةٌ بمهـــبِّ ريـــحِ عَـــرارِ[٣]

(١٠٢)
تَعَلَّقْتُهُ

تعلَّقْتُـــهُ نَشـــوانَ مـــن خَمـــرِ رِيقـــه، لـــه رَشفُهـــا دونـــي، ولـــي دونَـــه السُّكـــرُ
تُـــرقـــرِقُ مـــاءَ مُقلتـــايَ ووجهُـــهُ، ويُذكى ، على قلبي ووجنتهِ ، الجَمرُ
أرَقَّ نسيبـــي فيـــه رقَّـــةُ حُسنِـــهِ، فلـــم أدرِ أيّ منهمـــا، قبلَهـــا، السِّحـــرُ
وطِبنـــا معـــاً شعـــراً وثَغـــراً، كـــأنَّمـــا له مَنطِقي ثَغرٌ، ولي ثَغرٌ، ولي ثَغرُهُ شِعرُ

(١٠٣)
جنيتُ رَوْضاً

يصف الشاعر طوافه في جنّة المحبوب مفتوناً بمحاسن الشباب

لـــم أَنـــسَ ليلـــةَ رُعـــتُ سِـــربَـــك زائـــراً، فكـــأنّمـــا روَّعـــتُ فيهـــا جُـــؤذُرا[٤]
فـــأقمـــتَ عِطفـــاً أزوراً، وجلـــوتَ وجهـــاً أزهـــراً، وأدرتَ طـــرفـــاً أحـــوَرا[٥]

---

(١) **الديمة**: السحابة الممطرة ـ **العقار**: الخمر ـ **اللجين**: الفضة ـ **النضار**: الذهب.
(٢) **الحِجر**: الحضن ـ **الصّبا**: الريح الناعمة.
(٣) **هفت بتغريد**: خفقت ـ **الأيكة**: الشجر الكثير الملتف ـ **العرار**: بهار ناعم أصفر طيب الرائحة.
(٤) **الجؤذر**: الظبي.
(٥) **الأحور**: الذي فيه حور، وهو اشتداد بياض وسواد العين.

وضفا رداءٌ، من شبابك، ابيضٌ، ولربّما اعترضَ الحياءُ، فعصفرا[1]
وبدا هلالٌ، في نِقابك، طالعٌ، ولربَّما انحدَر النِّقابُ، فأقمرا[2]
وجَنيتُ روضاً، في قِناعِك، أزهرا، وقضِيبَ بانٍ، في وِشاحِك، أثمَرا
ثم انثنيتُ، وقد لبِستُ مُصَندلاً، وطويتُ من خِلَعِ الظلامِ، مُعَنبرا[3]
والصُّبحُ محطوطُ النِّقاب، قد احتَبى في شَملةٍ وَرْسيَّةٍ، فتأزَّرا[4]

(١٠٤)
أفلاكٌ تُدارُ

وأراكةٍ ضرَبتْ سماءٍ، فَوقَنا، تَندَى، وأفلاكُ الكؤوس تُدارُ
حفَّت بدَوْحَتِها مجرَّةُ جدْوَلٍ، نَثَرتْ عليه، نُجومَها، الأزهارُ
وكأنها، وكأنَّ جَدولَ مائِها، حسناءُ شُدَّ، بِخَصرِها، زِنَّارُ
زفَّ الزُّجاجُ بها عروسَ مُدامةٍ تُجلى، ونُوَّارُ الغُصونِ نِثارُ
في روضَةٍ جِنْحُ الدُّجى ظلٌّ بها، وتجَسَّمتْ، نَوراً، بها الأنوارُ
غنَّاءَ يَنْشرُ، وشْيَهُ، البَزَّازُ لي فيها، ويَفْتُقُ، مِسكَه، العطَّارُ[5]
قامَ الغناءُ بها، وقد نضحَ النَّدى وجْهَ الثَّرى، واستَيقَظَ النُّوَّارُ
والماءُ، من حَلْيِ الحَياءِ، مقلَّدٌ، زرَّت عليه جُيوبَها، الأشجارُ

(١) **ضاف الرداء**: طال ـ **عصفر**: صار بلون العصفر، وهو شبه أصفر اللون.
(٢) **النّقاب**: القناع، تجعله المرأة على مارن أنفها وتستر به وجهها ـ **أقمر**: تكشف عن قمر.
(٣) **المصندل**: ما طيب بالصّندل ـ والصّندل جنس شجر هندي أبيض الزهر، خشبه طيب الرائحة ـ الخلع: الأثواب ـ **معنبراً**: المطيب بالعنبر وهو من الطيوب التي يميل لونها الأصفر إلى السّواد ـ **والبيت ينطوي على افتنان في التشبيه** فقد مثل ضوء الصباح بالصندل لبياضه وسواد الليل بالعنبر لميله إلى السّواد.
(٤) **الشملة**: ما يلتف به من الثياب ـ **الورسية**: الحمراء اللون ـ **تأزر**: لبس الإزار، وهو الرداء.
(٥) **البزاز**: بائع البز، والبز الثياب من قطن أو كتّان.

(١٠٥)

ما شاءَ الهوى

كتبتُ، وقلبي، في يَديك، أسيرُ يُقيمُ، كما شاءَ الهَوى، ويسيرُ
وفي كلِّ حينٍ، من هَواك وأدمعي، بكلِّ مكانٍ، روضةٌ وغديرُ

(١٠٦)

يُقَبِّلُ ثَغْرَه

يصف ساقياً أسود اللون فشبَّهه بابن الليل أو بكيس من الفحم.

رُبَّ ابنِ ليلٍ سَقانا، والشمس تُطلِعُ غُرَّهْ[١]
فظلَّ يسوَدُّ لوناً، والكأسُ تسطَعُ حُمرَهْ
كأنَّهُ كيسُ فحمٍ، قد أُوقِدَت فيه جَمرَهْ[٢]
وللمُدامِ مُديرٌ، يشُبُّ جَمرةَ خَمرَهْ
تضاحكت عَن حَبابٍ، يقبِّلُ الماءُ ثَغرَهْ[٣]
فظلتُ آخُذُ ياقوتةً، وأَصرِفُ دُرَّهْ[٤]
حتى تثنَّيتُ غُصناً، واصفرَّتِ الشمسُ نُقرَهْ[٥]
وارتدَّ للشمسِ طرفٌ، به منَ السُّقمِ فترَهْ
يجولُ للغيمِ كُحلٌ فيه، وللقَطرِ عَبرَهْ

---

(١) أراد بابن الليل: الساقي الأسود اللون.

(٢) كأنه: أي السّاقي وقوله: كأنه كيس فحم: من باب التشبيه لانحناء ظهره واسوداد لونه.

(٣) الحباب: ما يعلو المدام والماء ونحوها من فقاقيع بيضاء.

(٤) أراد بالياقوتة: الخمر لاحمرارها وأراد بالدرّة الحباب لبياضه.

(٥) النقرة(هنا): سبيكة الذهب.

(١٠٧)
حمامَةُ أَيْكَةٍ

ونشـــوانَ غنَّتـــه حَمـــامـــةُ أَيكـــةٍ، على حين طَرفُ النجم قد همَّ أن يكرَى [١]
فهـبَّ، وريـحُ الفجـرِ عـاطـرةُ الجَنـى، لطِيفَـةُ مَـسِّ البَـردِ، طيّبَـةُ المَسـرَى
وطـافَ بهـا، والليـلُ قـد رَثَّ بُـردُه، وللصبح في أُخرى الدجى منكِب يعرَى [٢]
وأصغـى إلـى لحـنٍ فصيـحٍ يهُـزُّه، كما هَـزَّ نَشـرُ الـريـحِ رَيحـانـةً سَكرَى
تَهَـشُّ إليـه النفـسُ، حتـى كـأنَّـه، علـى كبِـدٍ نُعمـى، وفـي أُذُنٍ بُشـرَى

(١٠٨)
رَشْفَةٌ

وليـلٍ طـرقـتُ المـالكيّـةَ، تحتَـه، أجَـدَّ، علـى حُكـمِ الشَّبـابِ، مَـزارا
فخـالطـتُ أطـرافَ الأسنّـةِ أنجمـاً، ودُســتُ لِهـالاتِ البـدورِ دِيـارا
فلـم يـكُ إلاَّ رَشفـةٌ واعتنـاقـةٌ؛ ويُعجِبُنــي أنــي أعُــفُّ إزارا

(١٠٩)
يَسْري في فَرْوَةٍ

يصف ذئباً طاف به وهو سار وسط الظلماء

ومَفـازةٍ، لا نَجـم فـي ظَلمـائِهـا يَســري، ولا فلَــكٌ بهــا دوَّارُ [٣]
تتلهَّــبُ الشِّعــرى بهــا، وكــأنهــا، فــي كـفِّ زَنجـيِّ الـدُّجـى، دينـارُ
تَـرمـي بـه الغِيطـانُ فيهـا والـرُّبـى، دُوَلاً، كمـــا يَتَمَــوَّجُ التَّيـــارُ [٤]

---

(١) يكرى: ينام، من الكرى وهو النوم.
(٢) البرد: الثوب، ورث برده: بلي: المنكب: الكتف: للصبح منكب يعرى: كناية عن انبلاج الصبح وطلوع الفجر.
(٣) المفازة: الفلاة الخالية من الماء والإنس.
(٤) الغيطان: جمع غوطة، الأرض الكثيرة الشجر والماء ـ دولاً: أي بصورة متداولة.

قـد لفَّنـي فيهـا الظَّـلامُ، وطـافَ بـي ذِئـبٌ، يُلِـمُّ مَـعَ الـدُّجـى، زَوّارُ
طَـرَّاقُ سـاداتِ الـديـارِ، مُسـاورٌ، خَتّـالُ أبنـاءِ السُّـرى، غَـدَّارُ[1]
يَسري، وقد نَضَحَ النَّدى وجهَ الصَّبا، فـي فَـروةٍ قـد مَسَّهـا اقشِعـرارُ[2]
فعشَـوتُ فـي ظَلمـاءَ، لـم تُقـدَح بهـا، إلَّا لمُقلتـهِ وبـأسـي، نـارُ[3]
ورَفلـتُ فـي خُلَـعٍ عليَّ مـن الـدُّجـى، عُقِـدَت لهـا، مـن أنجـمٍ، أزرارُ[4]
والليـلُ يَقصُـرُ خَطـوَه، ولـربَّمـا طـالـت ليـالـي الـرَّكـبِ، وهـي قِصـارُ
قـد شـابَ مـن طـرفِ المجـرَّةِ مَفـرِقٌ فيهـا، ومـن خَـطِّ الهـلالِ عِـذارُ

(١١٠)
فُتاتَهُ مِسْكٍ

يصف الخال في صحن خدّ المحبوب

أَلَـمَّ يُسقِّينـي سُـلافَـةَ رِيقـه، وطـوراً يحيِّينـي بـآسِ عِـذارِ[5]
فنِلـتُ مُـرادَ النَّفـس مـن أُقحـوانـةٍ، شَمَمْـتُ عليهـا نَفحـةً لِعَـرارِ[6]
ووَجهٍ تَخالُ الخالَ، في صحنِ خدّه، فُتـاتَـةَ مِسـكٍ، فـوقَ جُـذوةِ نـارِ

(١١١)
ضَيْفٌ طَارِقٌ

يـا حَبَّـذا، والطَّيـفُ ضَيـفٌ طـارِقٌ، طيـفٌ علـى شَحـطٍ أَجـدَّ مَـزارا[7]

---

(١) **الذئب المساور**: الجسور على النّاس، أيضاً: السوّار: شارب الخمر الذي يواثب نديمه إذا سكر.

(٢) **يسري**: يسير ليلاً ـ يصف ما أصابه من اقشعرار في تلك الليلة الباردة.

(٣) **عشا إلى النار**: قصدها.

(٤) **رفل**: ماس زهواً ـ **الخلع**: الأثواب ـ **شبّه النجوم بأزرار الثوب** للمعانها وسط ظلام الليل.

(٥) **السلافة**: الخمر، والمراد خمرة ريق المحبوب.

(٦) **العرار**: زهر البهار الطيب الرائحة.

(٧) **الشحط**: النّوى، البعد.

تَلــوي الشَّمــالُ بــه قضيبــاً، ربَّمــا عــاطَـى بسُـوسـانٍ، هنـاكَ، عَـرارا
فلَثمـتُ، فيمـا قـد لثمـتُ، عَـلاقـةً، خـدّاً يسِيـلُ مـعَ العُقـارِ عُقـارا
مـا إن دَرَيـتُ، وقـد نعِمـتُ بلَثمـهِ، مـاذا رأيـتُ أجنَّـةً أم نـارا

(١١٢)
يجْرَحُني طرفُه

يصف فاتنة قلبه، تميس بأعطافها كشجرة بان فينانة ظليلة.

يــا بــانــةً، تَهتــزُّ، فينــانــةً، وروضــةً، تنفَــحُ، مِعطــارا(١)
للهِ أعطــافُــكِ مــن خُــوطــةٍ؛ وحَبَّــذَا نَــورُكِ نُــوّارا(٢)
عَلِقــتُ طَــرْفــاً فــاتنــاً، فــاتــراً، منــك، وغِــرّاً منــك غَــرَّارا
ونــابــلاً، مستــوطنــاً بــابــلاً، نفَّــاثَ لَحــظِ العيــنِ، سَحّــارا(٣)
إذا رنــا يَجــرحُنــي طَــرفُــه، لحَظتُــه أجــرحُــه ثــارا
فيصبُــغُ الــدرُّ عَقيقــاً بــه، وأصبــغُ النُّــوّارَ أزهــارا
وجــهٌ بــه مــن بِــدَعِ الحُســنِ مــا يُقيــم، للعُشّــاقِ، أعــذارا
قــد طَبَــعَ الحســنُ بــه دِرهمــاً، تسبُــكُ منــه العيــنُ دينــاراً
مــن يَلــقَ مــن لاعــجِ وجــدٍ بــه ريحــاً، فقــد لاقيــتُ إعصــارا
تخفِــقُ أحشــائــي بــه دوحَــةً، وتنثُــرُ الأعيــنُ نُــوّارا
تــدورُ بــالأعيــنِ، مــن وجهِــه، كَعبــةُ حُســنٍ، حيثُمــا دارا
فلــي بــه عيــنٌ مَجُــوسيّــةٌ، تعبُــدُ، مــن وَجنتِــه، نــارا

---

(١) **البانة**: جمع البان: شجر لين تشبه به قدود النساء ـ **الفينانة**: الشجرة الظليلة وأراد هنا المرأة الطويلة الشعر من باب الاستعارة المكنية.

(٢) **الخوطة**: استعارة للمرأة الناعمة.

(٣) **النّابل**: **الطرف (أي العين) الذي يرمي بلحظه نبالاً**.

(١١٣)

العَيْشُ مُدامٌ

إنَّمـــا العيـــشُ مُـــدامٌ أحمـــرُ، قـــامَ يَسقيـــهِ غـــلامٌ أحْـــوَرُ
وعلـــى الأقـــداح والأدواحِ، مِـــن حَبَـــبٍ، نـــورٌ، وتِبـــرٌ أصفَـــرُ
فكـــأنَّ الـــدَّوحَ كـــاسٌ أَزْبَـــدت؛ وكـــأنَّ الكـــاسَ دَوحٌ مُـــزهِـــرُ

(١١٤)

زَفَفْتُها بكراً

نـــدَّى النسيـــمُ، فمـــا أَرقَّ وأعطَـــرا؛ وهَفـــا القضيـــبُ، فمـــا أغـــضَّ وأنضَـــرا
فـــزفَفتُهـــا بِكـــراً، إذا قبَّلتُهـــا أَلقَـــت، علـــى وجهـــي، قِنـــاعـــاً أحمَـــرا
ورَفلـــتُ بيـــن قميـــصِ غَيـــمٍ هلْهـــلٍ، ورداءِ شمـــسٍ، قـــد تمـــزَّق، أصفَـــرا
والـــريـــحُ تنخُـــلُ، مِـــن رَذاذٍ، لـــؤلـــؤاً رَطبـــاً، وتفتِـــق، مـــن غَمـــامٍ، عَنبَـــرا

(١١٥)

لثَمْتُها كَلفًا بها

يصف زهرة كلف بها.

أرأيـــــــــتَ أيَّ بُنَيّـــــــــةٍ، تُعـــزى إلـــى الـــروضِ النضِيـــرِ[١]
أهـــــدى الـــــربيـــــعُ صغيـــــرةً منهـــــا، تَهَـــشُّ إلـــى الكبيـــرِ
فلثمتُهـــــا كلَفـــــاً بهـــــا؛ والشَّيـــخُ يكلـــفُ بـــالصغيـــرِ

(١١٦)

لاذَ به النّسر

يصف ركوبَه متن الليل، وفي الآفق جبل شامخ الذرى. . .

وصَهـوةِ عـزمٍ قـد تمطَّيـتُ، والـدُّجـى مُكِبٌ، كأنَّ الصبح، في صدره، سِرٌّ[٢]

---

(١) **البنيّة**: كناية عن الزهرة بوصفها ابنة الطبيعة.

(٢) **الصهوة**: ظهر المطيّة، كنّى بها عن سعيه إلى المطامح ـ تمطى: امتطى، ركب.

وقـد ألحفَتنـي، شَملـةَ الظِـلِّ، شمـألٌ، يقلقـلُ أحشــاءَ الأراكِ بهـا ذُعــرُ[1]
وأشـرفَ طَمَّـاحُ الـذؤابـةِ، شـامـخٌ، تنطَّـقَ، بـالجَـوزاءِ، ليـلاً، لـه خَصـرُ[2]
وقــورٌ علـى مَـرّ الليـالـي، كـأنَّمـا يُصِيـخُ إلـى نجـوى، وفـي أُذنِـهِ وَقـرُ
تمهَّــدَ منــه كــلُّ رُكــنٍ رَكــانــةً، فقطَّـبَ إطـراقـاً، وقـد ضَحِـكَ البـدرُ
ولاذَ بـــه نَســرُ السمــاءِ، كــأنَّمــا يَحِــنُّ إلــى وَكــرٍ بــه ذلــك النَّســرُ
فلـم أدرِ مـن صَمـتٍ لـه، وسكينـةٍ، أَكَبــرةُ سِــنٍّ وقَّــرَت منــه أم كِبــرُ؟

(١١٧)
فَضَح الغزالَة

ومُهفهــفِ طــاوي الحَشـــا، خِنِــثِ المَعــاطــف والنَّظَــرْ[3]
مــــلأ العيـــونَ بصـــورةٍ، تُلِيَــت محــاسنُهــا سُــوَرْ
فــإذا رَنـــا، وإذا مشـــى، وإذا شــدا، وإذا سَفَــرْ[4]
فضــحَ الغــزالــةَ، والغَمــامــةَ، والحَمــامــةَ، والقَمــرْ[5]

(١١٨)
بَحْرُ لَيْلٍ طما

يــا ليــلَ وَجــدٍ بنَجــدٍ، أَمــا لطَيفِــك مســرَى؟
ومــا لــدمعــي طليقــاً، وأنجــمُ الليــل أَســرَى؟

---

(١) **ألحفتني**: ألبستني ـ **الشملة**: الرداء وما يلتف به الجسم ـ **الشمأال**: ريح الشمال ـ **الأراك**: شجر يستاك به، جمع أراكة.
(٢) **أراد بالأشرف**: الجبل العالي المشرف ـ **وقوله**: طمّاح الذّوائب استعارة لقممه العالية ـ **الجوزاء**: نجم.
(٣) **المهفهف**: الدقيق الخصر ـ طاوي الحشا: ضامر ـ **خنث المعاطف**: ليّن الأعطاف.
(٤) **رنا**: نظر ـ **سفر**: كشف عن محاسن وجهه.
(٥) **وصف في هذا البيت مفاتنه وشبهه بالغزالة جيداً وبالغمامة بياضاً، وبالحمامة رقة وصوتاً، وبالقمر حسناً وطلعة.**

وقـــد طمـــى بحـــرُ ليـــلٍ، لـــم يُعقِـــبِ المَـــدَّ جَـــزرَا
لا يَعبُـــرُ الطـــرفُ، فيـــه، غيـــرَ المجـــرَّةِ جِســـرَا

(١١٩)

بِتُّ أُناجِيه

وأغيـــدِ حُلـــوِ اللَّمـــى، أملَـــدٍ، يُـــذكَـــى علـــى وَجنتِـــه الجَمـــرُ(١)
بِـــتُّ أُنـــاجِيـــه، ولا رِيبـــةٌ تَعلَـــقُ بـــي فيـــه، ولا وِزرُ(٢)
والليـــلُ سِتـــرٌ، دونَنـــا، مُـــرسَـــلٌ، قـــد طَـــرَّزَتـــهُ أنجـــمٌ حُمـــرُ
أبكـــي، ويَشجِينـــي، ففـــي وَجنتـــي مـــاءٌ، وفـــي وَجنتِـــه خَمـــرُ
وأَقـــرأُ الحُســـنَ بـــه سُـــورةً، كـــانَ لهـــا، مـــن وجهِـــه، عَشـــرُ(٣)
وبـــاتَ يَسقِينـــيَ، تحـــتَ الـــدُّجـــى، مشمـــولـــةً، يمـــزُجُهـــا القَطـــرُ
وابتَسمَـــتْ، عـــن وجهِـــه، ليلـــةٌ، كـــأنَّـــه، فـــي وجهِهـــا، ثَغـــرُ

(١٢٠)

زوّار مع الليْل

يصف الذئب في ليلة داجية.

سَرى يرتمي، ركضاً به، كلَّ مَوجةٍ، تَـرامـى بهـا بحـرٌ مـن الليـلِ أخضـرُ(٤)
ولا صـــاحـــبٌ إلّا طـــريـــرُ مُهَنَّـــدٍ، ومُعتـــدِلٌ لَـــدْنُ المَهـــزَّةِ أَسمَـــرُ(٥)
وأطلـــسُ زَوَّارٌ، مـــعَ الليـــلِ، أَغبَـــشٌ، سَـرَى خَلـفَ أستـارِ الـدُّجـى، يتنكَّـرُ(٦)

---

(١) **اللمى**: سمرة الشفاه ـ **أملد**: ناعم ـ **يذكى**: يوقد ـ **يذكي الجمر**: شبه حمرة وجنتيه بالجمر المتوقد.

(٢) **الريبة**: الشك ـ **الوزر**: الذنب العظيم.

(٣) **في هذا البيت تلميح إلى آيات القرآن العواشر في نهاية العشر.**

(٤) **بحر الليل الأخضر**: أي الليل الأسود.

(٥) **المهند الطرير**: السيف المشحوذ ـ **اللدن الأسمر**: الرمح اللين.

(٦) **الأطلس**: الذئب الأغبر اللون المائل إلى السّواد ـ **الأغبش**: أي لونه أبيض يخالطه سواد.

تثاءَبَ من مَسِّ الطَّوى، فهو يشتكي، فيَعـوي، وقـد لفَّتـه نكبـاءُ صَـرْصَـرُ[1]
ودونَ أمـــانيـــه شَـــرارةُ لَهْـــذَمٍ، يُقلِّـبُ فيهـا مثلَهـا، حيـنَ ينظُـرُ[2]
فمِـن جَـوعـةٍ تُغـرِيـهِ بـي، فهـوَ مُـدْنٍ؛ ومِـن رَوعـةٍ تُثنيـهِ عنّـي، فيُقصِرُ[3]

(١٢١)
أيُّها الصَّبُّ

يـا أيهـا الصَّـبُّ المُعنَّـى بـه، هـا هُـوَ لا خَـلٌّ ، ولا خمـرُ
سـوَّدَ مـا ورَّدَ مـن خَـدِّه، فعـاد، فَحمـاً، ذلـك الجَمـرُ

(١٢٢)
السُّهى والقَمْر

بهـرتِ جمـالاً، فـرُعـتِ البَصَـرْ، وذُبـتُ سَقـامـاً ففُـتُّ النَّظَـرْ[4]
فصـرتُ، إذا أمكَنـتْ لُقيـةٌ، أُريـكِ السُّهـى، وتـرينـي القَمـرْ[5]

(١٢٣)
كأنّه مركب

تَقَبَّـلِ المُهـرَ مـن أخِـي ثِقـةٍ، ارسـلَ ريحـاً بـه إلـى مَطـرِ
مشتمِـلاً بـالظَّـلامِ مـن شِيَـةٍ، لـم يشتمِـل ليلُهـا علـى سَحَـرِ[6]
منتسِبـاً لـونُـه وغُـرّتُـه، إلـى سَـوادِ الفُـؤادِ، والبَصـرِ

---

(١) **الطوى**: الجوع ـ **النكباء**: الريح ـ **الصرصر**: الباردة.
(٢) **اللهذم**: سنان الرمح.
(٣) **مدّن**: دان، قريب ـ **الروعة**: الفزع ـ تثنيه: تمنعه من الإقدام.
(٤) **راعت البصر**: من الروعة وهي شدّة الافتتان ـ **فتُّ النظر**: كناية عن نحوله وسقمه الشديد الذي جعله خافياً عن الأنظار.
(٥) **اللقية**: اللقاء ـ **السهى**: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.
(٦) **الشية**: العلامة المميّزة.

تحسِبُــه، مــن عُــلاكَ، مستــرقــاً، بَهجَــةَ مــرأى ، وحُســنَ مختَبـرِ
حـــنَّ إلــى راحـــةٍ تفِيــضُ نَــدىً، فمـــالَ ظِـــلّ بــــه علـــى نَهَـــرِ
تـــرى بــــه، والنشـــاطُ يُلْهِبُـــه، مـا شئـتَ مـن فَحمـةٍ، ومـن شَـرَرِ[1]
لــو حَمَــلَ الليــلُ حُســنَ دُهمَتــهِ، أَمتَــعَ طَـرْفَ المُحـبِّ بـالسَّهَـرِ[2]
أحمَـى مـن النجـم، يـومَ معـركـةٍ، ظَهـراً، وأجـرى بـه مـنَ القَـدَرِ[3]
اســودَّ وابيـــضَّ فعلُــه كــرمـــاً، فــالتفــتَ الحُســنُ فيــهِ عــن حَــوَرِ
كـــأنَّـــه، والنفـــوسُ تَعشَقُـــه، مُــرَكَّـــبٌ مــن محــاســنِ الصُّــوَرِ
فـــازدَدْ سَنـــا بهجـــةٍ بـــدُهمتِـــه، فـــالليـــلُ أذكـــى لغُــرَّةِ القَمَــرِ
ومثـــلُ شُكـــري، علـــى تقبُّلِـــه، يجمَـــعُ بيـــنَ النسيـــمِ والـــزَّهَـــرِ

(١٢٤)

في هَوَى مِثْلها

وبَيضـاءَ، فـي صفـراءَ، تحمِـلُ نَفْحَـةً تَنَفَّس عنها المَندَلُ الرطبُ والجمرُ[4]
خَلَعـتُ رِداءَ الصَّبـر فيهـا عـلاقـةً، ويَحسُنُ، إلاَّ فـي هَـوى مِثلِهـا، الصَّبرُ
وَلا غـروَ أَنْ تَـروى بهـا عيـنُ نـاظـرٍ، وبـاطِنُهـا مـاءٌ وظـاهِرهـا خَمـرُ[5]

(١٢٥)

الفرس النّاري

وحُســـامٍ بكـــفِّ أشـــوسَ، أجـــرى فـــي الطُّلـى مـاءَه، وأضـرمَ نـارَهْ[6]

---

(١) من فحمة: إشارة إلى سواد لونه ـ الشّرر: كناية عن شدّة جريه وحركته.
(٢) الدهمة: السواد.
(٣) أحمى: أكثر حماية ـ أجرى: أكثر سرعة.
(٤) المندل: عود البخور.
(٥) تروى: ترتوي.
(٦) الأشوس: الناظر بمؤخر عينه ـ الطُّلى: جمع الطلاة: الجيد.

عطَفَ الضربُ منه عارضَ شيبٍ، فانجَلى يَخضِبُ النجيعُ عِذارَهْ[1]
فوق وِردٍ، محجَّلٍ، مَزجَ الحُسنُ، بمَرآه، ماءَه وعُقارَهْ[2]
خلَّصَتهُ نارُ الطَّبيعةِ سَبْكاً؛ وأسالَتْ لُجَينَه، ونُضارَهْ[3]
قدحَ الركضُ زَندَهُ فاستطارتْ، في دُخانِ العَجاجِ، منه، شرارَهْ
يَضحَكُ الحَليُ، فوقَه، عَن أقاحٍ، نَثَرَته الصَّبا على جُلَّنارَهْ[4]

(١٢٦)

مَلأَ المَسامعَ مَحاسِناً

ومغرِّدٍ، هزِجِ الغناء، مطرِّبٍ، يُلقى به ليلُ التمامِ، فيَقصُرُ[5]
سفَر الشبابُ لنا به عن غُرَّةٍ، يُرمى بها ليلُ السِّرارِ، فيُقمِرُ[6]
غازَلتُه حيثُ المُدامةُ والحَبابةُ وَجْنةٌ تَدمَى وَعَينٌ تَنظُرُ[7]
والمُزنُ طِرفٌ، جال يَصهل، أشهَبٌ؛ والبَرْقُ جُلّ قد تَمَزَّقَ أَحْمَرُ[8]
فكأنَّهُ، والسكرُ يَلوي عِطفَه، غُصنٌ تُعانِقه الرِّياحُ، مُنَوِّرُ
ملأ المسامِعَ والعُيونَ مَحاسِناً، فَلَمْ أدرِ! هَلْ أُصْغي إليهِ أَمَ انظُرُ

(١) **العارض هنا**: الخد والعارض أصلاً السحاب ـ **يخضب**: يصبغ ـ **النجيع**: الدم ـ، **العذار أصلاً**: جانب الوجه والمراد هنا عذار السيف.
(٢) **الورد**: الفرس المائل إلى الاحمرار ـ **العقار**: الخمر.
(٣) **اللجين**: الفضّة ـ **النضار**: الذهب.
(٤) **الحليّ**: السرج أو ما يماثله ـ **الجلّنار**: زهر الرمان شبه به لون الفرس النّاري.
(٥) **يصف مغنياً** حسن الصوت من سمعه ليلاً لم يحسّ بطول الليل.
(٦) **ليل السّرار**: الليلة الأخيرة من الشهر القمري، وهي غير مقمرة.
(٧) **المدامة**: الخمر ـ **الوجنة**: صفحة الوجه وقوله تدلى: اشارة إلى إحمرار خدّيه.
(٨) **الجُلّ**: السرج أو ما يشبهه.

(١٢٧)
هِيَ الظَّبْيُ

وقَوراءَ بيضاءِ المَحاسِنَ، طَلْقَةٍ، لَبِسْتُ بِها اللَّيلَ البَهيمَ نَهارا[١]
يَزُرُّ عليها الصُّبحُ، نُوراً، قَميصَه، وقد لبِسَ الجَوُّ الظَّلامَ صِدارا[٢]
هَزِزتُ، لأغصانِ القُدودِ، معاطفاً بها، ولِرُمّانِ النهودِ ثِمارا
فسَقياً لأيامٍ، هُناك، تَقلَّصَتْ ذُيولاً على حُكمِ الشَّبابِ قِصارا
إذا شِئتُ غنَّاني وِشاحٌ وحِليَةٌ لِحسناءَ، غَصَّتْ دُمْلُجاً وسِوارا
هي الظَّبيُ طَرْفاً أحوَراً، ومَلاحِظاً مِراضاً، وجِيداً أَتلَعاً، ونِفارا[٣]
أَفاضَت، على عِطفِ القضيبِ، مُلاءَةً؛ ولفَّتْ، على ظهرِ الكثيبِ، إزارا[٤]
وحيَّتْ بِآسٍ إثْرَ كاسٍ تُديرُها، فقبَّلْتُ جِيداً مِنهُما وعِذارا

(١٢٨)
خَمْرُ الصّبا

وضيفِ طَيفٍ أمَّ مِن هاجِرٍ، باتَ بهِ المَشكُوُّ مشكُورَا
وقد جَلا الحُسْنُ لَهُ سُنَّةً، يُلقى بها المعْذولُ مَعذُورَا[٥]
وصَحْفَةً تُنشَرُ مِن صفحة، رَأيتُ فيها الحُسنَ مسطُورَا
زار، وريحُ الفَجرِ قد قلَّصَتْ ذَيلَ غمامٍ، باتَ مَجرُورَا
وقلَّدتْ أَجيادَ تِلكَ الرُّبى دُرّاً، مِنَ النُّوَّارِ، مَنثُورَا
والصبحُ قَد مزَّق، عن صَدرِه، جَيبَ ظَلامٍ، باتَ مَزرُورَا

---

(١) **قوراء**: مستديرة، والمراد الدارة القوراء وهي التي يصفها في هذه الأبيات.
(٢) **الصدار**: القميص الساتر للصدر وليس له كمّان.
(٣) **الجيد الأتلع**: العنق العالي المشرئب.
(٤) **يقول**: إن قامتها المديدة كالقضيب وردفاها كالكثيب من الرمل لامتلائهما.
(٥) **السنّة**: المحيّا، الوجه.

فـانجـابـت الـدُّهمـةُ عـن شُهبَـةٍ، وآلَـتِ المِسكَـةُ كـافُـورَا[1]
بحيـثُ خَيـلُ الليـلِ مطـرُودَةً، تحـتَ لِـواء الحُسـنِ مَنشُـورَا
ثـمَّ مَضـى يُعشـى بـه خـاطِـري نـاراً، ويُغشـى نـاظِـري نُـورَا
كمـا انْثنَـى غصـنُ النَّقـا أملـداً، والتَفَـتَ الجُـؤذُرُ مَـذعـورَا[2]
قـد أسكَـرتْ خمـرُ الصِّبـا عِطفَـه، فَمـادَ، فـي بُـردَيـهِ، مَخمـورَا
مُعَـربِـداً يَجـرَحُـنـي طـرفُـه، وكـانَ ذنْـبُ السُّكـرِ مَغفـورَا
وأَرْسَـلَ اللَّحظَـةَ مكسـورةً مِـن تَـرَفٍ، والخُطـوَ مَقصـورَا
وسـالَ قَطْـرُ الـدَّمـعِ فـي خـدِّه، فـرَفَّ روضُ الحُسـنِ مَمْطـورَا

(١٢٩)

شُعْلَةُ نارٍ

يصف سَيْفاً باتراً فيبدو له لساناً من النار

ومُـرهَـفٍ كلِسـانِ النـارِ، مُنْصَلِـتٍ، يَشفي من الثَّارِ، أو يَنفِي مِنَ العارِ[3]
تَخـالُ شُعْلَـةَ نـارٍ منـه طـائِـرةً في عارِضٍ، مِن عَجاجِ الخيلِ، مَوَّارِ[4]
يَمضِي، فيَهْوي، وراءَ النَّقع، مُلتَهباً، كما تصَوَّبَ، يجري كوكبٌ ساري[5]
يَغشَـى، فتحـرُقُ نـارٌ فيـه مُـوقَـدةٌ تَحمي، ويَغْرقُ ماءٌ، فَوقَهُ، جاري

(١٣٠)

نَثَرْتَ ثِمارا

يـا بـارِقـاً قـدَحَ الـزِّنـادَ، وعـارِضـاً مُتهَلِّلاً ركِبَ الـرِّيَـاحَ فَسـارا[6]

(١) الدهمة: العتمة والظلام ـ آلت: صارت وتحوّلت ـ المسكة: سواد الليل بجامع السّواد ـ الكافور: بياض النهار بجامع الأشراق.
(٢) الغصن الأملد: الناعم ـ الجؤذر: ولد البقرة الوحشيّة.
(٣) المرهف: السيف الحادّ المضرب ـ منصلت: مسلول.
(٤) تخال: تحسب ـ العجاج: الغبار ـ الموّار: المتحرّك بقوة.
(٥) النقع: الغبار ـ تصوّب: انحدر.
(٦) العارض: السحاب الممطر.

قُـولاً لإِحْـوى، بـاللِّـوى، مُتَنَصِّـرٍ، عقَـدَ النُّحُـولُ، بخَصْـرِهِ، زِنَّـارا[1]
يـا غُصـنَ حُسـنٍ قـامَ يَنشـرُ فَـرعَـهُ وَرَقـاً، ويَفْتِـقُ نـورَه نُـوَّارا[2]
مـا كـان ضَـرَّك لـو هَصَـرتُـكَ ليلـةً، فَنَثَـرْتَ، مِـن قُبَـلٍ، علـيَّ ثمـارا[3]

(١٣١)
أَتَتْني بِهِ النَّارُ

ومِثْلُـكَ مَـدَّ يميـنَ النَّـدى، بِعِلْـقٍ يُطِيـلُ عِنـانَ النَّظَـرْ[4]
بـأزرَقَ سـالـتْ بـه صُفَـرةٌ، كمـا طـرَّز البـرقُ ثـوبَ السَّحَـرْ
أَتَتنـي بـه النـارُ فـي صُـورَةٍ، أرى للجِنـانِ عليهـا صُـوَرْ
فطَـرفُـكَ مـا راقَ مِـن مَسْحَـةٍ عليـه، وللشَّمـس نُـورُ القَمـرْ
فـإِنْ تَـكُ دهْمـاً ليـالـي النَّـوى، فـإِنَّ تحـايـاكَ فيهـا غُـرَرْ[5]

(١٣٢)
رَقَصَ القَضُيب بها

مجلس شراب في جنبات حديقة فيحاء

وصقيلـةِ الأنـوارِ تَلـوي عَطفَهـا ريـحٌ، تلُـفُّ فـروعَهـا، مِعطـارُ[6]
عـاطـي بهـا الصَّهبـاءَ أحـوَى أحـورٌ، سحَّـابُ أذيـالِ السُّـرى، سحَّـارُ[7]
والنَّـورُ عِقـدٌ، والغصـونُ سـوالـفٌ، والجِـذعُ زَنـدٌ، والخُليـجُ سِـوارُ[8]

(١) **الأحوى**: ذو الحوّة وهي سمرة مستحبة في الشفة ـ **النحول**: ضمور الخصر.
(٢) **الفرع**: الشعر ـ **النور**: الزهر.
(٣) **هصرتك**: من هصر الغصن: أي لواه باتجاهه، وهو يلمح هكذا إلى اشتهاء قرب الحبيب وعناقه.
(٤) **العلق**: النفيس من كل شيء.
(٥) **الليالي الدهم**: السوداء ـ **التحايا**: جمع تحية السلام ـ **الغرر**: البيض.
(٦) **صقيلة الأنوار**: أي بيضاء الأزهار.
(٧) **الصهباء**: الخمر ـ سحار: فاتن.
(٨) **النّور**: الزهر ـ **السوالف**: شعر جانبي الوجه ـ **الجذع**: أصل الشجرة.

بحـــديقـــةٍ ظـــلَّ اللَّمـــى ظِـــلاًّ بهـــا، وتطلَّعَـــت شَنَبـــاً بهـــا الأنـــوارُ[1]
رقَصَ القضيبُ بها، وقد شرِب الثرى، وشـــدا الحمـــامُ، وصفَّـــقَ التيّـــارُ
غَنَّـاءَ ألحـفَ عِطفَهـا الـورقُ النَّـدي، والتـفَّ فـي جَنبَـاتِهـا النُّـوّارُ[2]
فتطلَّعـت، فـي كـل مـوقـعِ لحظـةٍ، مـن كـلِّ غُصـن، صفحـةٌ وعِـذارُ

(١٣٣)

ومائِسَةٍ

ومـائسـةٍ تُـزهـى، وقـد خلـعَ الحيـا، عليها، حُلىً حُمراً، وأردِيةً خُضرا[3]
يـذوبُ لهـا ريـقُ الغَمـامـةِ فِضّـةً، ويجمُـدُ، فـي أعطـافهـا، ذهَبـاً نَضـرا

(١٣٤)

أروعَ، أمجدَ

وأروعَ، أمجـــدَ، قـــرَّظتُـــهُ؛ وبيـضُ الـلآلـي لبيـضِ النّحـورِ[4]
وشَعشعـتِ الخمـرُ أَخـلاقَـه، فـأطلَعَهـا غُـرراً للبـدورِ
وهـاتيـك آدابُـه لُجّـةٌ، فمـن لـي، وقـد زخَـرتْ، بـالعُبـورِ؟
ومـا أَرغـتِ الكـأس فـي كفِّـه، ولكنهـا ضحِكـتْ عـن سـرورِ
إِذا مـا جـرى، فـوقَ قُـرطـاسِـه، يَـراعٌ، جـرى حِبـرُه بـالحُبـورِ
فنلثُـم أَوضـاعَ تلـك الـرِّقـاعِ، ولُعـسَ مَـراشـفِ تلـك السُّطـورِ[5]
فهـل نِقسُـه مـن سـوادِ اللَّمـى، ومُهـرَقُـه مـن بيـاضِ الثُّغـورِ؟[6]

---

(١) **الشنب**: بياض الأسنان.
(٢) **الحديقة الغناء**: الكثيرة الأشجار.
(٣) **المائسة**: المتمايلة زهواً ـ **تزهى**: تتيه إعجاباً ـ **الأردية**: الحلل، جمع رداء.
(٤) **الأروع**: الذي يثير إعجابك بروعته ـ **قرّظ فلاناً**: مدحه وأطرى محاسنه.
(٥) **نلثم**: نقبل ـ **المراشف اللعس**: الشفاه التي فيها سواد مستحسن.
(٦) **النقس**: الحبر ـ **اللّمى**: السمرة المستحسنة في باطن الشفة.

(١٣٥)
أَحجَمْتُ عَنْ لمامٍ

بلغه أنّ أحد أصدقائه غمز من قناته فأنشد:

لك الخيرُ، أيُّ الخيرِ، في ردِّ صاحبٍ ... مُغيرٍ على عرضِ الصديقِ، مُغامرِ
يَهشُّ مع اللُّقيا إليَّ، كأنَّما ... أحُلُّ بربعٍ، للبَشاشةِ، عامرِ
ومَهما نأى، غامَت عليَّ سماؤُه، ... وجادت بصَوبٍ، للَغضاضِة، هامرِ[1]
فجرَّ بلحمي، ظالماً، كلُّ ذاكرٍ؛ ... ولاكَ بعِرضي، مُضغةً، كلُّ سامرِ
وإني لألقى الرَّكبَ يهبِطُ أرضَه، ... بأذكى ثناءٍ من أريجِ المُجاهرِ
ويَطرُقُني، ضيفاً، معَ الليل، طَيفُه، ... فيكرَعُ في ماءٍ، من البِشرِ، غامرِ
فأغضيتُ إغضاءَ الكريمَ لِفتيةٍ ... كرامِ الحُلى، والمُنتمَى، والأواصِرِ
وأحجمتُ، جُبناً، عن لَمامٍ بعَتبةٍ، ... وإني لَمَطْويٌّ على بأسِ عامرِ
وقلتُ، وحسنُ الصبرِ خيرُ مَغبَّةٍ: ... هنيئاً مريئاً، غيرَ داءٍ مُخامرِ
ولو شِئتُ رُعتُ القِرن، والبِيدُ بينَنا، ... بصَهلةِ خَوّارِ الأعنَّةِ، ضامرِ

(١٣٦)
سَدِّد بلَفْظَةٍ

دعا بهذه الأبيات إلى توسيع مدارك أفهام الأطفال:

سَدِّدْ مرامي الطِّفْل، في شأنِه، ... بلفظةٍ تَشدُدْ بها أزرَهْ[2]
واكتَفِ باللَّمحةِ من فَهمِه، ... إنَّ المبادي، أبداً، نَزرَهْ[3]
أَما تَرى النِّيرانَ من شُعلةٍ، ... والدَّوحةَ اللَّفَّاءَ مِن بَزرَهْ[4]

---

(١) **الغضاضة**: من غضّ غضاضة من فلان: وضع من قدره ـ **الهامر**: المنصب.
(٢) **سدّد**: صوّب ـ المرامي: الغايات ـ شدّ أزره: أعانه وآزره.
(٣) **نزرة**: قليلة.
(٤) **الدّوحة اللفاء**: الضخمة.

(١٣٧)
ارمِ الكريهةَ بالكريمة

هـذا غُـرابُ دُجـاكَ يَنعَـبُ فـازجُـرِ، وعُبـابُ لَيلِـكَ قـد تَـلاطَـمَ فـاعْبُـرِ
واستَفَّ من نُطَف النجوم على السُّرى، والتَـفَّ فـي وَرَقِ الظَّـلامِ الأخضَـرِ(١)
والبَـسْ رِداءَ السَّيـفِ، وهـوَ مُطَـرَّزٌ، تحـتَ العَجـاجَـةِ، بـالنَّجِيـعِ الأحْمَـرِ
وَارْمِ الكَـريهـةَ بـالكَـرِيمـةِ، وارتَشِـف صَفـوَ الحَيْـاةِ مـنَ العَجـاجِ الأكـدَرِ(٢)

---

(١) **استف**: شرب بكثرة.

(٢) **الكريهة**: ما هو مكروه ـ **العجاج**: الغبرة.

قافية السين

(١٣٨)
فانْهَضْ بآمل

رفع ابن خفاجة هذه القصيدة إلى صديقه الفقيه عبدالله محمد ابن أحمد بن حمدين:

جـرِّرْ مُـلاءَةَ كـلِّ يَـوم شـامِـس؛ واسْحَـبْ ذُؤابَـةَ كـلِّ ليـلٍ دامِـس(١)
واطلُـعْ بكـلِّ فـلاةِ أرضٍ غُـرَّةً، غَـرَّاءَ، فـي وجـهِ الظـلامِ العـابِـس
وانـزِلْ بهـا ضَيفـاً لِلَيْـثٍ خـادِرٍ، يَقـريـكَ، أو جـاراً لِظَبـيٍ كـانِـس(٢)
وإذا طَعمْـتَ فمـن قَنيـصٍ فِلـذَةً؛ وإذا شَـرِبـتَ فمـن غَمـامٍ راجِـس(٣)
والـرِّيـحُ تَلْـوي عِطـفَ كـلِّ أَراكـةٍ، لَـيَّ السُّـرى، وَهْنـاً، لِعِطْـفِ النـاعِـس
وسَـلِ الغِنـى مـن ظَهـرِ طـرْفٍ أشقَـرٍ، يَطَـأُ القَتيـلَ، وصَـدْرِ رُمـحٍ داعِـس
وارْجُـمْ بـرأيِـكَ شَـدْقَ لَيـثٍ ضـاغِـمٍ، طَلَـبَ الثَّـراءَ، ونـابَ صِـلٍّ نـاهِـس(٤)
وارغَـبْ بنَفسِـك عـن مَقـامـةِ فـاضِـلٍ، قـد قـامَ يَمْثُـلُ فـي خَصـاصَـةِ بـائِـس
فـالحُـرُّ مُفْتَقِـرٌ إلـى عـزِّ الغِنـى، فَقْـرَ الحُسـامِ إلـى يميـنِ الفـارسِ

---

(١) اليوم الشامس: الساطعة شمسه ـ الدامس: الحالك السواد.
(٢) الليث الخادر: القابع في خدره ـ الكانس: الذي لزم كناسه أي بيته.
(٣) القنيص: الصيد المقتنص ـ الغمام الراجس: السحاب الراعد.
(٤) الناهس: الناهش.

وإذا عَزَمْتَ، فلا عَثَرتَ بحادِثٍ، … فركِبتَ منه ظهرَ صَعبٍ شامِسِ (١)
فافْزَعْ إلى قاضي الجَماعةِ، رَهبَةً، … تَضَعِ العِنانَ بخيرِ راحةِ سائِسِ (٢)
واستَسْقِ منه، إن ظَمِئتَ، غَمامَةً … يَخضَرُّ عنها كلُّ عُودٍ يابِسِ
فإذا رَوِيتَ بماءِ ذاكَ المُجْتلي … فَحَذارِ من أُلهُوبِ ذاكَ الهاجِسِ (٣)
مِنْ آلِ حَمْدِينَ الأولى حَلِيَتْ بهم، … قِدْماً، صُدورُ كَتائِبٍ ومَدارِسِ
مِن أُسْرةٍ نَشأوا غَمائِمَ أَزْمَةٍ، … ولربَّما طَلَعوا بُدُورَ حَنادِسِ (٤)
مُتَطَلِّعينَ إلى الحُروبِ، كأنَّما … يَستَطلِعونَ بها وُجوهَ عَرائِسِ
وجَرَوا بمَيدان المَكارِمِ والعُلى … وكأنَّما رِكِبُوا ظُهورَ رَوامِسِ (٥)
وجَنَوا ثمارَ النَّصرِ، مِن غرس القَنا، … بأكُفِّهِمْ، ولَنِعْمَ غرسُ الغارِسِ
فَهُمُ لُبابُ المَجدِ نَجدَةَ أَنْفُسٍ، … وَذَكاءَ أَلْبابٍ، وطِيبَ مَغارِسِ
وهُمُ رِياضُ الحَزْنِ نُضْرةَ أَوجُهٍ، … وجمالَ أَرْدانٍ، وحُسنَ مَجالِسِ
مِن كلِّ أرْوَعَ راعَ كلَّ ضُبارِمٍ … بأساً، وذلَّلَ نَفسَ كلِّ مُنافِسِ
خلع الثَّناءُ عليه أكرمَ حِلْيَةٍ، … يُزهَى بها، في الدَّسْتِ، عِطفُ اللاَّبسِ
سَلِسُ الكلامِ على السَّماعِ، كأنَّه … سِنَةٌ تَرَقْرَقُ بين جَفْنَي ناعِسِ
ما إنْ يُمازُ، منَ الشِّهابِ، طَلاقَةً، … حتى تُمدَّ إليهِ كفُّ القابِسِ
تركَ الأعادِي بَينَ طَرْفٍ خاشعٍ … لا يَستَقِلُّ، وبينَ رأسٍ ناكِسِ
وزكَا فلم يُطْرَفْ بنَظرَةِ خائنٍ، … يوماً، ولم يُعْرَفْ بعَهدٍ خائِسِ (٦)
مُتَقلِّبٌ ما بين عَزمٍ غارِسٍ … لِلمَكرُماتِ، وبينَ حَزْمٍ حارِسِ

---

(١) **الشامس**: الحرن غير المنقاد.
(٢) **فزع إلى فلان**: لجأ إليه، احتمى به.
(٣) **روى**: أطفأ ظمأه ـ **الألهوب**: الحريق ـ **الهامس**: الخاطر.
(٤) **الحنادس**: جمع حندس، الظلام.
(٥) **الروامس**: الرياح التي ترمس الآثار أي تمحوها لما تحمل من الرمال.
(٦) **العهد الخانس**: الغادر.

وذكـــاءُ فَهْــمٍ لــو تمثَّــل صــارِمــاً ... لــم يــأتَمِــنْ، ظُبتَيــهِ، عــاتِــقُ فــارِسِ
ومَقـــامُ حُكْـــمِ عـــادِلٍ لا يَـــزدَري، ... فيــه، المُعَلَّــى خَطْــوهُ بــالنَّــافِــسِ[1]
ومَجـــالُ حَـــرْبٍ جَـــرَّ فيـــه لامَـــةً، ... قـد قـامَ منهـا فـي غَـديـرٍ حـامـسِ[2]
يَطَـأ العِـدى مـا بيـن نَصْـلٍ ضـاحـكٍ، ... تحـتَ العَجـاجِ، ووَجـهِ طِـرْفٍ عـابـسِ
فـي حيـثُ يَلعَـبُ بـالقَنـاةِ، شهـامـةً، ... لَعِبَ النُّعـامـى بـالقضيـبِ المـائـسِ
أَحْسِـنْ بقُـرْطُبَـةٍ، وقـد حَمَلَـتْ بـه ... حُسْـنَ الفَتـاةِ ولُبْـسَ خُلْـقِ العـانـسِ
وتَتَـوَّجَـتْ بمنـار علـمٍ سـاطِـعٍ، ... قـد قـامَ فـوقَ قـرارِ ديـنٍ آنِـسِ
وتُخـايَلَـتْ عِـزّاً بـه، فـي عِصْمَـةٍ، ... صحَّـتْ بهـا مـن كـلِّ داءٍ نـاخـسِ[3]
يُـزهـى بِـرِيْـطٍ، للصبيحـةِ، أَبيـضٍ، ... تَنْـدى، وبُـردٍ، للعشيَّـةِ، وارِسٍ[4]
فـانْهـضْ أبـا عَبـدِ الإلـه بـآمـلٍ ... قد جابَ دُونكَ كلَّ خَرقٍ طامسٍ[5]
عـاجَ الـرجـاءُ علـى عُـلاكَ بـه، فلـمْ ... يَعُـجِ المَطـيَّ بِـرسْـمِ رَبـعٍ دارِسِ
فاشْفَع لمُغتَرِبٍ رَجاكَ، على النَّوى، ... يَمْـدُدْ إلـى الخضـراءِ راحَـةَ لامِـسِ
وامْـدُد إليـهِ بكـفِّ جَـدٍّ قـائِـمٍ، ... تَجـذِبْ بـه مِـن ضَبْـعِ جَـدٍّ جـالـسِ[6]
فلَـرُبَّ يـومٍ قـد رفَعْـتَ بـه المُنـى، ... ومَحَـوتَ فِيـهِ سـوادَ ظَـنِّ البـائـسِ
وبَقِيـتَ تجتَلِـبُ النفـوسَ نَفـاسـةً ... وبشـاشـةً، ووُقيـتَ عَيـنَ النَّـافِـسِ[7]

---

(١) **النافس**: القدح الخامس من قداح الميسر، **والمعلّى**: السابع.
(٢) **الحامس**: الشديد الصلابة.
(٣) **الداء الناخس**: الداء المزعج، من نخست الدابة إذا هاجت.
(٤) **الريط**: الملاءة ـ **الوارس**: الأحمر اللون.
(٥) **الخرق الطامس**: الطريق الخفي غير الواضح.
(٦) **الضبع**: العضد.
(٧) **النافس**: الذي يحسد ويصيب بالعين، العائن.

(١٣٩)
أوجعتني كُرْبةٌ

أَفـي كـلِّ يـومٍ رَجفـةٌ لِمُلِمَّـةٍ ... بِفَقدِ خَليـلٍ، يَمـلأُ العَيـنَ، مُـؤْنسِ
أَبيـتُ لـهُ تَنـدى جُفـونـيَ لَـوْعَـةً، ... كما دَمَعتْ، تحتَ الحَيا، عينُ نَرجِسِ
وحَسبِـي، إذا مـا أَوْجَعَتنـي كُـرْبـةٌ، ... بِمُـؤنِـسِ يَعقـوبٍ ومُنقِـذِ يُـونُـسِ[١]

(١٤٠)
وا شوقي

إنَّ لِلجَنَّـةِ، فـي الأنـدَلُـسِ، ... مُجْتَلـى حُسـنٍ ورَيَّـا نَفَـسِ
فَسَنـا صُبْحَتِهـا مِـن شَنَـبٍ؛ ... ودُجَـى ظُلمَتِهـا مِـن لَعَـسِ
فـإذا مـا هبَّـتِ الـرِّيـحُ صَبـاً، ... صِحـتُ: واشَـوقِـي إلـى الأنـدَلُـسِ!

(١٤١)
تروقُ العينَ

يصف جارية فيعدّد محاسنها وبهجة المجلس بها...

إمـا واعتِـزازِ السيفِ والضّيـفِ والنَّدى ... بخَيـرِ مَليـكٍ، هـشَّ فـي صـدرِ مجلِـسِ
بَـدا بيـن كـفٍّ للسَّمـاحِ مُغيمَـةٍ، ... تَصُـوبُ، ووجـهٍ للطَّـلاقـةِ مُشمِـسِ
لقـد زَفَّ بِنتـاً، للخَميلـةِ، طَلْقَـةً، ... يَهُـزُّ إليهـا الـدَّسْـتُ أَعطـافَ مَغـرِسِ
تَنـوبُ، عـن الحسناءِ والـدارِ، غُـربةٌ، ... فمـا شِئـتَ مِـن لهـوٍ بهـا وتَـأَنُّـسِ
تُشيـرُ إليهـا كـلُّ راحـةِ سُـوسَـنٍ، ... وتَشخَـصُ فيهـا كـلُّ مُقلـةِ نَـرجِـسِ
فحَفَّـتْ بهـا رِيـحُ بَلِيـلٌ وربـوةٌ، ... بمَسـرى غَمـامٍ، جـادَهـا، مُتَبَجِّـسِ
فجـاءَتْ تَـرُوقُ العيـنَ فـي مـاءِ نُضْـرةٍ، ... تَشُنُّ، على أعطافِها، ثوبَ سُندُسِ[٢]

---

(١) **يقول**: حسبي الله مؤنس يعقوب وهو أبو أسباط بني إسرائيل، ومنقذ يونس وهو يونان الذي ابتلعه الحوت.

(٢) **السندس**: الحرير الأخضر اللون.

وتمــــلأ عيــــنَ الشمــــسِ لألاءَ بهجَـــةٍ وحُسْــنٍ، وأنْـفَ الـرِّيـحِ طِيـبَ تنفُّسِ

(١٤٢)

السّاقي الأسودُ

وكــأسِ أُنــسٍ قــد جَلَتْهــا المُنــى، فبــاتَــتِ النفــسُ بهــا مُعْـرِسَـهْ
طـــافَ بهـــا أَســـوَدُ مُحـــدَودِبٌ، يُطـرِبُ مــن يَلهُــو بــه مجلِسَــهْ
فخِلْتُـــــه، مــــن سَبَـــجٍ، رَبْـــوةً قــد أنْبَتَــتْ مــن ذَهــبٍ نَـرْجِسَــهْ[1]

(١٤٣)

شَهيّ الجَنى

يصف التّيـن فيفتـن في التشبيه ويتمثل شهده كريق الحبيب

أَمَـــا واهتِصـــارِ غُصُـــونِ البَلَـــسْ، وقــد قَلَّـصَ الصُّبـحُ ذَيـلَ الغَلَـسْ[2]
ومـــالَ يَسِيـــلُ جَنـــى شَهْـــدِه، كمـــا ســـالَ رِيـــقُ حَبيـــبٍ نَعَـــسْ
لقـــد ســـاقَ، مـــن رائِـقِ المُجتَلـــى، شهِـيَّ الجَنــى، مُستَطــابَ النَّفَــسْ[3]
فَهِمْـــتُ لــــه ببَيَـــاضِ الثُّغـــورِ، وأحبَبْـــتُ فيـــه ســـوادَ اللَّعَـــسْ

(١٤٤)

مَعْشوقَةُ الحُسْنِ

ومعشُـــوقَـــةِ الحُســـنِ مَمشُـــوقَـــةٍ، يَهيـــمُ بهـــا الطَّـــرفُ والمَعْطِـــسُ[4]
لهـــا نُضْـــرةٌ سِمْتُهـــا نَظْـــرةً، وتَكْلَـــفُ، بـــالأنفُـــسِ، الأنفُـــسُ
فمِـــن مـــاءِ جَفْنـــي لهـــا مَكـــرَعٌ فسِيـــحٌ، ومـــن راحتـــي مَغْـــرِسُ

---

(١) السبج: نوع من الخرز الأسود ـ النرجسة: كناية عن كأس الخمرة المذهبة.
(٢) البلس: ثمر التين ـ الغلس: حلكة آخر الليل.
(٣) المجتلى: الظاهر للعين.
(٤) المعطس: الأنف.

(١٤٥)
فَرَسٌ أَشْقَرُ

وأشْقــرٍ تُضْــرَمُ منــه الــوَغَــى، بشُعْلــــةٍ مـــن شُعَـــلِ البـــاسِ
مِــن جُلَّنــارٍ نــاضــرٍ خــدُّه، وأُذْنُــــــه مِـــــن وَرَقِ الآسِ
تَطْلُــعُ للغُــرَّةِ، فــي وجهِــهِ، حَبــابَــةٌ تَضحَــكُ فــي كــاس

(١٤٦)
لَوْلا الحَيَاء

قال يصف حنينه إلى الشراب بعد أن أقلع عنه.

يــا حبَّــذا نــادِي النِّــدامِ، ومُجتَلــى سِــرِّ السُّــرورِ بــهِ، ومَسْلــى الأنفُــسِ
ولَئِــن كَفَفْــتُ عــنِ المُــدامِ، فــإنَّ لــي نَفســاً تَهَــشُّ بِصَــدْرِ ذاكَ المَجْلِــسِ
لــولا الحَيــاءُ مِــنَ المَشِيــبِ لَقَبَّلَــتْ ثَغــرَ الحَبــابِ بــهِ، وَعَيــنَ النَّــرجِس

(١٤٧)
شأنُ مِثلي

غَيــريَ مــنَ يَعتَــدُّ، مــن أُنسِــهِ، مــا نــالَ مِــن ســاقٍ ومِــن كــأسِــهِ
وشَــأنُ مِثلــي أَن يُــرى خــالِيــاً بِنَفْسِــــهِ، يَبْحَــــثُ عــــن نَفسِــــه

(١٤٨)
دَرَسُوا العُلومَ

دَرسُــوا العُلــومَ لِيَملِكُــوا بِجدالِهِــمْ، فيهــا، صُــدُورَ مَــراتِــبٍ ومَجــالِــسِ
وتَــزَهَّــدوا، حتــى أَصــابُــوا فُــرصَــةً فــي أَخــذِ مــالِ مَســاجِــدٍ وكَنــائــسِ

قافية الصَّاد

(١٤٩)
ربّ ذَيْلٍ . . . سَحَبْتُهُ

ألا إنَّهـا سِـنّ تَـزيـدُ فـأنقُـصُ؛ وَنَفْضَـةُ حُمَّـى تَعْتَـريني فـأرقُـصُ
فهـا أنـا أمْحُـو مـا جَنَيتُ بعَبْـرَتـي، وانْظُـرُ، فـي مـا قـد عمِلـتُ، أُمَحِّـصُ
وأَلمـحُ أعقـابَ الأمـورِ، فـأرعَـوي، ويُعْمـى علـيَّ الأمـرُ طَـوراً، فـأفحصُ
ويـا رُبَّ ذَيـلٍ للشَّبـابِ سَحَبْتُـه، ومـا كنـتُ أدري أنَّـه سيُقَلَّـصُ
ولمحَـةِ عَيـشٍ بيـن كـأسٍ رَويَّـةٍ تُـدارُ، وظَبْـيٍ بـاللِّـوى يَتَقنَّـصُ
ألا بـانَ عَيشٌ كـان يَنْـدى غَضـارةً؛ فيـا ليـتَ ذاك العيشَ لـو كـان يَنكـصُ!
وعِـزُّ شبـابٍ كـان قـد هـانَ بُـرهـةً؛ أَلا إنَّهـا الأعْـلاقُ تَغلُـو وتَـرخُـصُ
فمَـن مُبلِـغٌ تلـكَ اللَّيـالـي تَحيَّـةً تُعَـمُّ بهـا طَـوراً، وطـوراً تُخَصَّـصُ
علـى حيـنَ لا ذاكَ الغَمـامُ يُظِلُّنـي، ولا بَـرْدُ تلـكَ الـرِّيـح يَسـري ويَخلُـصُ
وقد طَلَعَتْ، للشَّيب، بِيضُ كواكبٍ، أُقَلِّبُ فيهـا نـاظِـري، أتَخـرَّصُ (١)
كـأنْ لـم أُقَبِّـلْ صَفحـةَ الشَّمـس لَيلـةً؛ ولم يَنتَعِلْ بي، دونها، الشمسَ، أخمَصُ (٢)
ولا بِـتُّ مَعْشُـوقـاً، تَطِيـرُ بـأضْلُعِـي قَطـاةٌ، لهـا بيـنَ الجَـوانِـح مَفحَـصُ

---

(١) أتخرص: من التخرّص وهو الظنّ وعدم القدرة على اليقين.
(٢) الأخمص: باطن القدم الذي لا يصيب الأرض.

قافية الضّاد

(١٥٠)
مَضَى . . فانْقَضَى

أَلا مَضـى عَصْـرُ الصِّبـا، فـانْقَضـى؛ وحَبَّــذا عَصْــرُ شبــابٍ مَضـى
بِــتُّ بــه تحــتَ ظِــلالِ المُنــى، مُجتَنِيــاً منــهُ ثِمــارَ الــرِّضـا
ثــمَّ مَضــى أَحسِبُــه كَــوكَبــاً مُنكَــدِراً، أو بــارِقــاً مُــومِضـا
فمـا تَصَــدّى يَنتَحِــي مُقْبِــلاً، حتــى تَــولّــى يَنْثِنــي مُعْــرِضـا
ومــرَّ لا يَلــوِي، ومــا ضَــرَّ مَــنْ أَعْــرَض لَــوْ سلَّــم، أَوْ عَــرَّضـا[1]
وإِنمــا ضــاءَ، بلَيــلِ الصِّبــا، صُبــحُ مَشِيــبٍ، ســاءَنــي أَنْ أَضـا
لاحَ، ففــي عَيْنَــيَّ نُــورُ الهُــدى منــه، وفــي قَلبِــيَ نــارُ الغَضـا[2]
وابيَــضَّ مِــن فَــودِي بــه أَســوَدٌ، كُنــتُ أَرى اللَّيــلَ بــهِ أَبْيَضـا[3]

---

(١) أعرض: أضرب وصدّ ـ عرّض (به): عناه ولم يصرّح أشار إليه.
(٢) الغضا: شجر ناره لا تخمد سريعاً.

قافية العين

(١٥١)

اللهُ يُعْطي ويَمْنَع

قالها مادحاً القائد، أبا إسحاق ويذكر محاصرته لحصن المؤريلة، ويهنئه بتقلده كورة اشبيلية:

أَرَأيُـكَ أَمْضـى أَمْ حُسـامُـكَ يَقْطَـعُ، ومَـرْآكَ أَبْهـى أم حَـديثُـك يُسْمَـعُ؟
وكـلّ لـه، فـي جـانـبِ المُلـكِ، مَسْلَـكٌ كـريـمٌ، ومِـنْ نَفـسِ الإمـارَةِ مَـوقِـعُ
لك الخيرُ ما أَهْداك، والسَّهمُ صائبٌ يَطيشُ، ومـا أَعْداكَ، والخيـلُ تَمـزَعُ [١]
ولا غيــرَ أَطــرافِ الأسِنَّــةِ مِقْــوَلٌ يُبيــنُ، ولا غيــرَ الفَــرائِـصِ مِسْمَــع
وما الوَشيُ، حُسناً، غيرَ بِيضِ محاسنٍ لَبِسـتَ علـى عِطْفَـي عُـلاكَ، وتَخلَـعُ
ولا النَّجــمُ، نــأيــاً، ذُروَةَ معْقِــلٍ، تَــذُودُ العِـدى عــن جـانبَيـه، وتَمْنَـعُ
تَفُـوتُ رجـاءَ المُـرتَجيـنَ وُعـودُه، ويَــدنُــو بــه سَعــدُ الأميــرِ، فيَطْمَــعُ
أَحَطْـتَ بـه حَصـرَ الإحـاطَـةِ مُضْعِفـاً، تُــزَلــزِلُ مِــن أَركــانِــه وتُضَعْضِــعُ
وأَمْطَـرْتَـه غَيثـاً، مـن العَيـثِ، واكِفـاً، يُظـاهِـرُه وَبْـلٌ، مـن النَّبْـلِ، يَهْمَـعُ [٢]
تَضُـمُّ جَنـاحَ الجيـشِ حَـوْلَيـه ضَمَّـةً، تكــادُ بهــا أَضْــلاعُــه تَتَقَعْقَــعُ [٣]

---

(١) تمزع الخيل: تسرع.
(٢) يهمع: يهطل غزيراً.
(٣) تتقعقع: تضطرب، وتصوّت عند التحرّك.

فكـم ضَـرْبـةٍ فَـوهـاءَ ثَـمَّ ومُقلَـةٍ، جـرَتْ هـذه تَـدمَـى وهـاتِيـكَ تَـدْمَـعُ[(١)]
ولا بـأس إلاَّ مِـن سُيُـوفِـكَ تُنْتَضـى، ولا سَعْـدَ إلاَّ فـي رِمـاحِـكَ تُشْـرَعُ
وهـل أنـتَ إلاَّ رَحمـةُ اللهِ تَنكَفـي، عَذاباً، على أهلِ المعاصي، فتَقْمَعُ؟
فكـم حِـرزِ عـزٍّ قـد غَشِيـتَ ببَطْشَـةٍ، تُصِـمُّ العِـدى رَجَّـاتُهـا حيـن تُسْمَـعُ
وغـادَرْتَـه مـن مَعْقِـلٍ، وهـو مَعْقَـرٌ لِمُعْتَقِـديـه مَصْنعـاً، وهْـو مَصـرَعُ
فـأنجَـزَ فيـه، موعِـدَ السيفِ، فـاتِـكٌ، يَهُـونُ عليـه الجـانِـبُ المُتَمَنِّـعُ
وأَهْـوى بـه طِيـبُ الحـديـثِ، فنَشْـرُه يَخُـبُّ بـه رَكْـبُ الثنـاءِ ويُـوضِـعُ[(٢)]
إذا هَـزَّ أعطـافَ المعَـالـي حَسِبْتَـه يُـديـرُ بهـا كـأسـاً، عليـه، تُشَعْشَـعُ
وحَسْبُـك مـن فَلْـجٍ، لأبيَـضَ واضِـحٍ، يُعِيدُ ويُبـدِي، في المعـالي، فيُبْدِعُ[(٣)]
ويـا رُبَّ جيـشٍ للعَـدوِّ كـأنَّـه عُبـابُ خِضَـمٍّ، قـد طَمـى يَتَـدفَّـعُ
عـرَضْـتَ لـه، والليـثُ دونَـكَ جُـرأةً، فـأجْفَـلَ إجفـالَ النَّعـامَـةِ يَجْـزَعُ
ولَقَّيْتَـه رِيـحَ المَهـابـةِ بـارحـاً، فـأقلَـعَ إقـلاعَ الغَمـامَـةِ تَقْشَـعُ
وأدْبَـرَ لا يُلْـوي علـى مُتَعَـذِّرٍ، حِـذارَ فَتـىً يَسـري إليـه، فيُسْـرِعُ
وقد جالَ دَمعُ القَطرِ في مُقلَةِ الدُّجى، ولَفَّـتْ نـواصِـي الخيـلِ نكبـاءُ زَعْـزَعُ
لـه، مـن صُـدُورِ الأعْـوَجِيَّـةِ والقَنـا، شَفِيـعٌ، إلـى نَيـلِ الأمـانـي مُشَفَّـعُ
وظفَّـرَهُ، فـي مُلتقـى الخَيـلِ، سـاعِـدٌ أَلَـفُّ، وقلـبٌ، بيـن جَنْبَيـهِ، أصمَـعُ[(٤)]
وأبيَـضُ يَتلُـو سُـورةَ الفَتـحِ، يُنْتَضـى، ويَسْتَقْبِـلُ الفَـرقَ الكـريـمَ، فيَـركَـعُ
ومُنْجَـرِدٌ ضَخْـمُ الجُـزَارَةِ، أوْحَـدٌ، يَطِيـرُ بـه، تحـتَ العَجـاجَـةِ، أربَـعُ[(٥)]
وحَصْـداءُ تَـزري بـالسِّنـانِ، حَصِينَـةً، ووَجْـهٌ وَقـاحٌ، بـالحـديـدِ، مُقَنَّـعُ[(٦)]
رَتَعـتَ علـى حُكـمِ السَّمـاحِ بِـرَبْعِـه، ومَـرْبَـعُ أبنـاءِ السَّمـاحَـةِ مَـرْتَـعُ

---

(١) الضربة الفوهاء: الواسعة.
(٢) يوضع: يقاد ويُساق.
(٣) الفلج: الغلبة والظفر.
(٤) القلب الأصمع: القلب الفطن.
(٥) الجزارة: الأطراف.
(٦) الحصداء: الدرع المحكمة النسج.

وعُجتَ عليه عَوجَةَ الصَّبِّ شاقَهُ بَريقٌ تَراءى، آخِرَ الليلِ، يَلمَعُ
ولم أرِدِ الأوشالَ أَنْقَعُ غُلَّةً، ويُمْنى أبي إسحاقَ للبَحْرِ مَنْبَعُ[1]
وهَضْبتُه أحْمَى جناباً لِخائِفٍ؛ وأبْطَحُه أنْدى مُراداً وأمْرَعُ
فمَن مِثلُ إبراهِيمَ، والصُّبحُ أبْلَجٌ؛ ومَن مِثلُ إبراهِيمَ، والحقُّ أصدعُ؟
إمامٌ تَدانَى رَأفةً، وسَما به، إلى المجدِ، بَيتٌ، طاولَ النَّجم، أرْوعُ
تَجَلَّى، ومن بَطْحاءَ مكَّةَ حَنَّةٌ إليه، ولِلْبَيتِ الحَرامِ تَطَلُّعُ
ترى لقُرَيشٍ فيه بَرقَ مَخيلةٍ يَلُوحُ، وعِرْقاً للخِلافةِ يَنْزَعُ
أَما وأيادٍ أنْطَقَتْنِي بِحَمْدِه، وقد طَوَّقتْنِي ، والحمامةُ تَسجَعُ
لئِن هُزَّ مِن أرْجاءِ حِمصَ، مَسَرَّةً، حديثٌ بمَلْقاهُ إليها يُرَجَّعُ[2]
لقد نابَ مِنَّا، والخُطُوبُ مُمِضَّةٌ، وَشِيكُ نَواهُ، والحوادِثُ تُوجِعُ
وفارَقَنِي صَبري لِذِكْرى فِراقِه؛ وشافَهَني، قبلَ الوَداعِ، تَوَدُّعُ
وكنتُ جَمادَ العينِ، أجْهَلُ ما البُكى، فعَلَّمني داعي النَّوى كيفَ تَدمعُ
فأستَودِعُ اللهَ الأميرَ ومُهجَةً أُشَيِّعُها في مَنْ، هُناك، أُشيِّعُ
وهُنِّئتَها من دارِ مُلكٍ، وهُنِّئَتْ به، مِلكاً، واللهُ يُعْطِي ويَمْنعُ

(١٥٢)
أقلِّبُ طَرْفي . . .

أَجَبْتُ وقد نَادى الغَرامُ، فأسْمَعا، عَشِيَّةَ غنَّانِي الحَمامُ، فرَجَّعا[3]
فقُلتُ، ولِيَ دَمعٌ تَرَقْرقَ، فانْهَمى يَسِيلُ، وصَبرٌ قد وَهى، فَتَضَعْضعا[4]
أَلا هَلْ، إلى أَرضِ الجَزِيرةِ، أَوْبَةٌ، فأسْكُنَ أَنْفاساً وأَهْدَأَ مَضْجَعا

---

(١) **الأوشال**: جمع وشل القليل من الدمع.
(٢) **أراد بـ «حمص»**، إشبيلية.
(٣) **رجّع**: ردّد الغناءَ ونحوه.
(٤) **انهمى**: انسكب ـ **وهى الصبر**: ضعف وتلاشى.

وأَغْـدُو بِـوادِيهـا، وقـد نَضَـح النَّـدى مَعاطِفَ هاتيكَ الرُّبى، ثُمَّ أَقْشَعا[1]
أُغـازِلُ فيهـا لِلغـزالَـةِ سُنَّـةً، تَحُطُّ الصَّبا عنها، من الغيم، بُرقُعا[2]
وقد فَضَّ عِقدَ القَطرِ، في كلِّ تَلْعةٍ، نسيـمٌ تَمَشَّـى بينهـا، فَتضـوَّعـا[3]
وبـاتَ سَقيـطُ الطَّـلِّ يَضـرِبُ سَـرْحَـةً تَـرِفُّ بِـواديهـا، ويَنضَـحُ أَجْـرَعـا
وأَيـنَ فِنـا دارٍ إلـيَّ حبيبَـةٍ، وحسبُـكَ مُصطـافـاً، هنـاك، ومَـرْبَعـا
لقـد تـركتني بيـن جَفـنِ جَفـا الكَـرى، وجَنـبٍ تَقَلّـى، لا يُـلائِـم مَضْجعـا
أُقلِّـبُ طَـرفِـي فـي السَّمـاءِ، لعَلّنـي أشِيـمُ سَنـا بَـرْقٍ، هُنـاكَ، تَطَلَّعـا

(١٥٣)
أَذِنَ الرّحيلُ

أَذِنَ الـرَّحيـلُ بلُقْيَـةٍ لِـوَداعِ؛ إنَّ الليـالـي نَـزْرَةُ الإمْتـاعِ
فـأطَلْـتُ عَـضَّ أنـامِلـي أسفـاً علـى زمـنٍ، خـلا منـه، قصيـرِ البـاعِ
لـم يَنْفَصِـمْ عـن ضَمَّـةٍ لإقـامـةٍ، إلاَّ إلـى تَعنيقَـةٍ لِـزَمـاعِ[4]

(١٥٤)
أشيمُ سَناهُ

يصف وميض البرق وذيول السحاب والليل نديّ الجناح

أَرِقْـتُ، وقـد نـامَ الخَلِـيُّ لِنـازِحٍ، تَشظَّتْ حَصاةُ القلب، في حبه، صَدْعا
ومـا شـاقنـي إلاَّ ومِيـضُ غمـامـةٍ، تَطَلَّـعَ مـن نَجْـدٍ، فحَيَّـا اللِّـوى رَبْعـا
أَشيـمُ سَنـاهُ، والسمـاءُ مُغيمَـةٌ، كما اغرورَقَتْ عَيني ، لرؤيته ، دَمعا
فـذكَّـرنـي، والليـلُ يَنْـدى جَنـاحُـه، بِمَعْطِفِـه خَفْقـاً، ومَبْسِمِـه لمَعْـا

---

(١) اقشع : انكشف وتبدّد.
(٢) السنّة (هنا): الصورة، الشكل.
(٣) تضوّع النسيم: انتشرت رائحته.
(٤) لم ينفصم: لم ينقسم أو يتفرّق ـ الزماع: العزم على الأمر.

ومَسْحَبِ ذَيـلٍ للسَّحـاب بـذي الغضـا، بَرُودِ رُضابِ الماء، أحوى لمى المرعى[1]
فقُـل فـي أَتِـيٍّ قـد تهـادى، كـأنَّـه، إذا مـا ثَنـى أَعطـافَـه، حيّـةٌ تَسْعـى[2]
ومــاءِ مَسِيــلٍ ســائِــلٍ لِقَــرارةٍ، فبَينـا تـرى منـه حُسـاماً تـرى دِرْعـا

(١٥٥)

شَيّد ورفّع

قالها يمجد مكارم الأمير أبي إسحاق: ويعدّد مناقبه

سجَعْـتُ، وقـد غنَّـى الحَمـامُ فـرَجَّعـا، ومـا كنـتُ، لَـولا أَنْ يُغَنِّـي، لأسْجعـا
وأَنْــدُبَ عَهــداً بــالمُشقَّــرِ ســالِفــاً، وَظِـلَّ غمـامٍ، للصِّبـا، قـد تقشَّعـا[3]
ولــم أَدرِ مــا نَبكِــي: أَرَسْــمَ شَبيبــةٍ عفا، أَمْ مَصِيفاً، مِن سُلَيْمَى، ومَربَعا
وَأَوْجَــعُ تَــوديــعِ الأحِبَّــةِ فُــرقَــةً، شَبــابٌ علــى رُغْــمِ الأحبَّــةِ ودَّعــا
ومـا كـانَ أَشْهـى ذلـك اللَّيـلَ مَـرقَـداً؛ وأَنْــدى مُحيَّــا ذلــك الصبــحِ مَطْلِعــا
وأَقصَــرَ ذاك العَهــدَ يَــومــاً وَلَيلــةً؛ وأَطْيَــبَ ذاك العَيــشَ ظِــلاًّ ومــرتَعــا
زمــانٌ تقضَّــى، غيــرَ عهْــدِ مَحــاسِــنٍ، تسُــومُ حَصــاةَ القلــبِ أَنْ تَتَصــدَّعــا
تحــوَّلْــتُ عنــه لا اختيــاراً، ورُبَّمــا وَجعتُ، على طول التَّلَدُّد، أَخدَعا[4]
ومَن لي بِرَدِّ الرِّيح مِن أَبْرَقِ الحِمى، وريَّـا الخُـزامـى مـن أَجـارعِ لَعْلَعـا؟[5]
وقــد فــاتَ ذاك العَهــدُ إِلاَّ تَــذكُّــراً لَـوانـي، علـى ظهـرِ المَطـيِّ، تَـوَجُّعـا
وكُنتُ جَليدَ القلبِ، والشَّملُ جامعٌ، فما انفَضَّ حتَّى حارَ، فارفَضَّ أَدمُعا
وبَلَّــتْ نِجــادي عَبــرةٌ مُستَهِلَّــةٌ، أُكفكِــفُ منهــا بــالبَنــانِ تَصَنّعــا[6]

---

(١) **ذو الغضا**: علم على موضع.
(٢) **الأتيّ**: السيل.
(٣) **المشقّر**: موضع ـ تقشع الغمام: تبدّد.
(٤) **قوله**: لا اختياراً: أي بدون إرادة ـ **الأخدع**: وريد في العنق.
(٥) **الإبرق**: موضع أرضه غليظة ـ **الأجارع**: الأرض الماحلة التي لا تنبت زرعاً ـ **لعلع**: اسم جبل.
(٦) **النجاد**: محمل السيف.

وإنّـي، وعَيني بـالظَّـلام كَحِيلَـةٌ، لآبـي لِجنبِـي أن يُـلائِـم مَضجَعـا
وأُكبِـرُ شـأنـاً أَنْ أرى الصُّبـحَ، أَبْيَضـاً، بعيـنٍ تَـرى رَبْـعَ الشَّبيبَـة بَلْقعـا
كـأنّـي لَـمْ أَذهَـب مـعَ اللَّهـوِ لَيلَـةً؛ ولَـمْ أَتَعـاطَ البـابِلِـيَّ المشَعشَعـا[1]
ولَـمْ أَتَحامـلْ بَيـنَ ظِـلٍّ بسَـرحَـةٍ، وَسَجْـعٍ لغِـرِّيـدٍ، ومـاءٍ بـأجـرَعـا
ولَـمْ أَرْمِ آمـالـي بـأزْرَقَ صـائـبٍ، وأبْيَـضَ بَسَّـامٍ، وأَسْمـرَ أَصْلَعَـا
وأَبلَـقَ خَـوَّار العِنـانِ، مُطَهَّـمٍ، طَويلِ الشَّوى والسَّاق، أَقوَدَ، أَتْلعَا[2]
جَـرى وَجَـرى البَـرقُ اليَمـانـي عَشيَّةً، فـأَبْطـأَ عَنـهُ البَـرقُ عَجـزاً، وأَسـرَعـا
كـأَنَّ سَحـابـاً أَسْحَمـاً، تحـتَ لِبْـدِهِ، يُضـاحِـكُ عَـن بَـرقٍ سَـرى، فَتَصـدَّعـا
وحَسْبُ الأعـادي مِنـهُ أَن يَـزجُـروا بـه، مُغِيـراً، غُـرابـاً صَبَّـحَ الحَـيَّ، أَبْقَعـا
كـأنَّ علـى عِطفَيـهِ، مـن خِلَـعِ السُّـرى، قميـصَ ظَـلامٍ بـالصَّبـاحِ تَـرَقَّعـا
رَكضْـتُ بـهِ بَحـراً تَـدفَّـعَ مـائِحـاً؛ وأَقْبَلَـتُ أُمَّ الـرّألِ نَكْبـاءَ زَعـزَعـا[3]
يُـؤَلِّـلُ مـن أُذنٍ فـأذنٍ تَشـوُّفـاً إلـى صَـرخـةٍ مـن هـاتِـفٍ، أَوْ تَطَلُّعـا[4]
كـأنَّ لـه، مِـن عـامـلِ الـرُّمـحِ، هـاديـاً مُنيفـاً، ومِـن ذُلْـقِ الأَسِنَّـةِ مِسمَعـا[5]
فسَكَّنـتُ منـه بـالتَّغَنِّـي علـى السُّـرى، أُمَسِّـحُ مـن أَعْطـافِـه، فَتَسَمَّعـا
ولمَّـا انتْحـى ذكْـرَ الأَميـرِ استَخَفَّـه، فخَفَّـضَ مـن لَحـنِ الصَّهيـلِ، وَرفَّعـا
حنينـاً، إلـى المَلْـكِ الأغَـرِّ، مُـردِّداً، وشَجْواً، على المَسرى القصِيِّ، مُرجُعا
ففـي حُـبِّ إبـراهِيـمَ أَعـربَ صـاهِـلاً؛ وفـي نصـرِ إبـراهِيـمَ كَـرَّ تَشَيُّعـا
مَلِيـكٌ تَبـاهـى الحَمْـدُ وَشْيـاً مُـذَهَّبـاً بـه، وتَـراءَى المَجـدُ تـاجـاً مُـرَصَّعـاً

---

(١) **البابلي**: خمرة بابل.
(٢) **خوّار العنان**: غير صعب الانقياد ـ **الشوى**: الأطراف ـ **الأقود**: القوي العنق ـ أراد **بالأتلع**: الفرس الطويل العنق.
(٣) **مائحاً**: مختالاً ـ **الرأل**: ولد النعامة ـ **الزعزع**: الريح الشديدة الهوجاء.
(٤) **يؤلّل الشيء**: يحدّد طرفه.
(٥) **الأسنة الذلق**: الحادّة.

غَشيتُ بِه أَنْدى من المُزنِ راحَةً، وأَطْيَبَ أَفْياءً، وأَمْرَعَ مَرْبَعا
طَمى الجُودُ في يُمناهُ بَحراً، ورُبَّما تَدَفَّقَ في أَرجائِها فتَدَفَّعا
وأَعْدى نَداهُ الغَيثَ، فانهلَّ واكِفاً؛ وَحسبُكَ مِن سُقياهُ أَنْ سَجَما مَعا
فرُبَّ حَديثٍ، عن عُلاهُ، سَمِعتُه، وما طائِرُ البُشْرى بأحسَنَ مسمَعا
فيا شائِمَيْ بَرقٍ تَوضَّحَ مَوْهِناً، وَقعقَعَ إرعاداً بنَجدٍ، فأطْعما[1]
إذا كَفَّ، من قطريكما، عارض الندى، وَراقَكُما برقُ البَشاشَةِ، فَارتَعا
فإنَّ أَبا إِسْحاقَ أَخْصَبُ تلعَةً، وأشهى نَدى ظِلٍّ، وأَعْذَبُ مَكرعا
وحَسبُكُما أَنْ قد تَأسَّى به الحَيا، فعاوَدَ من رُحماه ما كانَ أَقلعَا
وعَزَّ الهُدى مِنه بأمجدَ أَوْحَدٍ، طويلِ نِجادِ السيفِ، أَبْلَجَ، أَروَعا[2]
أَحَلَّ به العودَ السَّليبَ، سماحةً، وأَحْرَمَ مَطرُورَ الظِّبا لا تَورُّعا
إذا دَبَّ أَخفى من خيالِ مَكيدةٍ، تَصوَّبَ أَسْرى من شِهابٍ وأَطلَعا
وما السيفُ، من كفِّ الكَميِّ مجرَّداً، بأسطى، وراءَ النَّقعِ، منه وأَسْطَعا
دَعا بِاسمِه داعي الحَفيظة والنَّدى، فلَبَّى على شَرخِ الشَّبابِ وأَهْطعا[3]
وهَبَّ، كما هَبَّ الحُسامُ، شَهامةً؛ وعَبَّ، كما عَبَّ الخِضَمُّ، تبَرُّعا
وجَرَّ بهِ ذَيلَ الخَميس ابنُ غابةٍ، تَرَدَّى غُلاماً بِالعُلى، وتَلَفَّعا[4]
وداسَ العِدى رَكضاً وأَجرى إلى الوغى بأَطْوَعَ من يُمناه فِعلاً، وأَطْبَعا
فلَمْ يُدرَ أَيّ منهما النَّصلُ مَنطِقاً فَصيحاً، وإفرِنداً كَريماً، ومَقطَعا
فشَيَّدَ من ذاتِ المَكارِمِ وابْتَنى؛ ورفَّه في جَنبِ الإلَه وَرفَّعا
وخَفَّضَ من صِيتِ الأبيِّ وصَوتِه؛ وزَلزَلَ مِن رُكنِ العَصيِّ وضَعضَعا
وأَلقَتْ إليه، بالمَقادةِ، قادةٌ، تَطامَنَ، مِن أعناقِها، ما تَرفَّعا

(١) **توضّح البرق**: لمع ـ **موهناً**: في فترة من الليل.
(٢) **طويل نجاد السيف**: كناية عن الفروسية.
(٣) **أهطع إهطاعاً**: أسرع.
(٤) **الخميس**: الجيش ـ **ابن غابة**: كناية عن الأسد، والمقصود ممدوحه.

وذَلّـل، مـن أخـلاقـه، كـلُّ ريِّـضٍ، فأصبَـحَ خَـوَّارَ الشَّكِيمـةِ طَيِّعـاً[1]
فَمَـن مُبْلِـغُ الأيـام عَنِّـيَ أنَّنـي تبَـوَّأتُ منـه، حيـثُ شِئـتُ، تَمَتُّعـا
وطِـرتُ ثَنـاءً، واطَّلعـتُ ثَنِيَّـةً، فـأشْرفتُ إبضاعـاً وأشرفتُ مَـوضِعـا[2]
وهَـل بقِيَـتْ لِلنَّفـسِ إلاّ اطِّـلاعـةٌ إلـى القَلَـمِ الأعلـى، يَخُـطُّ مُـوَقِّعـا؟
فمـا القمـرُ السَّـاري بـأجمـلَ غُـرّةً؛ ولا الـوابِـلُ الغـادي بـأكـرمَ مَصْنَعـا
فهُنِّئـتَ عيـداً، قـد تلقَّـاك، قـادمـاً، ولـم يـكُ لـولا أنْ طَلَعْـتَ لِيَطْلُعـا
وحسبُـكَ جَـدّ قـد أَظَلَّـكَ قـادِمـاً، فمـا هُـو إلاّ أن تقـولَ، فيَسْمَعـا
وحيَّـاك مـن فَـرعٍ لأشـرَفِ دَوحـةٍ، نَسيـمٌ، كـأنفـاسِ العَـذارى، تَضـوَّعـا
يُلاعِبُ، من خُوطِ الأراكة، مَعطِفاً؛ وَيَمْسَح، من مَسرى الغَمامةِ، مَدمَعا

(١٥٦)

إليْكها غرّاء

قال ابن خفاجة هذه القصيدة وكتب بها إلى ابن عائشة

مِـن لَيلـةٍ للـرَّعـدِ فيهـا صَـرخَـةٌ، لا تُستَطـابُ، ولِلحَيـا إيقـاعُ[3]
خَلَعـتْ علـيَّ بِهـا، رِداءَ غَمـامَـةٍ، رِيـحٌ تُهَلهِلُـهُ، هُنـاكَ، صَنـاعُ[4]
والصُّبـحُ قَـد صَـدَعَ الظَّـلامَ، كـأنّـه وجْـهٌ وضـيءٌ، شَـفَّ عنـه قِنـاعُ
فَـرفلْتُ فـي سَمَلِ الـدُّجى، وكـأنّمـا قَـزَعُ السَّحـابِ، بِجـانِبَيـه، رِقـاعُ[5]
وَدفَعتُ في صدر الدُّجى عن مطلَبٍ، بَينِـي وبَيـنَ الـدَّهـرِ فيـهِ قِـراعُ
وقَبَضـتُ ذَيلـي رَغبَـةً عـن مَعشَـرٍ عُـوجِ الطِّبـاعِ، كـأنَّهـم أَضْـلاعُ

---

(١) أصبح خوار الشكيمة: أي بات واهياً وصار سهل الانقياد.
(٢) الثناء: المدح والإطراء ـ الثنية: المكان العالي ـ الإبضاع: مصدر ابضع في حديثه: جعله بيناً وبليغاً.
(٣) الحيا: المطر ـ الإيقاع (هنا): صوت سقوط المطر.
(٤) الصناع: البارعة في صنعتها.
(٥) السمل: الثوب البالي والجمع أسمال ـ قزع السحاب: قطعه.

جـارِيـنَ فـي شَـوطِ العِنـادِ، كـأنَّهُـم	سَيـلٌ، تَـلاطَـمَ مَـوجُـهُ، دَفَّـاعُ
يَـرْمُـونَ أَعطـافِـي بنَظـرَةِ إحنَـةٍ	وُقِدَت ، كما تُذكي ، العُيونَ ، سِباعُ
أَفـرَغْـتُ مـن كِلَمِـي، علـى أَكبـادِهِـمْ،	قَطـراً، لـه أَسْمـاعُهُـمْ أَقمـاعُ
ووَصَلـتُ مـا بَيْنِـي وبَيـنَ مُحمَّـدٍ،	حتـى كـأنَّـا مِعْصَـمٌ وذِراعُ
فظَفِرتُ منه، على المشيبِ، بصاحبٍ	خَلَـفِ الشبـابِ، فلِـي إليـهِ نِـزاعُ
قـد كُنـتُ أُغلِـي فـي ابتيـاعِ وَدادِه،	لـوْ أَنَّ أَعْـلاقَ الـوَدادِ تُبـاعُ[1]
وإليكَهـا غَـرَّاءَ، لَـولا حُسنُهـا	لـمْ تُفتَـقِ الأبصـارُ والأسْمـاعُ
عَبِقَـت بِهـا، فـي كـلِّ كَـفٍّ، زَهـرَةٌ،	فُتِقَـت لهـا، مـن خَمسِهـا، أَقمـاعُ

(١) **الأعلاق**: جمع العلق، وهو النفيس من كلّ شيء.

قافية الفاء

(١٥٧)
طَرْفُهُ فاتِنٌ

أَيَجْنـي، علـى مُهجَتـي، طَـرفُـه، ويُخْضَـبُ مـن دَمِهـا كَفُّـهُ
وتَلْـدَغُنـي تـارةً حيَّـةٌ، هنـاك، يُسـاوِرُهـا رِدفُـهُ[١]
ويَـرْشُـفُ دُونـي لِثـامٌ لـه نَـدَى أُقْحُـوانٍ، حَـلا رَشْفُـهُ[٢]
فسـائِـلْ بِـرامـةَ عـن رِيمِهـا، وهـل ضَـلَّ، عـن سِربِها، خِشفُهُ[٣]
وهـل خـاضَ جَـرعـاءَ وادي الغَضـا، يُـلاعِـبُ، أَفنـانَهـا، عِطْفُـهُ
فـأعـدى أَراكَتَهـا هَـزَّةً؛ وأَرَّجَ، أنفـاسَهـا، عَـرْفُـهُ[٤]
أمـا وهَـوى مِثلِـه جُـؤذُراً، يُطـابِـقُ مَـوصُـوفَـه وَصفُـهُ
لـه نَظَـرٌ، فـاتِـنٌ، فـاتِـرٌ، يَحُـلُّ قُـوى عَـزمَتـي ضُعْفُـهُ
لئـن هَـزَّ، أَعطـافَنـا، حُسنُـه، لقـد بَـزَّ، أَنفُسَنَـا، طَـرْفُـهُ[٥]
وأَقْبَـلَ بـالحُسـنِ إِدبـارُه، يُـلاَعِـبُ، خُـوطَتَـه، حِقْفُـهُ[٦]

---

(١) **الحيّة**: الذؤابة، أي الضفيرة.

(٢) **أراد بالأقحوان**: الأسنان، من باب التمثيل والاستعارة ـ **الرشف**: المصّ بالشفتين.

(٣) **الرامة**: موضع ماء ـ **الخشف**: ولد الظبي.

(٤) **الأراكة**: واحدة الأراك وهو شجر يستاك به ـ **العَرف**: الرائحة ولا سيّما الطيّبة.

(٥) **بزّ أنفسنا**: غلبنا وتفوّق علينا.

(٦) **الحقف**: ما استطال من الرمل والمقصود القامة المديدة.

وحَفَّتْ به الخيلُ خَيَّالةً، فطارَ به، سُرعةً، طِرْفُهُ[1]
وهَشَّ، إلى رَكضِه، ظَهرُه؛ وحَنَّ، إلى كفِّه، عُرْفُهُ
وأَقْوَمُ من رُمحه قَدُّه؛ وأفتكُ من نَصلِه طَرْفُهُ
وكلٌ هناك صريعٌ به، يَرى أنَّ عِيشَتَه حتفُهُ
ألا شفَّ صدْرِيَ عن سِرِّه، كما شَفَّ، عن وجهه، سَجْفُهُ[2]
وخفَّ بقلبيَ فيه الهوى؛ ولاعَب، قُرطانَه، شِنْفُهُ[3]
فهل من سبيلٍ إلى زَورَةٍ يمُنُّ بها، ليلةً، عِطْفُهُ
فيَلوي، من غصنه، هصْرُه؛ ويُمكِنُ، من ورده، قَطْفُهُ
وقد كنتُ أزرِي، على عفَّةٍ، ويُعجِبُني أنني عِفُّهُ

(١٥٨)
صَقيلُ المحلّى والحَلَى

وأغيَدَ مَعسُولِ اللَّمى والمَراشِفِ، صَقِيلِ المُحلَّى والحِلَى والسوالِفِ[4]
أَنَخْتُ به، والبرقُ يهفُو جَناحه، ولِلديمَة الهَطلاءِ حَنَّةُ عاطِفِ[5]
فنادمتُ حُلوَ البِرِّ واللفظِ واللَّمى، جميلَ المُحيَّا والحِلى والعَوارِفِ[6]

(١٥٩)
أرَى الشَّمسَ مَكْسوفَةً

أَطَلَّ، وقد خُطَّ في خَدِّه، من الشِّعر، سَطرٌ دَقيقُ الحُروفِ

---

(١) **الطّرف**: الكريم الطرفين من الخيل.
(٢) **السّجف**: الستار والجمع سجوف، والمراد هنا القناع الساتر للوجه.
(٣) **القرطان**: مثنى القرط وهو الحلق الذي يعلق في الأذن ـ **الشنف**: الحلي الذي يعلّق في أعلى الأذن.
(٤) **المراشف**: جمع مرشف وهو الثغر ـ **المحلّى**: موضع الحليّ.
(٥) **الديمة**: **السحابة الممطرة** ـ **الهطلاء**: التي تهطل الغزارة.
(٦) **البرّ**: الإحسان ـ **اللّمى**: سمرة الشفاه ـ **العوارف**: العطايا جمع المعروف.

فقلــت أرى الشمــسَ مكسُــوفــةً، فَقُــومــوا نُصلِّــي صــلاةَ الكُســوفِ

(١٦٠)
رُبّ يومٍ

ألا رُبَّ يــومٍ لــي بِبــابِ الــزَّخــارِفِ، رقِيقِ حواشي الحُسن، حُلوِ المراشفِ
لهَــوتُ بــه، والــدهــرُ وَسْنــانُ ذاهــلٌ، وغصنُ الصِّباريّانُ، لَدنُ المعاطِفِ(١)
أُعــاطِي تَحــايَا الكــاس، والأنــسُ فِتيةٌ تَخايلُ، سُودَ العُذْرِ بِيضَ السوالفِ(٢)
وذيَــلُ رِداءِ الغَيــمِ يَخْفِــقُ، والصَّبــا تحُــثُّ، ومَــوجّ النَّهـر ضخـمُ الـرَّوادِفِ
يَطيــرُ بِنــا فيــه شِــراعٌ، كــأنَّــه، إذا ضَــرَبتــهُ الــرِّيــحُ، أَحشــاءُ خــائِـفِ
وقد بَلَّ، أعطافَ الرُّبى، دَمْعُ مُزنةٍ، تحَيَّــرَ فــي جَفــنٍ، مــن النَّــورِ، طــارِفِ
زمــانٌ تَــولَّــى بيــن كــأسٍ تليــدةٍ تُــدارُ، وعيــشٍ، للحَـداثَـة، طـارِفِ(٣)
وشمــسٍ كَــلألأءِ الــزُّجــاجــةِ، طلقَــةٍ، وظِــلٍّ كَــرَيعــانِ الشَّبيبــةِ وارِفِ

(١٦١)
في مَنْزِل القَصْفِ

ألا إِنَّ خَفــــضَ العيــــشِ فـــي صَــرخــةِ العَــزفِ،
فجـــرِّرْ ذُيـــولَ اللَّهـــوِ فـــي مَنـــزلِ القَصـــفِ(٤)
وغـــازِلْ بـــه حُلـــوَ الشَّمـــائِـــلِ واللَّمـــى،
شهِـــيَّ الجَنـــى، لَـــدْنَ السَّجيَّـــةِ والعِطـــفِ(٥)
تنَفَّـــسَ بيـــن الـــرَّوْضِ، يَخطِـــرُ، والصَّبـــا؛

---

(١) والدهر وسنان: أي والدهر غافل عنه.
(٢) الصّبا: الشباب ـ الغصن الريّان: الغضّ الطري.
(٣) التليدة: القديمة ـ طارف: حديث.
(٤) القصف: اللهو.
(٥) السجية: الطبع.

وأَشـــرَفَ بيـــنَ الغُصـــنِ، يـــأطُـــرُ، والحِقْـــفِ[1]
وقـــد عطَفَـــتْ، وهنـــاً، بـــه الكـــأسُ هـــاجِـــراً،
ومـــا كنـــتُ أَدري الكـــأسَ مـــن أحـــرُفِ العَطْـــفِ
ونـــاوَلتُـــه صَفـــراءَ لـــم يُـــرَ صِـــرْفُهـــا،
دِهـــاقـــاً، علـــى السَّـــاقـــي، فيَلْحَـــنُ فـــي الصَّـــرفِ[2]
فقلـــت، وقـــد مـــاسَـــتْ بِعِطْفَيـــهِ نَشْـــوةٌ،
فمِـــنْ مُجْتَلـــى حســـنٍ، ومـــن مُجْتَلـــى ظَـــرفِ
أَمَـــا وبيـــاضِ الثَّغـــرِ فـــي سُمـــرَةِ اللَّمـــى،
وحُســـنِ مَجـــالِ السحـــرِ فـــي فَتْـــرَةِ الطَّـــرفِ
لئـــن كنـــتَ بَـــدْرَ التِّـــمِّ حُسنـــاً ورِفْعـــةً،
فـــإِنَّ دُمـــوعَ الصَّـــبِّ مـــن أَنْجُـــمِ القَـــذْفِ[3]

(١٦٢)

مِنْ أَنْجُمِ السَّعْدِ

قال يصف فرساً كريماً أشهب القوى

ومُشْـرِفِ الهـادي، طـويـلِ السُّـرى، ضـافـي سَبِيـبِ الـذَّيـلِ والعُـرفِ
يصـــرِّفُ الفـــارِسُ، فـــي لِبـــدِه، طِـرْفـاً بـه أسـرَعَ مـن طَـرْفِ
مُـــؤَدَّبـــاً لـــو كـــان مُستعبَـــداً، لـــم يَعْبُـــدِ اللهَ علـــى حَـــرْفِ
مـــن أَنجُـــمْ السَّعـــدِ، ولكنّـــه، يـومَ الـوَغـى، مـن أَنجُـمِ القَـذْفِ

(١) بأطر: يتمايل ويتمايس. الحقف: أراد القامة، والحقف أصلاً: ما استطال من الرمل.

(٢) الدهاق: الكأس المترعة ـ ألحن في الصرف: أخطأ.

(٣) الصبّ: المحبّ المشتاق ـ أنجم القذف: هي تلك التي كان العرب يعتقدون أن الشياطين يقذفونها وهم يصعدون لاستراق السمع من الملائكة.

قافية القاف

(١٦٣)
ذكرُك نَفْحَةٌ

وكتب هذه القصيدة إلى ممدوحه الفقيه أبي بكر بن مفوز:

أورى بـــأفقِــك بــارِقٌ يتــألَّـقُ؛ وسَقَــى دِيــارَكَ وابِــلٌ يتَــدفَــقُ[١]
وَتَحَمَّـــلاَ عنـــي إِليـــكَ تحيَّــــةً تَنـدى على نَفَسِ القَبـولِ، وتَعْبَـقُ[٢]
ووُقِيــتُ فيــكَ مــن الليــالـي، إنهـا غِــربـانُ بَيــنٍ بــالتَّفــرُّق تَنعَــقُ
فلقــد نــأى مــا بيننــا: فمُغَــرِّبٌ مُستَـوطِـنٌ ظَهـرَ النَّـوى، ومُشَـرِّقُ[٣]
ولئـن سلـوتَ، ومـا إخـالُـك، نـاسيـاً كــرمَ الإخــاءِ، فــإنَّنــي أتشَــوَّقُ
ويَهيجُنـي نفَـسُ النسيـمِ، إذا سَـرى، ويشُــوقُنــي فيـك الحَمـامُ الأورَقُ[٤]
فــإذا تَطَلَّــع مــن سمــائــك بــارقٌ، أو طــافَ زَورٌ مــن خَيــالِـك يَطـرُقُ
خفَقَـتْ لِـذكـرِك أَضلُعـي، فكـأنّ لـي، فـي كـلِّ جـانِحـةٍ، جَنـاحـاً يَخفِـقُ
وتمَلَّكتنـــي لـــوعَـــةٌ مَشبُـــوبـــةٌ، شـــوقــاً إليــك، وعبــرَةٌ تتــرَقــرَقُ
ولئــن شحَطــتَ، فــإنَّ عهــدَك زهــرةٌ تَنــدى، وذِكـــرَك نَفْحَـــةٌ تُتنَشَّـــقُ

---

(١) أورى (الزند): أخرج ناره ـ الوابل: المطر الشديد.
(٢) نفس القبول: الريح الجنوبية ـ تعبق: تفوح.
(٣) النوى: الفراق.
(٤) الحمام الأورق: الأبيض.

(١٦٤)
يا دَوْحَةَ العَلْياء

قدّم هذه القصيدة إلى ممدوحه أبي بكر بن الحاج:

لِذِكرِكَ ما عبَّ الخَلِيجُ يُصَفِّقُ؛ وباسمِكَ ما غنَّى الحَمامُ المُطوَّقُ
ومن أَجلِك اهتزَّ القَضيبُ على النَّقا، وأشرَقَ نُوَّارُ الرُّبى يتفتَّقُ
وما ذاكَ إلاّ أنَّ خُلْقَكَ رائِقٌ، يُهَزُّ، كما هُزَّ الرَّحِيقُ المُعتَّقُ[(١)]
حسُنتَ غِناءً واجتِلاءً وخِبرَةً، فكُلُّك مومُوقُ الحُلى، مُتَعَشَّقُ[(٢)]
وأنت لُبابُ السَّيفِ أمَّا فِرندُه فطَلقٌ، وأمّا غَربُه فمُذَلَّقُ[(٣)]
فهل علِمتْ تلك الإمارةُ أنَّها يُفاضُ عليها، من رُوائِك، رونَقُ؟
فلا عينَ إلاّ وهْيَ تَظمأُ لوعةً، وإنسانُها، في ماءِ حُسنِك، يَغْرَقُ
وكم مَنطِقٍ فَصْلٍ، هو الدُّرُّ يُجتلى على بحرِ طِرسٍ، أو هُو المِسكَ يُفتَقُ
صدَعتَ به، دون الحقيقةِ، سُدفةً، تنُوب عن الإصباحِ والليلُ مُطرِقُ
ويا رُبَّ ليلٍ بِتَّه فوق مَضجَعٍ مُقِضٍّ، وجَنبٍ قد تقَلَّبَ يَقلَقُ[(٤)]
يقومُ بك القلبُ الأبيُّ، وتارةً يغوصُ بك الفَهمُ الذكيُّ، فتُطرِقُ
فلم تَغتمِضْ، والنجمُ قد مال سَحرَةً، فأغفى، وأذيالُ الظَّلامِ تمَزَّقُ
ولِلَّيلِ ظِلٌّ، قد تقلَّص، أخضَرٌ؛ وللصبحِ ماء، قد تسلْسَلَ، أزرَقُ
وجَدُّكَ يَستَولي، ورأيُك يَنْتَضي، وعزمُكَ يَستَجري، وسَعدُك يَسبُقُ[(٥)]
وما صدَّتِ الحسناء عنك زهادَةً، ولكنْ زَهاها أنَّها تُتَعَشَّقُ[(٦)]

---

(١) **الرحيق**: الخمر ـ **المعتق**: الذي عتّق، أي حفظ زمناً طويلاً حتى بات قديماً معتقاً.
(٢) **مومُوق**: محبوب ومثلها متعشق.
(٣) **الفرند**: جوهر السيف ـ **غرب السيف**: حدّه ـ **مذلّق**: الممدّد الطرف.
(٤) **المضجع المقض**: الخشن النّابي.
(٥) **الجدّ**: الحظ ـ **ينتضي**: مضارع انتضى (السيف): استلّه، أخرجه من غمده ـ **يستجري**: أي يجعل الخيل تجري وتركض.
(٦) **قيل أراد بالحسناء**: القلعة أو البلدة.

فظَلَّــت تَجُـرُّ الــذَّيــلَ تِيهــاً، وإِنَّهــا لأغلَـقُ رَهنـاً، فـي هـواك، وأعلَـقُ[1]
وإلاّ فمــا للقَطــرِ قــد فـاض عَبـرةً، هنـاك، ومـا للرَّعـدِ قـد بـات يَشْهَـقُ؟
تخِـفُّ بهــا ذِكــراك، حتــى كــأنَّمــا يُطِيفُ بها، من مَسِّ حُبِّكَ، أَولَقُ[2]
وتُهـدي إليـكَ الـرِّيـحُ عنهـا تحِيَّـةً، تَفُــوه بمــا تحــتَ الضُّلــوع فتَنطِــقُ
فَغـازِل بهـا، خَلفَ الحِجـالِ، عقِيلةً، قُصــارُ هَــواهــا رَشْفَــةٌ وتعنُّــقُ
يــزُرُّ عَليهــا الصبــحُ جَيــبَ قميصِــه، فتكــرَعُ فــي مــاءٍ بهــا يتــدفَّــقُ
وتَسحَـبُ فيهـا الشمـسُ ذيـلَ عَشِيِّهـا، فتَشــربُ مــن خمــرٍ، هنــاك، تُــروِّقُ
فــدُونكهــا حسنــاءَ لا أَنَّ ربَّهــا قَــلاهــا، ولكــنْ رُبَّ حَسنـا تُطَلَّــقُ
تــروقُ، فمــا تــدري الــرِّكــابُ: أبلـدةً تــؤمُّ بهــا، أم كــوكبــاً يتــألَّــقُ
وتَــأرَجُ أنفــاســاً، وتَنـدى غَضــارةً، فتحسبُهــا نُــوَّارةً تتفتَّــقُ[3]
فَخيِّم بمَثوى المجدِ والسَّعدِ، ناظماً، على نَحرِها، عِقداً، من الخيل، يُنْسَقُ
تَضِيــقُ بــه أنفــاسُهــا ويَــزِينُهــا؛ وأنفِــسْ بــه عِلقــاً يَــزيــنُ ويَخْنُــقُ
فهــل مــن نسيــمٍ قــد تضــوَّع يَنْتَحي مـع الفجـرِ، أيـو بَـرقٍ تـألَّـق يَخفِـقُ؟
يُهنّــيء عنّــي كُــورةَ الشــرقِ إنهــا لبَحــرِك شَــطٌ، أو لشَمسِــك مَشْــرِقُ
تَطــابَقتُمــا مــرأى جميــلاً ومَخبَــراً، فهــا أنتمــا تــاجٌ، يــروق، ومَفــرِقُ
لــك اللهُ مــن سَهــمٍ، يُســدِّدُ سَعيَــه، إذا طــاشَــتِ الألبــابُ، رأيٌ مُــوَفَّــقُ
يهُــزُّ بــه، مــن حِمْيَــرٍ، فــرعَ ســؤدَدٍ، كريمَ الجَنى والظِّلّ، يَسمو ويَسمُقُ[4]
يقلِّــبُ عينــاً للحيــاءِ مــريضــةً تَغُــضّ، وأُخــرى للــذكــاء تُحــدِّقُ

(١) يقال أغلق الرهن: أي صار المرتهن ملكاً للمرهون عنده لعجز الراهن عن افتكاكه ـ يقول: إن هذه القلعة باتت رهينة حب الممدوح وقد تعذر افتكاكها ـ أعلق: أكثر تعلقاً أي حباً وشغفاً.
(٢) الأولق: الهوس الشديد، الجنون.
(٣) النوّارة: الزهرة ـ تتفتق: تتفتح أكمامها.
(٤) حمير: بنو حمير، من قبائل اليمن ـ السؤدد: المجد ـ يسمق ـ يعلو ويرتفع.

لــه همَّــةٌ تُملِــي عليــه، وعــزمــةٌ تَخُــطُّ بــأطـرافِ الـرِّمـاحِ وتَمشُـقُ[1]
تُجـرِّبـه، فـي حـومـةِ الحـرب، حيَّـةٌ تُنَضْنِـضُ، أو فَتْخـا، هنـاك، تُحلِّـقُ[2]
وتَنفـخ ريـحُ النصـرِ فـي قَبَـسٍ بـه، فتَخــرُقُ أَقطــارَ العَجــاجِ، وتُحـرِقُ
وينطِـقُ عـن سيـفٍ، بِفَكَّيـه، صـارمٍ؛ ويـرمُـق عـن سهـمٍ، بجفنَيـه، يَمـرُقُ
ويَصـدعُ شمـلَ الليلـةِ الخَبـلِ، كلمـا بـدا فيلـقٌ مـلءُ الفضـاءِ وفَيْلَـقُ[3]
فناهضْ أَبا يَحيى، بعزمَتك، الصَّبا، تُباري بك العِيسُ المَهاري، فتعْنَقُ[4]
شهـوداً بـأوضـاح المَسـاعـي، كـأنمـا جَرى منك، في صدرِ الكتيبةِ، أبلقُ[5]
وسـايـرْ أخـاك البَـدرَ يُهـوي ويـرتقـي جَـلالاً، ويـربَـدُّ انكشـافـاً ويُشـرقُ
وسُحبُـك شتَّـى مـن عَـذابٍ ورحمـةٍ: فمِــن عـارضٍ يَسقـي وآخـرَ يَصعَـقُ
وكيـف تَهـابُ الليـثَ يَـزأرُ صَـولـةً، فيُــرعِــدُ، أو يَـرنُـو إليـك وَيُبـرقُ
ودُونَـكَ، مـن فَتـقِ المثقَّـف، زُبيَـةٌ تَهـولُ، ومـن خَـرق المهنَّـدِ خَنـدَقُ؟[6]
فخُذها، كما حيَّتْ بها الهندُ مِسكَةً، تعطِّــر أنفــاسَ الــرُّواةِ، فتَعْبَــقُ
وعَنبــرةً شَهبــاء تَحمِــلُ نَفحــةً، تنَفَّــسُ فــي صــدرِ النَّـديِّ فتُنشَــقُ
تُشَــبّ لهـا نفـسُ العـدوِّ، فكلمـا أَرى هــذه تُـذكـى أَرى تلـك تَحـرُقُ
أسَلـتُ بهـا فـي جَبهـةِ الـدَّهـرِ غُـرَّةً، جـرى الحُسـنُ مـاءً فـوقهـا يَتـرقـرَقُ
تُـرِنُّ بهـا الـرُّكبـانُ شـرقـاً ومغـربـاً، فتُشئِـم طَـوراً، بـالثنـاء، وتُعـرِقُ[7]
وحسبُـك مـن شِعـرٍ يكـاد، لُـدونَـةً، يُغنِّــى بــه النبـتُ الهشيـمُ، فيُـورِقُ

---

(١) العزمة: الإرادة الماضية ـ تمشق: تسرع طعنا.
(٢) الفتخا: مخفف الفتخاء، وهي العقاب، من الطيور الجارحة.
(٣) الفيلق: الجيش أو القطعة منه.
(٤) العيس: الإبل ـ تعنق: تسرع وتنشط في سيرها.
(٥) الأبلق: الأبيض.
(٦) الزبية: حفرة تعدّ لقنص الوحوش.
(٧) تشئم: تتجه نحو الشام، وتعرق: تتجه نحو العراق.

فيـا دوحـةَ العليـاء حيَّتـكَ روضـةٌ، عليهـا رِداء، للـربيـعِ، منمَّـقُ
لهـا مـن صَقيـلِ النُّـورِ ثغـرٌ مُفَلَّـجٌ يَشـوقُ، ومـن سَجـعِ الحمـامَـةِ مَنطِـقُ
وها أنا أقريك السلامَ، على النَّوى، مع الريح تَنْدى، أو معَ الطيفِ يَطرُق

(١٦٥)
أَنْفَسُ الأَعْلاق

أَمقـامُ وصـلٍ أَم مَقـامُ فِـراقِ، فـالقُضـبُ بيـن تَصـافُـحٍ وعِنـاقِ
خفَّـاقَـةٌ مـا بيـنَ نَـوحِ حَمـامَـةٍ، هَتَفَـت، ودمـعِ غمـامَـةٍ مُهـراقِ[١]
عبِثَـتْ بِهِـنَّ يـدُ النُّعـامـى سَحـرةً، فـوضَعـنَ أَعنـاقـاً علـى أَعنـاقِ[٢]
أَكسَبْنَنـي خُلـقَ الـوَفـاءِ، وربَّمـا أذكـرنَنـي بَمـواقِـفِ العُشـاقِ
ضَمّـاً ولَثمـاً واستطـابَـةَ نفحـةٍ، وخُفـوقَ أَحشـاءٍ وفيـضَ مـآقِ
فلـوَ انَّ سَـرْحـةَ بَطـنِ وادٍ، بـاللّـوى، حيَّيْتُهـا، تُصغـي إلـى مُشتـاقِ
لنَثَـرتُ بـالجـرعـاءِ عِقـدَ مـدامعـي، ففَضضـتُ خَتـمَ الصَّبـر عـن أغـلاقـي
وأرَقـتُ فضـلَ صُبـابـةٍ لصَبـابـةٍ، فـرفَعـتُ مـا أخلَفـتُ مـن أخـلاقـي[٣]
فـإليـك يـا نَفَـسَ الصَّبـا، فلَطـالمـا أذكـى نَـداكَ حَـرارةَ الأشـواقِ
هـا إِنَّ بـي لَمَمـاً يُـؤرِّقُ نـاظـري ألَمـاً، فهـل مـن نـافِـثٍ، أو راقِ؟[٤]
سِـرِ وادعـاً، لا تَستَطِـرْ قلبـاً هَفـا بجنـاحِ شَـوقٍ، رِشْتَـه، خفَّـاقِ[٥]
وإِذا طَـرَقـتَ جَنـابَ قُـرطُبَـةٍ، فقِـف، فكَفـاك مـن نـاسٍ ومـن آفـاقِ
والثُم يدَ ابنِ أبي الخِصالِ عن العُلى، مُتشكِّـراً، واضْمُمـهُ ضـمَّ عِنـاقِ

---

(١) **المهراق**: المنسكب الذي أريق، من هراق بمعنى أراق.
(٢) **النّعامى**: ريح جنوبية.
(٣) **الصُّبابة**: بقية الكأس ـ **الصَّبابة**: الشوق إلى المحبوب.
(٤) **اللمم**: المسّ من الجنون ـ **النافث**: اسم فاعل من نفث فلاناً: سحره ـ **الراقي**: الذي يستعمل الرقية وهي أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق في قوتها قوى الطبيعة.
(٥) **رشت الجناح**: جعلت له ريشاً، أي ساعدته على الطيران، والعبارة مجازية.

وافتُــق بِنــادِيــه التحيَّــةَ زَهــرةً، نَفَّــاحــةً تُغنــي عــنِ استِنشــاقِ
كــالشمس يــومَ الــدَّجنِ تَنـدى مُجتَنـى ظِــلٍّ، وتحسُــن مُجتَلــى إِشــراقِ[1]
واهــزُزْ بهــا مــن معطَفَيــه، فــإِنَّمــا شَعشَعْتَهــا كــأســاً بيُمنــى ســاقِ
والنَّــورُ يَــرقُــم مــن بســاطِ بَسطــةٍ؛ والغَيــمُ يَنشُــرُ مــن جَنــاحِ رِواقِ
وسِــمِ الحمــامــةَ أن تُجيــبَ تَغَنِّيــاً، عــن منطِــقٍ مــاضٍ، بِلُبِّــي، بــاقِ
مُتَــركِّــبِ عــن نفحَــةٍ فــي لَفحَــةٍ؛ وَكفــاكَ مِــن كــاسٍ، هنــاك، دِهــاقِ
وخِطــابِ بَــرٍّ نــابَ عنــه سِفــارةً؛ إنَّ الخِطــابَ، علــى البُعــادِ، تَــلاقِ
تَنــدى علــى كَبِــدي لُــدُونَــةُ مَنطِــقٍ، فتَقِــي بحُــرٍّ تَــرائــبِ وتَــراقِ
فهنــاك أرْوعُ مِــلءُ رُوعِ المُجتلــي، يَقظــانُ مُــوثَــقُ عِقــدةِ الميثــاقِ[2]
هَــزِجَتْ بــه، هَــزِجَ الحَمــامِ، مَحــامدٌ، حَملــتْ حُــلاهُ مَحمَــلَ الأطــواقِ
لَــدْنُ الحــواشِــي، لــو أطَــلَّ غَمــامــةً لخَــلا مــنَ الإرعــادِ والإبــراقِ
شَــرُفَــت بــه فُقَــرُ الثنــاءِ، وربَّمــا تَتَشَــرَّف الأطــواقُ بــالأعنــاقِ
جــمُّ العُلــى، مَسَحَــتْ بــه كــفُّ العُلى عــن حُــرٍّ وَجــهِ مُطَهَّــمٍ سبَّــاقِ
يُــزهــى بــأعــلاقِ المعــالــي، حِليــةً، إنَّ المعــالــي أَنفَــسُ الأعــلاقِ
طــالَــتْ بــه، رُمــحَ السمــاكِ، يَــراعــةٌ، تستضعِــفُ الجَــوزاءَ شَــدَّ نِطــاقِ[3]
مــا خَــطَّ، مــن غُــررِ الحِسانِ، وضــاءَةً، حتــى استمَــدَّ لهــا مــن الأحــداقِ
مُغــرًى بــأغــراضٍ، تَهُــولُ بــراعــةً، ورَفيــفِ ألفــاظٍ، تشُــوقُ، رِقــاقِ
تَهفــو بــه، طَــوراً، قُــدامــى بــارِقٍ فيهــا، وآونَــةً، جَنــاحُ بُــراقِ[4]
أَقسَمــتُ لــو أَخــذَ الهِــلالُ كمــالَــه عنــه، لتَــمَّ تَمــامَ غيــرِ مَحــاقِ[5]

---

(١) **يوم الدّجن**: يوم المطر الكثير.
(٢) **الروع**: القلب ـ **يقظان**: يقظ، شديد الوعي.
(٣) **السماك**: هو السماك الرامح وهو من برج العذراء ـ **الجوزاء**: من الأبراج.
(٤) **البراق**: هي المطيّة التي امتطاها النبي في ليلة المعراج وهي في الحجم بين الحمار والبغل.
(٥) **المحاق**: آخر الشهر القمري.

وكَفـاكَ مِـن غُصـنٍ، لسَطـرِ بـلاغـةٍ، متَنـــــاســـــقِ الأثمـــــارِ والأوراقِ
مُستبـدِعٍ حُسنـاً، فمـن مَعنًـى لـه حُـرٍّ، ومـن لفـظٍ رقيـقٍ رواقِ[1]
مُتَـولِّـدٍ عـن خـاطـرٍ مُتَـوقِّـدٍ، لهبـاً، وطبـعٍ سَلسـلٍ دَفَّـاقِ
ولـو كـان يُـرهَـفُ صـارِمـاً، لهَـزَزْتُـه فـي مـاءِ إفـرِنـدٍ، لـه، رَقـراقِ

(١٦٦)

أندُب المجْدَ والنّدى

قال هذه المرثية نادباً الوزير أبا محمد عبد الله بن ربيعة:

أَلا ليـتَ لَمـحَ البـارقِ المُتـألِّـقِ، يلُـفُّ ذُيـولَ العـارِضِ المُتـدفِـقِ
ويركَبُ، من ريحِ الصَّبا، متنَ سابحٍ كـريـمٍ، ومـن ليـل السُّرى، ظَهـرَ أبلَـقِ
فيُهـدي إلـى قبـرٍ، بحِمـصَ، تحيَّـةً متـى تَحتَملهـا راحـةُ الـريـح تَعبَـقِ
فعنـدي لحِمـصٍ أيُّ نَظـرةِ لـوعـةٍ، وللنجـمِ، وهنـاً، أيُّ نَظـرةِ مُطـرِقِ[2]
حنـانـاً إلـى قبـرٍ، هنـالـك، نـازحٍ، وشِلـوٍ، عَثـا فيـه البِلـى، مُتمـزِّقِ[3]
وكيـف بِشكـوى سـاعـةٍ أشتَفِـي بهـا، ودونَ التَّـلاقـي كـلُّ بَيـداءَ سَملَـقِ؟[4]
فهـل عنـد عبـد الله مـا بـات يَنطـوي عليـه الحشـا، مـن لـوعـةٍ وتحـرُّقِ؟
وقـد أذكَـرَتنـي العهـدَ بـالأنـس أيكـةٌ، فـأذكَـرْتُهـا نَـوحَ الحَمـامِ المُطَـوَّقِ[5]
وأكبَبْـتُ أبْكـي بيـن وَجْـدٍ، أَظلَّنـي، حـديـثٍ، وعهـدٍ، للشبيبـةِ، مُخلِـقِ
وأنشَـقُ أنفـاسَ الـريـاحِ تعلُّـلاً، فـأعـدَمُ فيهـا طِيـبَ ذاك التَّنَشُّـقِ
ولمَّـا علَـتْ، وجـهَ النهـارِ، كـآبـةٌ، ودارت بـه، للشمـسِ، نظـرةُ مُشفِـقِ

---

(١) **الرواق**: الصفاء.
(٢) **اللوعة**: حرقة الحزن ـ **وهناً**: ليلاً ـ نظرة المطرق: أي نظرة الصامت ورأسه منحن نحو الأرض.
(٣) **عثا فيه البلى**: بالغ في إفساده ـ **البِلى**: من بلي الثوب، أي رثّ.
(٤) **البيداء**: الفلاة جمع بيد ـ **السملق**: القاع الصفصف.
(٥) **الأيكة**: الشجر الكثير الملتف ـ **الحمام المطوّق**: واحدته المطوّقة وهي ذات الطوق.

عطَفتُ على الأجداث أَجهَشُ، تارةً، وأَلْثُمُ، طوراً، تُربَها من تَشوُّقي
وقلتُ لمُغفٍ لا يهُبُّ منِ الكَرى، وقد بِتُّ من وجدٍ بليلِ المؤرَّقِ[1]
لقد صدَعتْ أيدي الحوادثِ شَملَنا، فهل مِن تلاقٍ بعد هذا التَّفرُّقِ؟
وإن يكُ، للخِلَّينِ، ثَمَّ، التِقاءَةٌ، فيا لَيتَ شِعري أَين، أَو كيفَ نلتَقي؟
فأعزِزْ عَلَينا أَنْ تَباعدَ بَينَنا، فلَمْ يَدرِ ما أَلقى ولم أَدرِ ما لَقِي
فها أَنا وقْفٌ بينَ دَمعٍ وزَفرَةٍ، أَرى ذاكَ يُهوي حيثُ هاتِيكَ تَرتَقي
فَسَقياً لِقَبرٍ بينَ أَضلُعِ تُربَةٍ، مَتى أَتَذكَّرْهُ بها أَتَشوّقِ
وألوي ضُلوعي أندُبُ المَجدَ والنَّدى بأفصَحِ دَمعٍ، تحتَ أخرَسَ مَنطِقِ
إذا قُمتُ أخطُو خُطْوةً بِفِنائه، تعثَّرْتُ في دَمعٍ بهِ مُتَرَقرِقِ
ومَهما لَثمتُ الأرضَ شوقاً لِلَحدِه، وجَدتُ ثراها طيِّبَ المتنَشَّقِ
ومِثليَ يَبكي للمُصابِ بِمِثلِه، فإنْ أخلَقَ الصَّبرُ الجَميلُ فأخلِقِ[2]
فقد كانَ، يومَ الرَّوعِ، أبيَضَ صارماً بكفِّي، ويومَ الفَخرِ، تاجاً بِمفرِقي
أغَرُّ طَلِيقُ الوجهِ يهتَزُّ للعُلى، ويَمضي مَضاءَ المَشرَفيِّ المذَلَّقِ
ويَستصحِبُ الذِّكرَ الجَميلَ فيَرتَدي بأحسَنَ مِن وَشيِ الرَّبيعِ، وأَعبَقِ
ويَرمي بِسهمٍ، لا يَطِيشُ، مُفوَّقٍ، يُقَرطِسُ في يُمنى سَعِيدٍ مُوفَّقِ[3]
تَضى بينَ كَفٍّ، للسَّماحِ، مُغيمَةٍ، تَفِيضُ، ووَجهٍ، للطَّلاقَةِ، مُبرِقِ
وكم لِلحَيا مِن أدمُعٍ فيه ثَرَّةٍ؛ وللرَّعدِ من جَيبٍ عليه مُشَقَّقِ
وللبَرقِ مِن قَلبٍ بهِ مُتَملمِلٍ؛ وللنَّجمِ من طَرفٍ عليه مؤرَّقِ
كأنْ لمْ أَشِم، من بِشرِه، بَرقَ مُزنَةٍ، تَصُوبُ بِوكَّافٍ، من الجود، مُغدِقِ[4]
ولا قِلتُ منهُ بينَ ظِلٍّ لعَطفَةٍ تنَدَّى، ونَورٍ، للبَشاشَةِ، مُونِقِ

---

(١) **المغفي**: النائم ـ **الكرى**: النوم ـ **المؤرق**: الذي لا ينام.
(٢) **أخلق الصبر**: صار خلقاً بالياً أي انعدم ـ **أخلِق**: أي أجدر به أن يكون كذلك.
(٣) **يقرطس**: يحقّق غرضه.
(٤) **الجود المغدق**: العطاء المتّسع.

ولـم أَلْتَفِت مـن وَجهِـه، لَيلَـةَ السُّرى، إِلــى فيلَــقٍ يَلقــى الظَّــلامَ بِفيلَــقِ
فمــا ابــنُ شَمــالٍ بــاتَ يَهفـو، كـأنَّمـا به، خَلفَ أستار الدُّجى، مسُّ أَوْلَقِ[1]
سَرى بينَ دفَّاعٍ، من الوَدق، مُغدِقٍ، يَسُــحُّ، ولَمَّــاعٍ، مــن البَـرقِ، مُحـرِقِ
بـأنـدى ذُيـولاً مـن جُفـونِيَ، مَـوهناً، وأهفـى جَنـاحـاً مِـن ضُلُـوعـي وأخفَـقِ

(١٦٧)

ثِمارُ النّارِنْج

ومَحمُــولَــةٍ فــوقَ المنــاكِــبِ، عِــزَّةً، لها نَسَبٌ، في رَوضةِ الحَزن، مُعرِقُ[2]
رأَيــتُ بمــرآهــا المُنــى كيـف تَلتَقِـي، وشَمْــلَ ريــاحِ الطيِّــبِ، وهْــي تَفــرَّقُ
يضاحِكُها ثَغرٌ، من الشمس، واضِحٌ، ويَلحَظُهــا طَــرفٌ، مــن المــاءِ، أَزرَقُ
وتُجْلــى بهــا للمــاءِ والنــارِ صُــورةٌ، تَـرُوقُ، فطـرَفـي حيـثُ يَغـرَق يُحـرقُ[3]

(١٦٨)

تَخالُ خِيلانَه كواكِب

غــازَلْتُـه مــن حبيــبٍ، وجهُــه فَلَــقٌ، فمــا عــدا أَنْ بَــدا فــي خــدِّه شَفَــق[4]
وارتَــجَّ يعثُــر فــي أَذيــالِ خَجْلَتِــه، غُصـنٌ، بعِطفَيـه، مـن إِستَبـرَقٍ ورَق[5]
تخــالُ خِيــلانَــهُ، فــي نــورِ صفحَتــه، كواكباً، في شُعاعِ الشمسِ، تحترق[6]
عجِبـتُ، والعيـنُ مـاءٌ والحَشـا لهَـبٌ، كيـفَ التقَـتْ بهمـا، فـي جنَّـة، طُـرُق

(١) الدجّى: الليل ـ مسّ أولق: مسّ الجنون.
(٢) الحزن: المكان المرتفع ـ المعرق: ذو النسب المتأصل.
(٣) النار: أراد لون النار وهو لون ثمار النارنج الحمراء المعروفة بليمون أبو صفير.
(٤) الفلق: اشراقة الصبح ـ الشفق: احمرار الأفق عند الغروب.
(٥) الاستبرق: الثياب الحريرية.
(٦) الخيلان: جمع الخال وهو عبارة عن الشّامة في الخد أو موضع آخر من الجسم.

(١٦٩)
عِنْدي لوعَةٌ

يـا مُتـرَفـاً يَمشـي الهُـوَينـا، غِـرَّةً، ويَهُـزُّ أَعطـافَ القضِيـبِ المُـورِقِ[١]
جَمعَــتْ ذُؤابتُــه ونُــورُ جَبينِــه بيـنَ الـدُّجُنَّـةِ والصَّبـاحِ المُشـرِقِ
هـل كـان عنـدَكَ أَنَّ عنـدي لَـوعـةً، يَنبُـو لهـا طَـرفُ السِّنـانِ الأزرَقِ[٢]
طـالَـتْ مُـراقَبَـةُ الخيـال، ودُونـه، رَعْـيُ الـدُّجـى، فمتـى أَنـامُ فنَلتَقـي
مـا بيـن نَحـرٍ بـالـدمـوعِ مُقلَّـدٍ فـرحـاً، وجِيـدٍ بـالعِنـاقِ مُطَـوَّقِ

(١٧٠)
تذوبُ عَلَيْها الحَدَقُ

لِيَهنَــكَ وافِــدُ أُنْــسٍ سَــرى، فســرَّى، وفَضْــلُ سُـرورٍ طَـرَقْ[٣]
فمــا شِئــتَ مــن مــاءِ وِردٍ بــه أَراقَ، ومــن ثــوبِ حُســنٍ أَرَقّ
وسَــوداءَ تَــدمــى بــه مَنْحَــراً، كمــا اعتَـرَضَ الليـلُ تحـتَ الشفَـقْ
وأُقسِــمُ لــو مُثِّلَــتْ، ليلــةً، لعِفْــتُ الكــرى واستطَبــتُ الأرَقِ
ستَخلَــعُ، مــن فَـروِهــا، ضَحــوةً، ســوادَ الـدُّجـى عـن بيـاضِ الفَلَـقِ
فيــا حُســنَ حَضْــرٍ لهــا أَحمــرٍ، ومِئــزَرِ شَحــمٍ عليــه يَقَــقْ[٤]
ومــا رفَلَــت فــي قميـصِ الظَّــلام، ولا اشتَمَلَــت بِــرداءِ الغَسَــقِ
ولكــن تَسِيــلُ عليهــا القُلــوبُ هــوًى، وتــذُوب عليهــا الحَـدَقِ[٥]

(١) **يمشي الهوينا**: أي متمهلاً ـ **الغرّة (هنا)**: الغرور ـ **القضيب المورق**: القامة الهيفاء.
(٢) **اللوعة**: حرقة الحزن ـ **ينبو لها**: يتعثّر دونها.
(٣) **سرى**: سار ليلاً ـ **سرّى (عن فلان)**: أذهب عنه الهمّ والحزن.
(٤) **اليقق**: الأبيض.
(٥) **الحدق**: العيون.

(١٧١)
ابتَسَمتْ عن فَلَق

تجـــرَّدَتْ عـــن غَسَــقِ، وابتسمَـــتْ عـــن فَلَـــقِ[١]
وأَمكَنَـــتْ مـــن خُلُـــقِ، مُلتَهِـــبٍ، محتـــرقِ
ثـــم نَضَـــت، تَعثـــرُ فـــي فَضلـــةِ بُـــرْدٍ شَـــرِقِ[٢]
كمـــا تـــوَلَّـــت لَيلـــةٌ تَسْحَـــبُ ذَيـــلَ الغَسَـــقِ

(١٧٢)
أَحْشاؤُها تَخْفِقُ

ولُجَّـــةٍ تُفْـــرَقُ أو تُعشَـــقُ، فمـــا تَنـــي أَحشـــاؤُهـــا تَخفِـــقُ[٣]
يسيـــرُ فيهـــا ســـائـــرٌ هـــاجَهـــا مـــن الصَّبـــا، مُـــزبِـــدُه يُقلِـــقُ[٤]
فَخِلتُنـــي، فـــي وسطهـــا، فـــارســاً قُـــرِّبَ منـــه فـــرسٌ أَبْلَـــقُ[٥]

(١٧٣)
لَهَوْتُ بها

صَحا، عَنِ اللهوِ، صاحٍ عافَهُ خُلُقاً، فقـامَ يَخْلَـعُ سِـربـالاً لـهُ خَلَقـا[٦]
وعطَّـلَ الكـأسَ مِـن شقـراءَ سـابحـةٍ، أَلا كَفـاهـا بِـرَيعـانِ الصِّبـا طَلقـا[٧]
ورُبَّ لَيلَـةِ وَصـلٍ قـد لهَـوتُ بهـا، مُغـازلاً فَلَقـاً، أو شـاربـاً شَفَقـا

---

(١) **الغسق**: أول ظلمة الليل ـ **الفلق**: طلعة الصبح.
(٢) **نضت (الثوب)**: خلعته ـ البرد: الثوب ـ البرد الشرق: الثوب المشرق، ذو اللون الزّاهي.
(٣) **تفرق**: يفزع منها، من الفرق وهو الخوف والفزع ـ **تخفق**: تختلج.
(٤) **هاجها**: أثارها، حرّكها ـ **الصّبا**: ريح الصّبا.
(٥) **الأبلق**: الفرس الذي في لونه بياض وسواد.
(٦) **الخُلُق**: الطبع ـ **الخلق**: البالي.
(٧) **الطلق**: الشوط، المدى.

لا نَنْثُرُ الدُّرَّ فيه، بيننا، كَلِماً | حتى أُقبِّلَه، من مَبِسمٍ، نَسَقا[1]
ورُبَّ غُرَّة عَبْرى قد شَرِقتُ بها، | في مَوقفٍ للنَّوى أَضرَمْتُه حُرَقا[2]
تَخالُ ما احمَرَّ من خدَّيهِ مُلتَهِباً | بها، وما اسوَدَّ من صُدغَيهِ مُحتَرِقا

(١٧٤)
لا هَوادَة

من موقفٍ أفصَحَتْ بِيضُ السيوفِ به، | فلا هَوادَةَ بينَ السَّيفِ والعُنُقِ
فكم أنابيبِ خَطِّيّ به كُسِدَت، | تَدمى، وكم سَلخِ درعٍ، بَينها، مَزِقِ[3]
وكم كُؤوسٍ من البأساءِ دائرةٍ | على نديمٍ، من الأبطالِ، مُغتَبِقِ
والخيلُ تَفري جُيُوبَ النَّقعِ من حَرَبٍ، | تحتَ الكُماةِ، وتُذري أَدمُعَ الفَرَقِ[4]
من أَشهَبٍ شَقَّ عنه النَّقعُ هَبْوَته، | كما تَفَرَّى أديمُ اللَّيلِ عن فَلَقِ[5]
وأَدهَمٍ فَضَّضَ التَّحجيلُ أَكرُعَه، | كما تَعَلَّقَ بدءُ الصُّبحِ بالغَسَقِ[6]
وأشقرٍ سائلٍ، في وجهِه وضَحٌ، | كما تصَوَّبَ نَجمُ الرَّجمِ في الشَّفَقِ[7]

(١٧٥)
لكلّ مرْقَبةٍ لواءُ

يا حبّذا، والبرقُ يزحَفُ بُكرةً، | جيشاً رَحيقٍ، دونه، وحَريقِ[8]

---

(١) نثر الدر نسقاً: أي منظوماً.
(٢) عبرى: أي العين الدامعة.
(٣) أراد بأنابيب خطي: الرماح التي تصنع في بلدة الخطّ، من مرافىء البحرين ـ السلخ: الجلد ـ المزق: المطعون، المشقق.
(٤) النقع: الغبار ـ الكماة: جمع كمي الفارس اللابس السلاح ـ أدمع الفرق: أدمع أو دموع الخوف.
(٥) الهبوة: الغبار ـ تفري: تقطع، تمزق ـ الفلق: طلعة الصبح.
(٦) التحجيل: أن يكون في قوائم الفرس بياض.
(٧) الوضح: البياض.
(٨) الرحيق: الخمر.

حتـــى إذَا ولّـــى، وأسلَـــم، عَنْـــوةً، مـــا شِئـــتَ مـــن سهـــلٍ وذُروة نِيـــقِ[1]
أخـــذَ الـــربيـــعُ عليـــه كـــلَّ ثَنِيَّـــةٍ، فبِكُـــلِّ مَـــرقَبَـــةٍ لـــواءُ شَقِيـــقِ

(١٧٦)

يبوحُ بسرّ اللّيل

تحلَّت به، من كوكبٍ، لَبّة الدجى؛ وحفَّ به طرفٌ، من الليل، أَبلَقُ[2]
وبـــتٌّ، وعنـــدي للصبـــاح مُـــلاءَةٌ، تَـــرُوقُ، وجَيـــبٌ، للظـــلام، يمـــزَّقُ
يُشـــافهُنـــي منـــه لســـانُ ابـــنِ رملَـــةٍ، يبُـــوح بسِـــرِّ الليـــلِ، والليـــلُ مطـرِقُ[3]
ويَنْحـــرُ دونـــي، جِنـــحَ كـــلِّ دُجُنَّـــةٍ، سِنـــانٌ صَقِيـــلٌ، لِلـــذُّبـــالـــةِ، أَزرَقُ[4]

(١٧٧)

مَنْ يوثَقُ

لاَ تُـــودِعَـــنَّ، ولا الجَمـــادَ، سَـــرِيـــرَةً، فمِـــنَ الصَّـــوامِـــتِ مـــا يُشيـــرُ، فيَنطِـــقُ
وإِذا المِحَـــــكُّ أَذاعَ سِـــــرَّ أَخٍ لـــــه، فـــانظُـــر، فَـــدَيْتُـــك، مـــن تُـــراهُ يُـــوثَـــقُ

(١٧٨)

الصغيرة تجرُّ عظِيمَةً

قُـــلْ مـــا تشـــاءُ بمَحفِـــلٍ أو مَجهَـــلٍ، واخـــزُنْ لسانَـــك عـــن مَقـــالٍ يُـــوبِـــقُ[5]
إنَّ الصغيـــرةَ قـــد تَجُـــرُّ عظيمـــةً، ولـــربمـــا أودى، بِشـــاهٍ، بَيْـــدَقُ[6]

---

(١) النيق: أعلى قمة في الجبل.
(٢) اللبّة: موضع القلادة من الصدر، والكلمة مأخوذة من لبّ الشيء أي خالصه ـ الأبلق: الأبيض.
(٣) أراد بلسان ابن رملة: القلم. سميّ القلم كذلك لأنه متخذ من القصب الذي ينبت في أرض رملية.
(٤) يصف ذبالة السراج فيشبهها بالسنان ويقول إنّ لسان نار السراج يذبح مبدداً جناح الظلام من حوله.
(٥) يوبق: يهلك.
(٦) أودى به: أهلكه ـ الشاه والبيدق: من حجارة الشطرنج.

(١٧٩)

أَتُرى غَيَّرتْك

من شعره في مداعبة بعض الأخوان

قُـلْ للمُقِيـمِ مـع النُّفـوس عَـلاقَـةً: يــا راكِبـاً ظَهْـرَ المَطِـيِّ بُـراقـا[١]
لِـمْ صِرتَ تَـرغَـبُ عـن سجايا حُـرَّةٍ، قـد كُنـتَ مُقتَنِيـاً لهـا أَعـلاقـا
أَتَمُـرُّ لا تَلْـوي علـى مَثْـوى أخـي ثِقـةٍ، ولا تقِـفُ الـرِّكـابَ فُـواقـا؟[٢]
أتُـرى الـوِزارةَ غيَّـرتـكَ خَليقـةً؛ إنَّ الـوزارة تنقُـلُ الأخـلاقـا

(١٨٠)

قُلْ للحميم

بعث هذه المنظومة إلى أبي عبد الله محمد بن عائشة يدعوه لمجلس أنس ويصف له حال صديق لهما عزت معالجته:

يــا هِــزَّةَ الغُصْـنِ الـوَرِيـقِ، وبَشـاشـةَ الـرَّوضِ الأنيـقِ
أأتَتْكُمـا بُشـرى بسُقيـا، أم سَـلامٌ مـن صـدِيـقِ
فهـزَزتَ مـن عِطْـفِ نَـدٍ، وسَفَـرتَ عـن وجـهٍ طَلِيـقِ
ولقـد أقـولُ، إذا سَـرى بَيـنَ الأقـاحِـي والشَّقيـقِ
بـالله يـا نَفَـسَ الصَّبـا: حـيِّ الصـديـقَ عـن الصـديـقِ
قُـلْ للحبيـبِ، بـلِ الحَميـمِ، بـلِ الشَّفيـقِ، بـلِ الشَّقيـقِ
يـا مُلتَقـى الخُلـقِ الشَّـريـفِ، وهِشَّـةَ الـوَجـهِ الطَّليـقِ
إنَّ النَّجـاةَ بَعِيـدةٌ، فـاسلُـك بِنـا قَصـدَ الطَّـرِيـقِ
واركُـضْ بِنَـا رَكضـاً حَثِيثـاً، فيـهِ، عَـن نَظَـرٍ دَقِيـقِ[٣]
فلِمِثلِهـا مـن شِقَّـةٍ، أَعـدَدتُ مِثلَـكَ مـن رَفيـقِ

---

(١) أراد بالبراق المطية السريعة.

(٢) الفواق: البرهة القصيرة من الزمن. ـ الهشة: البسمة من هش تبسّم وخف للمعروف.

(٣) الركض الحثيث: السريع الجاد.

فـــارْغَـــبْ بِنَفسِـــكَ عـــن مَكـــانٍ، قـــد نُبِـــذتَ بـــه، سَحِيـــقِ[1]
واركَـــبْ بنـــا اللَّفـــظَ الجَليـــلَ، وسِـــر إلـــى المَعنـــى الـــدَّقِيـــقِ
وامسَـــحْ قَـــذى طَـــرْفٍ بـــه، يَمتَـــدُّ فـــي فَـــجٍّ عَميـــقِ
وشُـــبِ الـــوَعِيـــدَ بِمَـــوعِـــدٍ، فـــالمـــاءُ يُمـــزَجُ بـــالـــرَّحِيـــقِ
وتَـــلافَ، مـــن بَحـــرِ الشَّكـــاةِ، أخـــاً يَمـــدّ يـــدَ الغَـــرِيـــقِ
لا بـــالسَّقِيـــمِ ولا الصَّحِيـــح ولا الأسِيـــرِ ولا الطَّليـــقِ
لَـــوْ جِئتَـــه فَفجـــأتَـــهُ لأقَـــلَّ جَفـــنَ المُستَفِيـــقِ
لا تَبخَلَـــنَّ بنَفحَـــةٍ، وثَـــراكَ مِـــن مِســـكٍ فَتِيـــقِ
وارْبَـــع بِـــوادٍ، عُشبُـــه خَضِـــلٌ، ونَـــمْ فـــي رأسِ نِيـــقِ[2]

لَوْلاك

كتَبـــتُ، وقـــد خَصِـــرَتْ راحتـــي، فهـــل مـــن حَـــريـــقٍ لكـــاسِ الـــرَّحيـــقِ
وقـــد أعـــوَزَت نـــارُهـــا، جُملـــةً، فلـــولاك شبَّهتُهـــا بـــالصـــديـــقِ

(١٨١)

يا راكِضاً . . .

يـــا راكِضـــاً فـــي شَـــوطِ كـــلِّ سيـــادةٍ، أعْيـــا تَـــرَسُّلُـــه الـــرِّيـــاحَ لَحـــاقـــا
مُتيَقِّظـــاً تَنـــدى حـــواشِـــي لَفظِـــه، سَلَســـاً، ويَلفَـــحُ فَهمُـــه إحـــراقـــا
مـــا حـــامِـــلٌ خُطَـــطَ المَهـــابَـــةِ خـــامِـــلٌ، مـــا قـــامَ فـــي العَليـــاءِ يَنقُـــلُ ســـاقـــا
مُتعـــذِّبٌ مـــا زالَ يَضـــرِبُ يَـــومَـــه كَـــدّاً، ويُحنِـــقُ لَيلَـــهُ إسْفـــاقـــا[3]
مـــا إنْ يَسيـــرُ مـــعَ الصَّبـــاحِ لِشـــأنِـــه، حتـــى يَشُـــدَّ مـــعَ النُّفـــوسِ نِطـــاقـــا

---

(١) المكان السحيق: النّائي، البعيد.
(٢) النيق: أعلى قمم الجبل.
(٣) الإسفاق من أسفق وسفق فلاناً: لطمه والباب رده.

قافية الكاف

(١٨٢)

سوّاك فعدَّلك

كفى حكمةً للهِ أنَّكَ صائرٌ ... تُراباً، كما سوَّاكَ قَبلُ، فعدَّلَكْ[1]
وإنْ شئتَ مَرأى كيفَ كَوَّنَ ثانياً، ... فدُونَك، فانظرْ كيف كَوَّنَ أوَّلَكْ
فهلْ أنتَ، في دار الفَناءِ، مُمَهَّدٌ، ... مَحلُّكَ، في دار البقاء، ومنزِلُكْ؟

(١٨٣)

نامَ مِنّي ظالِمٌ

كتب الشاعر هذه الأبيات إلى الأمير أبي بكر:

أوَجهُك بسَّامٌ وطَرفيَ باكِي؛ ... وعَدلُكَ موجودٌ ومِثليَ شاكِي
وتَأبى اهتِضامي، في جَنابك، هِمَّةٌ ... تهُزُّكَ هزَّ الرِّيح فَرعَ أَراكِ[2]
وقد نام منّي ظالمٌ ليَ ذاعِرٌ، ... فيا هَبَّةَ السيفِ الحُسامِ دَراكِ[3]

(١٨٤)

أوجَعْتِ قَلْباً

يا مُنيَةَ النَّفسِ حسبي، مِن تشكِّيكِ، ... أني أُصابُ، وكفُّ الدهرِ تَرميكِ

---

(١) عدّلك: سوّاك.

(٢) الأراك: شجر يستاك به، واحدته أراكة.

(٣) الذاعر: المخيف المثير الذعر ـ دراك: اسم فعل أمر بمعنى ادركي الظالم المعتدي.

ولـو تَسـامـحَ خَطـبٌ في فِـدائِـك بـي، لكُنتُ، مهمـا عَـرا خطـبٌ، أُفَدِّيـكِ[1]
وكيـف أُغفِـي بِلَيـلٍ تسهَـريـن بـه، أَو أَستَسِيـغُ شـرابـاً ليـسَ يُـروِيـكِ؟
هُنَيـدَ أَوجَعـتِ قلبـاً قـد أَقمـتِ بـه، ما بالُ طرفي، وما يُدرِيك، يَبكيكِ
فـرُبَّ لُـؤلُـؤِ دمـعٍ كنـتُ أَذخَـرُه عِلقـاً أُغـالـي بـه، أَرخَصتُـه فيـكِ
وإِن نـأى بـكِ رَبـعٌ غيـرُ مُقتَـرِبٍ، أَوِ احتَـواكِ حِجـابٌ فيـه يُقصِيـكِ[2]
فـإِنَّ كـلَّ نسيـمٍ، خـاضَـهُ أَرِجٌ، رسـولُ شـوقٍ، أتـى عنّـي يُحيِّيـكِ
وربمـا شَفَعـتْ لـي غَفـوَةٌ نَسَخـتْ أُخرى الظـلامِ، فبـاتَ الطيـفُ يُدنيـكِ

(١٨٥)
الماءُ يضحَكُ

ومُرَقْرَقُ الإفرِندِ يمضي في العِدا، أبـداً، فَيَفْتُـك مـا أَرادَ ويَنسُـكُ[3]
فكـأنَّـه، والمـاءُ يضحـكُ فـوقَـه، جـذْلانُ، يَبكـي للسُّـرورِ ويَضْحَـكُ[4]

(١٨٦)
يَهْتَزُّ ويَضْحَكُ

وأَبيضَ عَضبٍ حالفَ النَّصرَ صاحباً، يَكادُ، ولـم يُستَلَّ، يمضي فيَفْتُكُ[5]
يُبَشِّـرُهُ بـالنصـرِ إرهـافُ نَصلِـه، فيهتـزُّ فـي كـفِّ الكَمـيِّ ويضحَـكُ

---

(١) **عراه الخطب**: أصابه، **والخطب**: الشأن صغر أو عظم، وأكثر استعماله للأمر العظيم المكروه.
(٢) **يقصيك**: يبعدك.
(٣) **الإفرند**: جوهر السيف.
(٤) **جذلان**: فرح.
(٥) **الأبيض العضب**: السيف القاطع ـ استلّ السيف: جردّ من غمده.

(١٨٧)

يَنْدى نورُ ذِكْرك

يصف ابن خفاجة محاسن الحبيب من نافذة الذكرى . .

يـــــا رُبَّ ليـــــلٍ بِتُّـــــه، وكـــأنَّـــه مِـــن وَحـــف شَعـــرِكْ[(١)]
تَنهَـــلُّ مُـــزنـــةُ دَمْعَتـــي، فيـــه، وينـــدى نَـــوْرُ ذِكـــرِكْ[(٢)]
أتبعـــتُ فيـــه، وقـــد بكيـــتُ، عقِيـــقَ خـــدِّك دُرَّ ثغـــرِكْ
وشـــرَقـــتُ فيـــك بِعَبـــرةٍ، قـــد ورَّدَتها نـــارُ هجـــرِكْ[(٣)]
فكـــأنَّمـــا ينفـــضُّ، عـــن حَبَـــبٍ لهـــا، رُمّـــان صَـــدرِكْ
ولـــرُبَّ ليـــلٍ، قَـــد صـــدَعـــتُ ظـــلامَـــه بجبيـــنِ بـــدرِكْ[(٤)]
ولهـــوتُ فيـــه بِـــدُرَّةٍ مكنـــونـــةٍ فـــي حُـــقِّ خِـــدرِكْ[(٥)]
تنـــدَى شَقـــائـــق وجنتَيْـــك بـــه، وتَنفَـــحُ ريـــحُ نشـــرِكْ
وقـــد استـــدارَ، بصفحَتـــيْ سُـــوســـانِ جيـــدِك، طَـــلُّ دُرِّكْ[(٦)]
حيـــث الجبـــابـــة دمعـــة، تجـــري بـــوجنـــة كـــاس خمـــرِكْ
وتهـــزُّ منـــك، فتثنـــي بقضيـــب قـــدِّك ريـــحُ سكـــرِكْ
وتُعـــبُ، مـــن رجـــراج ردفـــك، مـــوجـــةٌ فـــي شـــط خصـــرِكْ

---

(١) الشعر الوحف: الكثيف.
(٢) المزنة: المطر.
(٣) العبرة: المدعة.
(٤) صدع الظلام: اخترقه وشقّه.
(٥) الحُقّ: الوعاء، شبه النهد بالحق وقد سبق عمرو بن كلثوم إلى هذا التشبيه حين قال في المعلقة:

وثـــديـــا مثـــلَ حُـــقّ العـــاجِ رخْصـــا حَصـــانـــاً مـــن أكـــفّ الـــلاّمسينـــا

(٦) الجيد: العنق. الطلّ: النّدى.

قافية اللام

(١٨٨)
يميلُ إلى مِثْلِهِ

جميـــلٌ يَميـــلُ إِلـــى مِثلِـــهِ، فيَشفَـــعُ مـــرآهُ فـــي وَصلِـــهِ
رَمـــى نـــابـــلٌ منهمـــا نـــابـــلاً يُنـــاغيـــهِ والنَّبـــلُ مـــن نَبلِـــهِ[(١)]
ويَنظُـــرُ منـــه إِلـــى جَنبِـــه، كمـــا نَظَـــر الظَّبـــيُ مـــن ظِلِّـــهِ

(١٨٩)
غازَلْتُهُ

نهـرٌ، كمـا سـال اللَّمـى، سلسـالُ؛ وصبـاً بَليـلٌ، ذَيلُهـا مِكْسـالُ[(٢)]
ومَهـبُّ نَفحـةِ رَوضـةٍ مطلـولـةٍ، فـي جَلهَتَيهـا، للنسيـم، مَجـالُ[(٣)]
غـازَلتُـه، والأقحـوانـةُ مَبسِـمٌ، والآسُ صُـدغٌ، والبنفسـجُ خـالُ
ووراءَ خفَّـاق النِّجـاد ضُبـارِمٌ، يَسـري بـه، خلـفَ الظـلام، خَيـالُ[(٤)]
ألقى العَصا، في حيثُ يعثُر بالحَصَى نهـر، وتَعبـثُ بـالغُصـونِ شَمـالُ

---

(١) أراد بالنّبل: لحاظ العين.
(٢) الصبا: الريح اللينة الناعمة.
(٣) المطلولة: المخضّلة بالطلّ وهو النّدى ـ الجلهة: الجهة المقابلة من الوادي.
(٤) الضبارم: الأسد، شبه به نفسه.

وكـأنَّ مـا بيـن الغُصـونِ تَنـازُعٌ ... فيـه، ومـا بيـنَ المياه جِدالُ
وأَربَّ يَبـرُدُ، مـن حَشـاه، مَكـرَعٌ ... خَصِـرٌ، يَسِـحُّ، وتلعَـةٌ مِخضـالُ[1]
مـا بيـن روضـةِ جَـدولَيـن، كـأنما ... بُسِطَـتْ يميـنٌ منهمـا وشِمـالُ
مثـلُ الحُبـابِ، بمُنحَنـاهُ ذُؤابـةٌ، ... خَفَّـاقـةٌ، حيـثُ الـرُّبـى أكفـالُ[2]
وانسَـابَ ثـانـي مَعطِفَيـه، كـأنـه ... هَيمـانُ، نشـوانٌ، هنـاك، مُـذالُ[3]
أَو ظِـلُّ أَسمـرَ بـاللِّـوى مُتـأطِّـرٌ، ... عَطَفَـتْ جَنـوبٌ مَتنَـه وشمـالُ[4]
لـم أدرِ هـل يُـزهـى، فيَخْطُـر نَخـوَةً، ... أم لا عَبَـتْ أَعطـافَـهُ الجِـرْيـالُ[5]
فـإذا استَطـار بـه النَّجـاءُ، فنَيـزَكٌ؛ ... وإذا تهـادى، فـالهِـلالُ هِـلالُ
زُرَّت عليـه جُبَّـةٌ مَـوشِيَّـةٌ، ... بمَقيلِـه، أُخـتٌ لهـا أَسْمـالُ[6]
مـزَقٌ كمـا يَنقَـدُّ، فـي يـوم الـوَغـى، ... عـن لَبَّتَـيْ مُستَلئِـمٍ، سـربـالُ[7]
أَلقـى بـه منهـا، هنـالـك، دِرعَـه، ... بطَـلٌ، وجَـرَّد، وشيَـه، مُختـالُ
بيَـد الهجيـرة منـه سـوطٌ خـافـقٌ؛ ... وبِسـاقِ لَيلَـةِ صَـرْصَـرٍ خَلخـالُ[8]
فَـدَلَفْـتُ يقْـدُمُ بـي، هنـاك، ضُبـارِمٌ، ... ضـارٍ، لـه، بعَمـايـةٍ، أَشبـالُ[9]
شَيحـانَ، لا أَرتـابُ مـن هَلَـعٍ، ولا ... أغتـابُ مـن طبـعٍ، ولا أغتـالُ[10]
مُتَخـايـلاً أمشـي البَـرازَ، ودُونَـه، ... مـن أرقَـم، سِـدرٌ أَلـفُّ وَضـالُ[11]

---

(١) **أربّ**: أقام في المكان ـ **الخصر**: البارد ـ الخضال: المخضّلة بالنّدى.
(٢) **الحباب**: الحية ـ **الأكفال**: جمع كفل الردف، العجز.
(٣) **المذال**: ذو الذيل الطويل.
(٤) **متأطر**: اسم فاعل من تأطر: أي تثنّى.
(٥) **الجريال**: الخمرة.
(٦) **الأسمال**: الأثواب البالية.
(٧) **المستلئم**: لابس اللأمة، أي الدرع ـ **السربال**: القميص.
(٨) **الصرصر**: الريح الشديدة.
(٩) **دلف**: سار ومشى ـ شبّه نفسه في هذا البيت بالأسد الجريء المقدام.
(١٠) **الشيحان**: الغيور ـ **الهلع**: الخوف الشديد.
(١١) **الأرقم**: الحية ـ السّدر: شجر النبق ـ **الألفّ**: الملتف ـ **الضال**: شجر السدر البرّي.

فتَـــوعَّـــدتنـــي نَظْـــرةٌ وقَّـــادةٌ، يُـذكَـى، بهـا تحـت الظـلام، ذُبـالُ
وهــوى، كمــا يَهــوي أتـيّ مُـزبِـدٌ، رَجمَـت بـه، بعـضَ التِّـلاعِ، تِـلالُ
يهفُــو الضَّـرَاء، أمــامَـه، ولـربمـا يَــذَرُ الكَثيــبَ، وراءَه، يَنهــالُ[1]
فَـدَرَأتُ بـادِرةَ الشجـاعِ بـأخضـرٍ، فــي رقشــه، هُــوَ للشجـاع مِثـالُ[2]
جمَـد الغـديـرُ بمَتنِـهِ، ولـربمـا أَعْـشـاكَ إِفـرِنـدٌ لــه سيَّــالُ[3]
وجَمعـتُ بيــن المَشـرفـيِّ وبَينـه، فتَــلاقَــتِ الأشبــاهُ والأشكــالُ
وتَسـاوروا يتكـافحـان، كمـا التَقـى، يــومـاً، أبــو إِسحـاقَ والـرِّيبـالُ[4]
وكــلاهمـا مِــن أَســودٍ ومُهنَّــد، فــي ضِمنِــه الأوجـال والآجــالُ[5]

(١٩٠)

حَسْبي شجواً

كفَــى حَــزَنــاً أَنَّ الـدِّيــارَ قَصِيَّــةٌ، فــلا زَورَ إِلاَّ أن يكــون خَيــالا[6]
ولا الــرُّســلُ إِلاَّ للــرِيــاحِ، عَشِيَّــةً، تكُــرُّ جَنــوبــاً بيننــا وشَمــالا
فــأستَــودَعُ الــرِّيــحَ الشَّمــالَ تحيَّــةً؛ وأَستَنشِــقُ الــرِّيــحَ الجَنــوبَ سُــؤَالا
وحسبــيَ شجــواً أَنَّ لــي فيــك أَضلُعــاً حِــراراً، وأَرْدانــاً عليــك خِضــالا[7]
وطـرفـاً قَـريحـاً فيـك عـنِ الكَـرى، ولا فِطـــرَ إِلاَّ أَن تلُـــوح هِـــلالا[8]
ومـا الـدَّهـرُ إِلاَّ صفحـةٌ بـك طَلْقَـةٌ لَثَمـتُ بـه، مـن قبـلِ وَصلِـك، خـالا

---

(١) **يهفو الضّراء**: أي يسير متنكّراً ـ الكثيب: المرتفع من الرمل.
(٢) **درأ**: دفع ـ **الشجاع**: الحيّة ـ **الأخضر**: السيف.
(٣) **الأفرند**: جوهر السيف وقوله أعشاك: أي جعلك تنبهر.
(٤) **أبو إسحق**: كناية عن نفسه ـ **الريبال**: مخفف الرئبال، وهو الأسد.
(٥) **الأوجال**: جمع الوجل وهو الخوف ـ الآجال: جمع الأجل، وهو الحتف.
(٦) **الزور**: الزيارة.
(٧) **الحرار**: جمع حران، والحران الشديد الظمأ.
(٨) **أراد بالفطر**: عيد الفطر.

فما أَنْسَهُ لا أَنسَ ليلاً على الحِمى، وقد رَقَّ وضَّاحاً وراق جَمالا
وزارَ به نجمُ السُّهى قمرَ الدُّجى، وباتا بحالِ الفَرقَدَين وِصالا
إذا ما هَدانا فيه بارِقُ مَبْسِمٍ، أَجَنَّ دُجًى فرعٌ، فحِرْتُ ضَلالا
ولي نَظَرٌ يرتَدُّ فيك صَبابةً، وقد فاضَ ماءُ الشوق فيه، فجالا
فجاد الحِمى غادٍ، من المزنِ، رائحٌ، تَهاداه أعناقُ الرِّياح كَلالا
وساريةٍ دَهماءَ حارَبها الدُّجى، فشبَّ بها البَرقُ المُنيرُ ذُبالا[1]
فللّه ما أَشجى الحمامةَ، غُدوَةً، هناك، وما أَندى الأراك ظِلالا
وقد جاذَبت ريحُ الصَّبا غصنَ النَّقا، فماد على رِدفِ الكثيبِ وَمالا
وأَيْقَظَ بَردُ الصبح جفنَ عَرارِهِ، تَرقرَقَ دمعُ الطَّلِّ فيه، فسالا

(١٩١)
مَهْلاً

أَيُّها التائه مهلاَ، ساءَني أَنْ تِهتَ جَهْلا
هل تَرى، في ما تَرى، إلاّ شباباً قد تَولَّى
وغَراماً قد تَسَرَّى، وفُؤاداً قد تَسَلَّى؟
أَينَ دمعٌ فيك يَجري؛ أَينَ جَنبٌ يتقلّى؟
أَينَ نفسٌ فيك تُهدَى، وضُلوعٌ فيك تُصْلى؟[2]
أَيُّ مَلْكٍ كان لولا عارضٌ وافى، فوَلَّى
وتَخَلَّى عنك إلَّا أسفاً، لا يَتَخَلَّى
وانطَوَى الحُسنُ، فهلاّ أَجمَلَ الحُسنُ وهلَّا!

---

(١) السارية: السحابة التي تسري ليلاً ـ الدهماء: السوداء ـ الذبال: الفتيلة.
(٢) تُصلى: المجهول من صلي النار: قاسى حرّها.

(١٩٢)
ركبْتُ إليه

ومَغـــارٍ ركِبـــتُ أَدهـــمَ مِعْطــا لاً إليـه، وظهَـرَ أَشهَبَ حــالـي[١]
جالَ في أَنجُمٍ، من الحَلي، بِيضٍ، وقميـصٍ، مــن الصبـاحِ، مُـذالِ[٢]
فبَـدا الصبــحُ مُلجَمـاً بــالثُّـريَّـا؛ وجَـرى البـرقُ مُسـرَجـاً بـالهِـلال[٣]

(١٩٣)
سَقْياً لها

سَقْيــاً لهـــا مـــن بطــاحِ أُنــسٍ، ودَوحِ حُســـنٍ بهـــا مُطِـــلّ
فمَـــا تَـــرى غيـــرَ وجـــهِ شمـــسٍ، أَظَـــلَّ فيـــه عِـــذارُ ظِـــلّ

(١٩٤)
لو بلّ . . . أَبْلَلْتُ

صَمَمتُ سَمعاً، فما أُصغِي إلى العَذَلِ؛ وهِمْتُ قلباً، فما أَصحُو عن الغزَلِ
وإنَّ سُقمِـي لَمِــن طَـرْفٍ بــه سَقَـمٌ، خُلـوٍ مـن الكُحـلِ مَملُـوءٍ مـنَ الكَحَـلِ
أَشجُو الظَّماءَ، وريِّي في حَصى بَرَدٍ، لـو بَـلَّ من غُلَلـي أَبلَلْـتُ من عِلَلـي[٤]
فمَــن لصَــبٍّ يَبيــتُ الليــلَ يَسهــرُهُ، مُقلَّـبَ القلـب بيـن اليـأسِ والأَمَـلِ؟
أيـن الجـراحـاتُ مـن جـرحٍ بـأَضلُعِـه؛ وأَينَ بِيضُ المواضي من جُفونِ عَلِي؟[٥]
يـا ضـاربـاً يـوسفـاً، فـي حُسنِه، مثلاً، جَـلَّ ابـنُ أفعَـلَ عـن مِثـلٍ وعـن مَثَـلِ[٦]

---

(١) المغار: الغار ـ الأدهم هنا: الليل الأسود ـ المعطال: خلاف الحامي.
(٢) المذال: ذو الذيل الطويل.
(٣) يقول: إن هذا الفرس الأشهب كالصبح في الليل يجري فيه كالبرق وهو مسرج وسرجه بدا ساطعاً كالهلال.
(٤) أبلّ من علله: شفي من أسقامه وأمراضه.
(٥) أراد بـ «علي» الموصوف.
(٦) ابن أفعل: الموصوف.

خُـذْ مـا تَـراهُ، ودَع شيئاً سمِعـتَ بـه، في طَلعةِ الشَّمسِ ما يُغنيكَ عن زُحَلِ[1]

(١٩٥)

فَسَما . . واسْتَزادَ

مـا ضـارَ لابِسَ مِثلِه، مـن خـاتَـمٍ، أن لا يَشُـبَّ مـع الظـلام ذُبـالا
مُتـألِّـقٌ أَعـداهُ لابِـسُ حِليـةٍ، فَسَمـا جـلالاً واستَـزادَ جمـالا
مُتحمِّـلاً فَصّـاً يـرُوقُ، وحَلْقَـةً مـن جُـذوةٍ وقَـدَتْ، ومـاء سـالا
فـي راحـةٍ خُلِقَـتْ سمـاءَ سَمـاحـةٍ، فتَقـارنـا نَجمـاً بهـا وهِـلالا

(١٩٦)

عُلِّقْتُهُ

وعـاذِرٍ قـد كـان لـي عـاذِلا، فـي أَرَبٍ قـد صـار لـي آمِـلا
آدَ بقلبـي، وهـو فـي طَيِّـه، فصـار مَحمُـولاً بـه حـامِـلا[2]
ودونَ مـاءِ الحُسـن، مـن وَقـدِه، مـا يَصْـدُرُ الطَّـرفُ بـه نـاهِـلا
وكـان قلبـي، دُونـه، واقِـداً، ومـاءُ جَفْنـي، فـوقَـه، جـائِـلا
أَخُـوضُ، فـي الحـبِّ، بـه لُجَّـةً لـم تَـرمِ بـي، مِـنْ سَلْـوةٍ، سـاحِـلا
أَمـا تَـرى أُعجُـوبـةً أَنْ تَـرى، فـي الحُـبِّ، مَقتُـولاً فَـدى قـاتِـلا
ويُجْتَنَـى نُـورُ نَسِيبـي بـه غَضّـاً، وجِسمِـي غُصُنـاً ذابِـلا
عُلِّقْتُـه أَحـوى اللَّمـى أَحـوراً، عـاطِـرَ أَنفـاس الصِّبـا عـاطِـلا
مُعتـدلاً، مُعتَـدِيـاً فـي الهـوى، أُحِبُّ بـه مُعتـدِلاً، مـائِـلا
غَشِيـتُ مـن مُقلَتِـه بـابِـلاً سِحـراً، ومـن لَحظَتِـه نـابِـلا[3]

---

(١) زحل: نجم ـ والبيت المذكور من لامية العجم للشاعر الطغرائي أورده ابن خفاجة من قبيل التضمين.

(٢) آد بقلبي: اشتدت وطأته عليه.

(٣) يقول إن في عينيه سحراً بابلياً ووقع لحاظه جارح كالنبّال.

شَـطَّ، ولـي مـن شَغَـفٍ فِكـرَةٌ، أَراهُ، فـي مِـرآتِهـا، مـاثِـلا[1]
فمـا أَراهُ ظـاعنـاً راحـلاً، إلّاَ أَراهُ قـاطِنـاً نـازِلا
وإنَّ لـي طَـرْفـاً بـه سـاهـداً، وَجْـداً، ودمعـاً هـامـراً هـامِـلا[2]
كـأنَّ نَـومـي ضَـلَّ عـن نـاظِـري، فبـاتَ دمعـي سـائِـلاً سـائِـلا

(١٩٧)

تَرْنو بِطَرْفٍ كَحيل

وقـد غَشِـيَ النبـتُ يطحـاءَهُ، كَبـدوِ العِـذارِ بِخَـدٍّ أَسِيـلِ
وقـد ولَّـتِ الشمـسُ، مُحتَثَّـةً إلـى الغـربِ، تَـرنُـو بطَـرفٍ كَحيـلِ[3]
كـأنَّ سَنـاهـا، علـى نهـره، بَقـايـا نَجيـعٍ بسيـفٍ صَقِيـلِ[4]

(١٩٨)

والماءُ مُبْتَسِم

أحـسُ المُـدامـةَ، والنسيـمُ عليـلُ، والظـلُّ خَفَّـاقُ الـرِّواق، ظَليـلُ[5]
والنَّـورُ طَـرفٌ، قـد تنَبَّـه، دامِـعٌ؛ والمـاءُ مُبتَسِـمٌ، يَـرُوقُ، صَقيـلُ
وتَطلَّعَـتْ مـن بَـرقِ كـلِّ غمـامـةٍ، فـي كـل أُفـقٍ، رَايـةٌ ورَعِيـلُ[6]
حتـى تَهـادَى كـلُّ خُـوطَـةِ أَيكَـةٍ، ريّـا، وغَصَّـت تَلعَـةٌ ومَسيـلُ
عَطَـفَ الأراكـةَ فـانثَنـى شكـراً لـه، طَـرَباً،ورجَّـع،فـي الغُصـون،هَـديلُ[7]

(١) **شطّ**: نأى وبعد ـ **ماثلاً**: حاضراً.
(٢) **الطرف**: العين ـ **الساهد**: الأرق ـ **الهامر والهامل**: اسما فاعل من همر وهمل، (المطر): هطل وانصبّ.
(٣) **محتثة**: مسرعة.
(٤) **النجيع**: الدم ـ **السيف الصقيل**: المصقول.
(٥) **أحس**: اشرب، الأمر من حسا ـ **المدامة**: الخمر.
(٦) **الرعيل**: القطعة من الناس أو الطير أو الخيل.
(٧) **الهديل**: الحمام.

فـالـرَّوضُ مُهتَـزُّ المعـاطِـف، نغمـةً، ... نَشــوانُ، يَعطِفُــه الصَّبــا فَيَميــلُ
ريَّــانُ فضَّضَــه النَّــدى ثُــمَّ انجَلــى ... عنــه، فــذَهَّــب صَفحَتيــهِ أَصيــلُ
وارتَـدَّ يَنظـر، فـي نِقـاب غَمـامـةٍ، ... طَـرفٌ، يُمـرِّضـه النُّعـاسُ، كَليـلُ[1]
ســاجٍ كمــا يــرنُــو إلــى عُــوَّادِه، ... شــاكٍ، ويَلتَمِــحُ، العــزيــزَ، ذَليــلُ

(١٩٩)
فكأنّه رَيْحانَةٌ

والشمـسُ شـاحِبـةُ الجَبيـنِ مـريضـةٌ، ... والـرِّيــحُ خــافِقــةُ الجَنــاحِ، بَليــلُ
والبــرقُ منخَــزِلٌ، يُكِــبُّ لِــوجهِــه، ... ويَمُــجُّ رُوحَ الــرَّاحِ، منــه، قَتيــلُ[2]
والكـأسُ طِـرفٌ أشقـرٌ قـد جـالَ فـي ... عَـرقٍ عليـه، مــن الحَبـابِ، يَسِيـلُ
يَسعَــى بهــا قَمــرٌ، لــه ولكــأسِــه ... وجــهٌ أَغــرُّ، ومَبسِــمٌ مَعسُــول
شــاكِــي السِّــلاحِ، لِقَــدِّه ولِطَــرفِــه ... رُمــحٌ أَصــمُّ وصــارِمٌ مَسلــول
وأخٍ تَهــزُّ لــه العُلــى أعطــافَهــا، ... فكــأنَّــه رَيحــانــةٌ وشَمُــولُ[3]
راضَعتُــه كــأسَ المُــدامِ، وبيننــا، ... بِجَنـى الحَـديـثِ، حَـديقـةٌ وقَبـولُ[4]
مَيَّــاسُ أَعطــافِ السَّمــاحِ، كــأنَّــه ... غُصــنٌ، تنَفَّــس نَــورُه، مَطلُــولُ
تَنــدَى لهــا، ورداً، أَســرَّةُ كفِّــه، ... أبــداً، وبَطــنُ يَمينِــه مَبلُــولُ[5]
طَلْــقُ الجَبيــنِ، ولِلحُســامِ تبسُّــمٌ؛ ... طـاوي المَصيـرِ، وبـالقَنـاةِ ذُبُـولُ[6]
للنــاسِ فيــه مــنَ الكـلامِ شــواهــدٌ، ... وبمَضــرَبِ السَّيــفِ الجُــرازِ فُلُــولُ[7]

---

(١) الطرف الكليل: الناعس الضعيف.
(٢) **يمجّ**: يفرز ـ **الراح**: الخمر.
(٣) **الريحانة**: الزهرة ـ **الشمول**: الخمر إذا ابتردت بريح الشمال.
(٤) **القبول**: ريح الصبا.
(٥) **أسرّة الكف**: خطوطه.
(٦) **طلق الجبين**: ضاحك، بشوش ـ **طاوي المصير**: ضامر الخصر.
(٧) **السيف الجراز**: القاطع ـ **خلول**: جمع خلّ وهو التثلّم في حد السّيف، وهذا من باب المديح

يَمتــــاحُ أرواحَ الكُمــــاةِ، بكَفِّــــه، شَطَــنٌ ، يُمَــرُّ مــن القَنــا ، مَفتُــولُ
فــي حيــثُ مِــن حَــرِّ الطَّعــانِ هَجيــرةٌ تُحْمَــى، ومــن ظِــلِّ اللِّــواء مَقِيــلُ
والنَّقــعُ أدهَــمُ، للــرِّمــاحِ بــوَجهــه، غُــرَرٌ تَلــوح، وللسيــوف حُجُــولُ
والخيــلُ سَطــرٌ، بــالأسنَّــةِ مُعجَــمٌ، وبِحَــدِّ أَلسِنَــةِ الظُّبــى مَشكــولُ[1]

(٢٠٠)

ماذا ثناكَ

خُــذهــا يُــرِنُّ لهــا الجَــوادُ صَهِيــلا؛ وتَسِيــلُ مــاءً، فــي الحُســامِ، صَقِيــلا
بسَّــامــةً تُصبِــي الأريــبَ وَســامــةً؛ لَــولا المَشيــبُ لَسِمتُهــا تَقبِيــلا[2]
حمَّلتُهــا، شــوقــاً إليــكَ، تحيَّــةً؛ حمَّلتُهـــا عَتبـــاً عليـــك ثَقيـــلا
مــن كــلِّ بيــتٍ، لــو تــدفَّــقَ طَبعُــهُ مــاءً، لغَــصَّ بــه الفَضــاءُ مَسيــلا
إيــهٍ، ومــا بيــن الجــوانــح غُلَّــةٌ، لــو كنــتُ أَنقَــعُ بــالعِتــابِ غَلِيــلا[3]
مــا للصَّــديــقِ، وُقِيــتَ، تــأكُــلُ لحمَــهُ حيّــاً، وتَجعــلُ عِــرضَــه مِنــديــلا
أقبَلتَــه صــدرَ الحُســامِ، وطــالمــا أَضفَيتَــه دِرعــاً عليــه طَــويــلا
مــاذا ثَنــاك عــن الثَّنــاءِ ونَشــرِه بُــرداً، علــى الــرَّسمِ الجميــلِ، جميــلا
أَرِجــاً كمــا عَثَــرَ النسيــمُ بــروضَــةٍ، لَــدْنــاً كمــا نضَــحَ الغَمــامُ مَقيــلا
أَعِــد التِفــاتَــكَ، وادَّكِــرْهــا خِلَّــةً، لا تَستَقِــلُّ بهــا عُــلاك مُمْيــلا[4]
وأَصِــخْ إلــى سَجــعِ القَــريــضِ، فــربمــا نَــدبَ القَــريــضُ، مــن الــوفــاءِ، هَــديــلا
وعُــجِ المَطِــيَّ علــى الــودادِ، وحيِّــه طَلَــلاً، علــى حُكــمِ الــزمــانِ، مُحيــلا

= والمدح في معرض الذم، ويراد به الإشارة إلى الشجاعة والفروسية.

(١) **الظُّبى**: جمع ظبة: حدّ السيف.

(٢) **تصبي**: تثير الحنين إلى الصبا ـ **الأريب**: الفطن.

(٣) **نقع الغليل**: روى الظمأ.

(٤) **مميلا**: اسم فاعل من أماله عن.. أبعده عنه، صرفه.

وابعَث بِطَيفِك واعتَقِدها زَورةً، وصِلِ السَّلامَ، على النَّوى، تَعليلا
ولَئِن سألتُ بك الغَمامةَ وابلاً، يَسِمُ الجَديب، لما سألتُ بخيلا
وإذا دَعَبتُ، ولا دُعابةَ غيبةٍ، فاغْضُضْ هناك، من العِنانِ، قليلا
واصحَبْ، وذِهنُك من هَجيرٍ لافحٍ، ذكراً، كما سَرَتِ القَبولُ، بَليلا[1]
فَلقد حَللتَ مع الشبابِ بمنزلٍ، يَرتدُّ طرفُ النجمِ عنه كليلا
وبَدَهتَ لا نَزْرَ المحاسنِ مُجَبلاً؛ ومَضيتَ لا قَضْمَ الغَرارِ فَليلا[2]
مُتدفِّقاً أَعيا العُقولَ طريقُهُ، فكأنَّما رَكِبَ المَجرَّ سَبيلا
يَستوقِفُ العَليا جَلالاً، كلما سَجَدَ اليَراع بكفِّه تَبجيلا
لا تستَنيرُ بك السيادةُ غُرَّةً، حتى يسيلَ بك النَّدى تحجيلا
وسِوايَ يُنشِدُ في سِواكَ نَدامةً، يا لَيتَني لَمْ أَتَّخِذْكَ خليلا!

(٢٠١)

أرتادُ مَرْتَعاً

قال في أثناء عِلّةٍ أَلّمت به:

جَهِلتُ، وما أَلقَى عَليماً، وإنَّما مَرِهتُ، وأَعيا أن أَمُرَّ بِكاحِلِ[3]
فسِرتُ، وقد أَجدَبتُ، أرتادُ مَرتَعاً، فلم تَطإِ الوَجناءُ بي ظَهرَ ماحِلِ[4]
وخُيِّلَ لي أنِّي أُقيمُ، وإنما أَسيرُ، وإنْ لم أَحْتَقِبْ زادَ راحِلِ[5]
فقُلْتُ، وقد خَلَّفتُ خمسينَ حِجَّةً، ورائي: لقد أَعجَلتُ طَيَّ المَراحِلِ
أَبُوءُ بِعِبءِ السُّقمِ بين حُشاشةٍ تَجودُ، وجِسمٍ، قد تَفرَّقَ، ناحِلِ[6]

---

(١) **الهجير**: شدّة القيظ في منتصف النهار ـ الهجير اللافح: المحرق ـ **القبول**: ريح الصبا.
(٢) **بده**: فاجأ ـ **مجبلاً**: مبخلا ـ **قضم الغرار**: مكسور السيف ـ **السيف الغليل**: المغلول، الذي تثلم حدّه.
(٣) **مرهت**: رمدت عيني بسبب عدم التكحل.
(٤) **الوجناء**: النّاقة السريعة.
(٥) **احتقب**: وضع في الحقيبة.
(٦) **أبوء**: أرجع ـ **العبء**: الحمل الثقيل ـ **الحشاشة**: الروح.

وأَسبَحُ فـي بحـرِ الشَّكـاةِ، لعلَّنـي   سـأعلَـقُ يـومـاً، مـن نَجـاةٍ، بِسـاحِـلِ

(٢٠٢)

الليْلُ . . طويلٌ

اللـيـلُ، إلاَّ حيـثُ كنـتَ، طـويـلُ؛   والصّبـرُ، إلاَّ منـذُ بِنـتَ، جميـلُ[1]
والنَّفـسُ، مـا لـم تَـرتَقِبْـكَ، كئيبَـةٌ؛   والطَّـرفُ، مـا لـم يَلتَمِحْـك، كَلِيـلُ[2]
فلقد خلعتَ، على الزمانِ، مَحاسِناً،   تُثنـى بـه أَعطـافُـه، فيَـذِيـلُ
ولقـد شمَلْـتَ الحَضـرَتيـنِ بنِعمَـةٍ،   يَجـري الثَّنـاءُ بـوَصفِهـا، فيُطِيـلُ
فالصبحُ ثغْرٌ، في جَنابكَ، ضاحِكٌ؛   والليـلُ طَـرفٌ ، فـي ذَراكَ، كحِيـلُ[3]
وأَقمـتَ مـن أَوَدٍ هنـاك وهَهنـا،   فـدفَقْـتَ آراءً، وأنـتَ جليـلُ[4]
وتكَشَّفَـتْ لـك حـالـةٌ عـن غـادِرٍ،   مَلِـقٍ، ومـرعَـى الغـادِريـنَ وبيـلُ[5]
فقَعَـدْتَ بـالأعـداءِ قِعـدَةَ خـالِـعٍ   ثـوبَ العَـزازةِ عنـه، فهـو ذَليـلُ
وهَـدَدْتَ هَضبـةَ عِـزِّه، فكـأنَّهـا،   نَسْفـاً، كثِيـبٌ، بـالعَـراءِ مَهيـلُ[6]
فتَطَـوَّقـتْ، بـالهُـونِ منـه، حَمـامـةٌ،   يَعتـادُهـا، تحـتَ الظَّـلام، عَـويـلُ[7]
وأَراهُ صَبـوَةَ مـا جنـاهُ دهْمـةً،   نَظَـرٌ جَـزاهُ عـنِ القَبيـحِ جَميـلُ
فـاعتـاصَ مِـنْ لُـجٍّ، وأَعتَـمَ مَسلَـكٌ،   والتَـاثَ مُلتَمَـسٌ، وضـاقَ سَبيـلُ[8]
ووشى رداءَ الحمدِ، باسمِك، خاطِرٌ،   قـد عـاثَ فيـه السُّقـمُ، فَهْـو كلِيـلُ

---

(١) **بِنْتَ**: ابتعدت، نأيت.
(٢) **البصر الكليل**: الضعيف.
(٣) **ذراك**: جانبك.
(٤) **الأود**: العوج.
(٥) **الملق**: المتملّق ـ وبيل: سيء العاقبة.
(٦) **مهيل**: متهافت، متساقط.
(٧) **الهون**: الهوات الذل.
(٨) **التاث الأمر**: اختلط.

فسجَعـتُ، فـي قيـدِ الشَّكـاة، مُغـرِّداً طـربـاً، وللطّـرفِ الـرَّبيـطِ صَهيـلُ
ولـوى، العِنـانَ عـنِ الإطـالَـةِ، أَننـي نِضْوُ القُوى، بِسُرى الفراشِ ضئيلُ(١)
مـادَ النُّحـولُ بـه، فـلاعَـبَ شَخصَـه ظِـلّ ، تَحَيَّفَـه السِّقـامُ ، نَحيـلُ
فمنَعتُـه جَـمَّ المحـاسـنِ نـاقِهـاً، قـد كـاثـرَ الأمـداحَ، وهْـوَ قَليـلُ
ولكَـم قَصِيـرٍ، مـن يَـراعِـكَ، سـاحـبٍ مـن نـابِ صـدرِ الـرمـحِ، وهـو طـويـلُ

(٢٠٣)

.. لِيَكونَ أَحْسَنَ

وعسـى الليـالـي أَنْ تَمُـنَّ بجَمعِنـا عِقْـداً، كمـا كنّـا عليـه وأَكْمَـلا
فلـربمـا نُثِـرَ الجُمـانُ تعمُّـداً، ليكـون أُحسـنَ فـي النِّظـامِ وأَجْمَـلا

(٢٠٤)

رَبْوَةٌ لِلْفَضْل

قال يجيب عبد الله بن عثمان عن شعر:

وحُلَّـةٍ، مـن طِـرازِ النَّظـمِ، رائعـةٍ، هَـزَّتْ، بـآدابهـا، أَعطـافَ آمـالـي(٢)
مِن حوكِ وشْيٍ ببُردِ الخَطِّ، تحسبُه، فـي الطـرفِ مُشتَمـلاً، منـه، بِسِربـالِ
سَحَبْتُهـا، لابِسـاً بُـردَ الشبـابِ بهـا، أَجُـرُّ، مـن طَـربٍ، أذيـالَ مُختـالِ(٣)
فحبَّـذا نُطفـةٌ، تَنسـاغُ، بـاردةٌ، مِـن مَنْهَـلٍ، طـامِحِ الآذيِّ، سَلسـالِ(٤)
وزهـرةٌ غَضَّـةٌ، تفتـرُّ، عـاطـرةٌ، من روضةٍ لَدنَةِ الأنفاسِ، مِخْضالِ(٥)

---

(١) نضو القوى: أي هزيل وضعيف ـ سرى الفراش: متنه وظهره ـ ضئيل: من الضآلة، والمراد نحول جسمه.
(٢) الحلّة: الثوب القشيب ـ هزّت: حرّكت وأثارت.
(٣) برد الشباب: ثوبه ـ المختال: المزهو الذي يمشي متبختراً.
(٤) الآذيّ: الموج ـ السلسال: الماء العذب.
(٥) تغترّ: تتبسّم ـ المخضال: النّدية، المخضّلة بالندى.

فـي مُلتَقـى رَبـوةٍ، للفضـلِ، مُشـرفَـةٍ، ومُنْتَحــى عــارضٍ، لِلطبــعِ، هطّــالِ
فـالبَسْ بهـا خِلعَـةً، للمجـد، ضـافِيـةً، طــويــلَ بــاعِ العُلــى والعَـمِّ والخـالِ
واردُدْ تحيَّــةَ بــادِي العهــدِ مُبتـديــاً، عاطاكَ، من عِلقِ صِدقٍ، كفَّ إجلالِ[1]
شَطَّـتْ بـه الـدارُ، فـاسترعـى تحيَّتَـه نَسيــمَ عــاطِــرةِ الأذيــال، مِكســالِ
تـرَدَّدَتْ بيـن أزهـارِ الـرُّبـى، سَحَـراً، تَطيــبُ مــا بيــنَ إدبــارٍ وإقبــالِ

(٢٠٥)

لِلطَّلِ معنًى ليسَ للمَطَرِ

قال يمدح ويسأل حاجة:

آليــتَ إلاّ أن تسيــرَ مــع الفَضــلِ؛ وأزمَعـتَ إلاَّ أن تصُـمَّ عـن العـذْلِ[2]
فَنُبْتَ مَنـابَ البَـدرِ فـي لَيلـةِ السُّرى، وقُمتَ مَقامَ الوَبلِ في البَلدِ المَحلِ[3]
وأَضرَمتَ نار الطَّعنِ في ثَغرَةِ العِدى؛ وأَجريتَ ماءَ النَّصرِ في صفحَة النَّصلِ
وسوَّيتَ بين القولِ والفعلِ في العُلى: فمـن مَنطـقٍ جـزمٍ ومـن نـائـلٍ جَـزْلِ[4]
فَحيَّـت، أبـا يحيـى، ذَراكَ، غَمـامـةٌ صقيلــةُ ثَغــرِ البــرقِ، وارفَــةُ الظِّــلِّ
تُجـرِّر أَذيـالَ الـرَّبـابِ علـى الـرُّبـى؛ ويَمشي بها وانِي النسيم على رِسْلِ[5]
وليـس سِـوى تلـكَ الصـرامَـةِ صـارمٌ؛ ولا غيـرَ هـاتِيـكَ البَشـاشَـة مـن صَقْـلِ
فطُـلْ عُمُـرَ الـدُّنيـا وطَـأْ قِمَـمَ العِـدى، وخيِّم مع العَليا، وحُزْ قصَبَ الخَصلِ[6]
ومُــنَّ بهــا أَنــدى نَسيمــاً مِــن الصَّبــا أَصيلاً، وأَحلى موقِعاً من جَنى النَّحلِ

---

(١) العلق: النفيس، وأراد بعلق صدق: أمثل الصدق.
(٢) آليت: أقسمت ـ العذل: اللوم.
(٣) المحل: الجدب، القحط.
(٤) النائل الجزل: العطاء الكثير.
(٥) الرباب: السحاب الأبيض ـ يمشي على رسل: يشير متمهّلاً.
(٦) طَأْ: الأمر من وطىء يطأ الشيء برجله: داسه ـ حُز: نل الأمر من حاز: أي نال ـ قصب الخصل: قصب الفوز والغلبة.

ولا تحتقِرْهـا مـن يـدٍ، لـك، بَـرَّةٍ، فَلِلطـلِّ معنًـى ليـس للمَطَـرِ الـوَبْـلِ

(٢٠٦)
الحُسْنُ صِنْوٌ له

قال هذه القصيدة مادحاً الأمير أبا إسحاق:

أَلا هَـل أطـلَّ الأميـرُ الأجـلّ، أمِ الشمـسُ حُلَّـت بـرأسِ الحمـلْ[١]
فمـا شئـتَ مـن زهـرةٍ نضـرةٍ، تَـردَّى القضيـبُ بهـا واشتَمَـلْ[٢]
وهـزَّت معـاطِفَـه، والتَـوى بمسـرى النسيـم التـواءَ الجِـذَلْ[٣]
سـروراً بـه عـن فتـى دَولـةٍ، تُبـاهـي بعَليـاهُ خيـرَ الـدُّوَلْ
أتـانـا الـزمـانُ بـه آخـراً، تهَـشُّ إليـه الليـالـي الأوَلْ
مَليـكٌ تَبسَّـم ثغـرُ المُنـى بمـرآه، وامتـدَّ خطـوُ الأمَـلْ
يَشُـدُّ اللِّثـامَ علـى صَفحَـةٍ، تَـرى البـدرَ منهـا بمَـرْقـى زُحَـلْ
فلـم أدرِ، والحسـنُ صِنـوٌ لـه، أَأَبـدأُ بـالمـدح أم بـالغَـزَلْ[٤]
وهـا هـو، والحِلـمُ فـي طَبعِـهِ، هِـزَبـرٌ، إذا مـا حمـى أو حَمَـلْ
يُضِيـفُ، إلـى طَعنَـةٍ، رَشْقـةً هنـاك، ولِلمُـزن وبْـلٌ وَطَـلُّ
ويَكفـي، فيَكفُـلُ فـي حـالـةٍ، فيَبْنـي المعـالـي كفـى أو كفَـلْ
ويلـزَمُـه النصـرُ حبّـاً لـه، فـإن سـارَ سـار، وإن حـلَّ حـلْ
فمـا يَطـرُقُ الطَّيـفُ غـابـاً لـه، ولـو كـان أغفـى بـه أو غَفَـلْ
يَـدِيـنُ بضِـدَّيـه دُونَ الهُـدى، يصُـدُّ العِـدى ويَسُـدُّ الخَلَـلْ
ويُـدمـي الشِّفـارَ ويَحنـي القَنـا، ويَحْمِـي الـذِّمـارَ ويَـرعـى الهَمَـلْ[٥]

---

(١) حلّت الشمس: أنزلت ـ **الحمل**: من الأبراج.
(٢) تردّي: ارتدى الرداء ـ **القضيب**: الغصن ـ اشتمل بالرداء: التف به.
(٣) **الجذْل**: العود، وحرّك الذال مراعاة للوزن.
(٤) **صنو له**: ندّ ومثيل.
(٥) **القنا**: الرماح ـ **يحمى الذمار**: يحافظ على العهود والمواثيق ـ **الهمل**: الماء السائل، الإبل.

ويمـــلأ رُعبـــاً صُـــدورَ العِـــدى، فيُـرْعِـفُ بـأسـاً أُنُـوفَ الأسَـلْ[1]
مُمِــرُّ حِبــالَ القَنــا والقُــوى، إذا مـا فَشـا، فـي الحُمـاة، الفَشَـلْ
كفيــلٌ بــإدراك مــا يَبْتَغــي، قَفـا إثْـرَ طـاغِيـةٍ، أو قفَـلْ
إذا قــال أجمــلَ فــي قــولِــه، وأحسـنُ مـن قـولِـه مـا فَعَـلْ
ألـم تَـرَ مـا كـان مـن بـأسِـه، يفُـوز بـه يـوم حـار البَطَـلْ
وخـارَ الأبـيُّ وخـرَّ الكمِـيُّ، وجَـدَّ الجِـلادُ وقَـلَّ الجـدَلْ
ورام النَّصـارى بهـا نُصـرَةً، فلـم يُنْجِـدِ الـرُّومَ رَومُ الحِيَـلْ
وصـدَّ ابـنَ فـرَّاسَ، عـن نَصـرِهـا، تَلَظِّـي حِـرابِ دَوامِـي المُقَـلْ
فمـا التَمَسُـوا الغَـوثَ إلاَّ التَـوى، ولا استَنجـدوا الـوعـدَ إلاَّ مَطَـلْ[2]
ولا أَمَّ يُقبِـلُ حـتَّ انثَنـى، حِـذاراً، ولا غـامَ حتـى اضمَحَـلْ
فلـم يـدرِ مـا عَلِقَـتْ خَيلُـه: أشكـوى الـوجى أو شَكـاة الـوجلْ؟[3]
بَلـى! خـافَ، مـن جَـورِ سيفِ عَـدا، مضـاءً، بكـفِّ إمـامٍ عَـدَلْ
وأولـى بـه لـو تَـدَلَّـى بـه غُـروراً، وأولـى بـه لـو أَدَلّ
فمـا حـادَ عنـكَ بقلـبٍ غَـزا، ولكـن بقلـبٍ وهـي عـن وهَـلْ[4]
لـك اللهُ مـن سيِّـدٍ ايِّـدٍ، تَحَلَّـى الـزمـانُ بـه عـن عَطَـلْ
أبـى المجـدُ أن يَـرتَضِـي قِنيَـةً، نَفيـسَ الحُلـى وشـريـفَ الحِلَـلْ
فقِنيَتُـه لِلقنـا والظُّبـى، وقُـبِّ الخيـولِ وبِيـضِ الخَـوَلْ
ولمَّـا سقـى الغَـربَ فيمـا سقـى، وحَـلَّ بـهِ الغـربُ مِمَّـا أقَـلْ
أَتـى الشـرقَ يَهفُـو جَنـاحُ السُّـرى بـه وتهَـبُّ ريـاحُ العَجَـلْ

---

(١) **يرعف**: يسيل الدماء ـ **الأسل**: الرماح.
(٢) **مطل**: أجّل وسوّف، ماطل.
(٣) **الوجى**: الحفى ـ **الوجل**: الفزع، الخوف.
(٤) **الوهل**: الوجل، الخوف.

فسكّـــن مـــن خَفــقِ قلـــبٍ نَـــزا؛ وهَـــوَّن مـــن مـــسِّ خَطـــبٍ نـــزَلْ
وأَطمَـــع فـــي حَســـمِ داءٍ دَهـــى، وإقشـــاعِ عـــارضٍ هـــمٍّ أطَـــلْ
فقُـــل لابـــنِ رُذميـــرَ مَهـــلاً يَسيـــراً، يُقيـــمُ صَفـــاكَ الأميـــرُ الأجَـــلْ(١)
يُحَـــرِّقْـــكَ منـــه سَنـــا شُعلـــةٍ، هنـــاك، ويُغْـــرِقْـــكَ طـــوراً وشَـــلْ
فمِـــلْ عـــن طـــريـــقِ شهـــابٍ سَـــرى، فـــأهـــوى، ووادي أَتـــيٍّ حمَـــلْ(٢)
وحِـــدْ رَهبـــةً عـــن عُبـــابٍ طَمـــى؛ ولُـــذْ رَغبـــةً بصَيـــاصِـــي جَبَـــلْ(٣)
وإلاَّ فثَـــمَّ جَـــوادٌ يَعُـــبُّ، ونَصـــلٌ يَهُـــبُّ إذا سُـــلَّ صَـــلْ
وكـــلُّ حيـــاةٍ إلـــى مُنتَهـــى، أَجَـــلْ، ولكـــلِّ حِمـــامٍ أَجَـــلْ
تَيَقَّـــنَ أَنَّ اللهَ أَكـــرَمُ جيـــرَةٍ، فـــأزمـــعَ، عـــن دارِ الحَيـــاةِ، رَحِيـــلا
فـــإنْ أَقفَـــرَت منـــهُ العُيـــونُ، فـــإنَّـــه تَعَـــوَّضَ عَنهـــا، بـــالقُلـــوبِ، بـــديـــلا
ولـــمْ أَرَ أُنســـاً قَبلَـــه عـــادَ وَحشَـــةً، وبَـــرداً علـــى الأكبـــادِ عـــادَ غَليـــلا
ومَـــنْ تَـــكُ أَيـــامُ السُّـــرورِ قَصيـــرةً بـــه، كـــانَ لَيـــلُ الحُـــزنِ فيـــهِ طَـــويـــلا

(٢٠٧)
غَمامُ النَّصْر

قال وقد استرجعت بلنسية من يد العدو:

أَلآنَ سَـــحَّ غَمـــامُ النَّصـــرِ، فـــانهَمَـــلا؛ وقـــامَ صَغْـــوُ عَمُـــودِ الـــدِّيـــن فـــاعتَـــدَلا(٤)
ولاحَ للسّعـــدِ نجـــمٌ قـــد خَـــوى، فهَـــوى، وكَـــرَّ للنَّصـــرِ عَصـــرٌ قـــد مَضـــى، فَخَـــلا
وبـــاتَ يَطلُـــعُ نَقـــعُ الجيـــشِ مُعتكِـــراً، بِحَيـــثُ يَطلُـــعُ وَجـــه الفَتـــحِ مُقتَبِـــلا(٥)

---

(١) ابن رذير: من سادات الفرنجة وأمرائها.
(٢) الأتيّ: السيل.
(٣) حِذْ: الأمر من حاد: مال عن. . ـ لُذْ: الأمر من لاذ: لجأ واحتمى ـ الصياصي: جمع صيصة، الحصن: المعقل الحصين.
(٤) الصغو: الميل ـ عمود الدين: ركنه.
(٥) النقع: غبار المعركة.

مِـن عَسكَـرٍ رجَفَـت أَرضُ العَـدوِّ بـه، حتـى كـأنَّ بِهـا مِـن وَطئِـه وَهَـلا
مـا بيـنَ رِيـحِ طِـرادٍ سُمِّيَـت فَـرَسـاً، جَـوراً، ولَيـثِ شـرًى يَـدعُـونَـه بَطَـلا
مِـن أدهَـمٍ أخضـرِ الجِلبـاب، تَحسِبُـه قَـد استعـار رِداء الليـل واشتَمَـلا
وأَشهَـبٍ نـاصِـع القِـرطـاس، مُـؤتَلِـقٍ، كأنَّما خاضَ ماءَ الصُّبحِ، فاغتَسَلا[1]
تَـرى بِـه مـاءَ نَصـلِ السَّيـفِ مُنسَكِبـاً، يَجـرِي، وَجـاحِـمَ نـارِ البَـأسِ مُشتعِـلا
فَغَـادَرَ الطَّعـنُ أَجفـانَ الجِـراحِ بـه رَمْـدى، وصَيَّـرَ أَطـرافَ القَنـا فُتُـلا
وأَشـرَقَ الـدَّمُ فـي خَـدِّ الثَّـرى خَجَـلاً؛ وأَظْلَـمَ النَّقـعُ فـي جَفـنِ الـوَغـى كَحَـلا
وأَقشَـعَ الكُفـرُ، قَسـراً، عـن بَلَنْسِيَـةٍ، فـانْجَـابَ عَنهـا حِجـابٌ كـانَ مُنسَـدِلا
وطَهَّـرَ السَّيـفُ منهـا بَلـدَةً جُنُبـاً، لَمْ يَجزِها غيرَ ماءِ السَّيفِ مُغْتَسِلاً[2]
كـأنَّنـي بِعُلُـوجِ الـرُّومِ سـادِرَةً، وقد تَضَعْضَعَ ركنُ الكُفرِ، فاستَفَلا[3]
تَظَـلُّ تَـدرَأُ بـالإسْـلامِ عَـن دَمِهـا وهَبَّـةُ السَّيـفِ مِنهـا تسبـقُ العَـذَلا[4]
فـي مَـوقِـفٍ يَـذهَـلُ الخِـلُّ الصفِـيُّ بـه عَـن الخليـلِ، ويَنسـى العـاشِـقُ الغَـزَلا
تَرى بَني الأصفَرِ، البِيضَ الوُجوهِ به، قَـد راعَهـا السَّيـفُ فـاصفَـرَّت بـه وجَـلا
فَكَـم هُنـالِـكَ مِـن ضَـرغَـامَـةٍ سَفَـرَت، سُمـرُ العَـوالـي، إلـى احشـائِـه رُسَـلا[5]
يُـرى علـى جَمـرَةِ المِـرِّيـخِ مُلتَهِبـاً، تحـتَ القَتـامِ، ويَعلُـو هِمَّـةً زُحَـلا
قَـد كَـرَّ فـي لأمَـةٍ حَصـداءَ، تَحسِبُهـا بحراً، يُلاطِمُ، من أَعطافِه، جَبَلا[6]
ولِلقَنـا أَعيُـنٌ قَـد حَـدَّقَـت حَنَقـاً؛ ولِلظُّبـى أَلسُـنٌ قَـد أَفصَحَـت جَـدَلا

---

(١) **القرطاس**: الصحيفة ـ **مؤتلق**: مشرق.
(٢) **البلدة الجنب**: غير الطاهرة.
(٣) **استفل**: انحطّ، صار سافلاً.
(٤) **العذل**: اللوم، والبيت يتضمن معنى **المثل المعروف**: سبق السيف العذل.
(٥) **العوالي**: الرماح.
(٦) **اللأمة**: الدرع ـ **الحصداء**: مؤنث الأحصد وهو ما جفّ من النبت وهو قائم، والكلام من باب التشبيه.

فَزاحَمَ النَّقعَ حَتَّى شَقَّ بُردتَهُ؛ وناطَحَ المَوتَ حتى خَرَّ مُنجَدِلا
مُوَسَّداً فوقَ نَصلِ السَّيفِ، تحسبُهُ مُستَلقِياً، فوقَ شاطِي جَدوَلٍ، ثَمِلا
فكم مُمَزِّقَةٍ مِن جَيبِها طَرَباً، قد مَزَّقت، بعدَه، من جَيبِها ثَكَلا
ورَقرَقَ الدَّمعَ في أَجفانِها رَشَأٌ، تَرَقرَقَ السِّحرُ، في أَجفانِه، كَحَلا
قد بَلَّلَتْ نَحرَهُ، بالدَّمعِ، جارِيَةٌ بكرٌ، تُمَسِّحُ، من أعطافِه، الكَسَلا
تَغُصُّ عِقدَ لآلِيه، وأَدمُعُهُ في نَحرِهِ، فَتَراه حالِياً عُطُلا

(٢٠٨)

بكى الدُّرُّ

أَلا بَكى الدُّرُّ فوقَ حالِيَةٍ، حَلَّى بها العِقدُ شرَّ ما حلَّى[(١)]
يَرى بها ما يمُرُّ من حَلَقٍ، مُخَبَّأً تحت مَنظَرِ الجُلَّى[(٢)]
قد راقَ مرأى وساء مُختَبَراً، فهل تُرى أثمَرَت بِها دِفلى؟[(٣)]

(٢٠٩)

حَسْبُ الفتى حِلْيَةً

يحمل في هذين البيتين على خدمة السلطان:

حسبُ الفَتى حِليَةً أَنْ يستقِلَّ به مَلْكٌ عزيزٌ، فَلا يَقْعُدْ بِهِ العَطَلُ
فَما احتَمى جانِبٌ لَمْ يَحمِهِ مَلِكٌ؛ ولا مَضى صارِمٌ لم يُمْضِهِ بَطَلُ

مُتَعالٍ ومُنْسَفِل

تَفاوتَ نَجلا أَبي جَعفَرٍ، فمِن مُتَعالٍ ومِن مُنسَفِلْ
فَهَذا يَمِينٌ بِها أَكلُهُ؛ وهذا شِمالٌ بِها يَغتَسِلْ

---

(١) **الحالية**: لابسة الحلى، المزيّنة بالدرر.
(٢) **الجلّى**: كل أمر جلل.
(٣) **الدفلى**: شجر زهره حسن كالورد.

(٢١٠)
حطّت العنوانَ

قال فيمن كتبت اسمها تحت ختمها:

قالت، وقد حطَّتِ العُنوانَ جَوهرةً، عن مُرتَقى رُتبَةٍ، قد سَنَّها الأوَلُ
لا غروَ إنْ صِرتُ تحتَ الخَتمِ واقِعةً؛ إنَّ الجَواهِرَ تحتَ الخَتمِ تُحتَمَلُ

قافية الميم

(٢١١)
يا غمامُ

ألا ساجِلْ دُموعي يا غَمامُ؛ وطارِحْني بشَجوِك يا حَمامُ[١]
فقد وفَّيتُها ستِّينَ حَولاً، ونادَتني ورائي: هلْ أَمامُ؟
وكنتُ، ومن لُباناتي لُبَيْنى، هناك، ومِن مَراضِعِيَ المُدامُ[٢]
يُطالِعُنا الصَّباحُ ببَطنِ حَزوَى، فيُنكِرُنا ويَعرِفُنا الظَّلامُ[٣]
وكانَ بها البَشامُ مَراحَ أُنسٍ، فماذا بَعدنا فَعَلَ البَشامُ؟
فيا شَرخَ الشَّبابِ ألا لِقاءٌ يُبَلُّ به، على يأسٍ، أُوامُ[٤]
ويا ظِلَّ الشّبابِ، وكنتَ تَندى، على أفياءِ سَرحَتِك السَّلامُ

(٢١٢)
أرِقْت أُناجيه

قال يحنّ إلى أيّام الشّباب ويصف فرسه

أَلا سَرَتِ القَبُولُ، ولو نَسِيما؛ وجاذَبَني الشَّبابُ، ولو قَسِيما

---

(١) ساجلْ: الأمر من ساجل: عارض وطارح والمساجلة: المناظرة ـ الشجى: الأسى، الحزن.

(٢) اللبانات: جمع لبانة: الحاجة ـ لُبَيْن: مصغر لُبنى.

(٣) حزوى: موضع ـ ينكرنا: خلاف يعرفنا.

(٤) شرخ الشباب: أوائله ـ الأوام: الظمأ الشديد.

وطــالَعنــي الظَّــلامُ بــه خَيــالاً، فــأقبَــل نــاظِــري وَجهــاً وَسيمــا
تَقَضَّــى، غيــر ليــلٍ، مــا تَقَضَّــى، كــأنَّ بمَضجَعِــي فيــه سَلِيمــا[1]
أُصــانِــعُ عنــه طَــرفــاً قــد تَجــافــى غِــرارَ النَّــومِ، أو قلبــاً أَلِيمــا[2]
كــأنــي مــا أَلِفــتُ بــه شفيعــاً، هنــاك، ولا طَــرِبْــتُ لــه نَــديمــا
فمهمــا شــاقَ مــن بــرقٍ مليــحٍ، أَرِقــتُ لــه، أُنــاجِيــه كَلِيمــا[3]
وأَسْــأل هــل سَقــى طلَــلاً، بحَــزْوى، عفَــا قِــدمــاً، وهــل جــادَ الغَميمــا
وأَنشَــقُ، لــوعــةً، لِعَــرارِ نَجــدٍ، صَبَــا نجــدٍ أُســائِلُهــا شَمِيمــا
وكنــتُ رَجَــوْتُ أن أعتــاضَ منــه، زَعيمــاً، أو عَليمــاً، أو حَليمــا
ولمَّــا أنْ نَظَــرتُ مــع الليــالــي، فلَــم أنظُــرْ بهــا إلاَّ مُليمــا
عَبــامــاً، أو كَهــامــاً، أو جَهــامــاً، لَئيمــاً، أو ذَميمــاً، أو زَنيمــا[4]
شَــدَدتُ علــى القــوافــي كــفَّ حُــرٍّ كــريــم، لا يُسَــوِّغُهــا لَئيمــا
فمــا أُطــرِي، إذا أطــريــتُ، إلاَّ حَمِيّــاً، أو حبيبــاً، أو حَميمــا
ومَطــرُوراً أُجــرِّدُه صَقيــلاً، ويَعبــوبــاً أُكــرِّبُــه كَــريمــا[5]
إذا أَقْبَلْتُــهُ سُمــرَ العَــوالــي، فلســتُ أَرُدُّه إلاَّ كَليمــا
وقــد لَــفَّ العَــدوَّ، كــأنَّ ريحــاً، علــى شَــرَفٍ، تلُــفّ بــه هَشِيمــا
يَشِيــمُ بــه، وراءَ النَّقــعِ، بــرقــاً تــألَّــقَ شُهْبَــةً، وصفــا أدِيمــا
إذا أَوطــأْتُــه أَعْقــابَ ليــلٍ، طَــردتُ مــن الظَّــلامِ بــه ظَلِيمــا[6]

---

(١) **المضجع**: المرقد ـ **السليم**: الملدوغ.
(٢) **الطرف**: العين ـ **تجافى النوم**: أي لم يجد سبيلاً إلى الرقاد ـ **غرار النوم**: القليل من النوم.
(٣) **الكليم**: الجريح.
(٤) **الزنيم**: الدعيّ ـ جمع في هذا البيت أكثر الأسماء التي ينتفي عنها الفضل والكرم من مثل الصبام والكهام والجهام والزنيم.
(٥) **المطرور**: صفة السيف المحدّد ـ **اليعبوب**: السريع من الجياد ـ **أكرّب الفرس**: أشدّ حزامه.
(٦) **الظليم**: ذكر النعام.

(٢١٣)
أرَى صَبْوَتي أَحْلى

ألا ثَـلَّ مـن عـرشِ الشبـابِ وثَلَّمـا، لِشَيبٍ تَصدَّى، هَدَّ رُكنِي وهَدَّما[١]
فصِرتُ، وقد أَعطَيتُ شَيبِي مقادتِي، أَرى صَبـوتـي أَحلـى، وشيبِـيَ أَحْلَمـا
وكـلُّ امـرِئٍ طـاشَـتْ بـه غِـرَّةُ الصِّبـا، إذا مـا تَحَلَّـى بـالمَشِيـبِ تَحَلَّمـا[٢]
فهـا أنـا أَلقـى كـلَّ ليـلٍ بِليلـةٍ مِنَ الهمِّ، يستجري، من الدمعِ، أَنْجُما
وأَركَـبُ أَردافَ الـرُّبـى مُتـأسِّفـاً، فـأنشَـقُ أَنفـاسَ الصَّبـا مُتنَسِّمـا
وأَرْشُـفُ نَثـرَ الطَّـلِّ مـن كـلِّ وَردَةٍ، مَكَـانَ بيـاضِ الثَّغْـرِ مـن حُـوَّةِ اللَّمـى[٣]

(٢١٤)
أفنانُها نشاوى

يصف نارنجة

عـاطِ أخـلاَّءَكَ المُـدامـا؛ واستَسْـقِ، لـلأيكَـةِ، الغَمـامـا[٤]
وراقِـصِ الغُصـنَ وهْـو رَطـبٌ، يَقطُـرُ، أَوْ طـارِحِ الحَمـامـا
وقـد تَهـادى بهـا نسيـمٌ، حيَّـتْ سُليمـى بهـا سـلامـا
فتِلـكَ أَفْنـانُهـا نَشـاوى، تَشـربَ أَكـوابَهـا قِيـامـا[٥]

(٢١٥)
تحَوَّل رُجُوما

أَلا نَسَـخَ اللهُ القُطـارَ حجـارةً تَصُـوبُ علينـا، والغَمـامَ غُمـومـا[٦]

---

(١) **انثلّ العرش**: تهدّم ـ **الثّلم**: الفلّ، وكسر الحدّ ـ الركن: الأساس، الأصل.
(٢) **غرّة الصبا**: غرور الشباب ـ **تحلّى**: تزيّن وتجمّل ـ **تحلّم**: صار حليماً أي عاقلاً رصيناً.
(٣) **الحوّة**: السواد المستحسن في الشفتين ـ اللّمى: اسمرار الشفّة.
(٤) **المدام**: الخمر ـ **الغمام**: السحاب.
(٥) **الأفنان**: الأغصان، جمع فنن ـ **الأكواب**: الأقداح جمع كوب.
(٦) **نسخ**: حول ـ **القطار** (بضم القاف): القليل من الماء ـ **الغموم**: جمع غم، الحزن والكآبة.

وكـانَـت سمـاءُ اللهِ لا تُمطِـرُ الحَصـى، لَيـالـيَ كنّـا لا نَطِيـشُ حُلـومـا
فلمّـا تَحـوَّلْنـا عَفـاريـتَ شِـرَّةٍ، تَحـوَّلَ شُـؤبُـوبُ السمـاءِ رُجُـومـا[1]

(٢١٦)

ريّا الأَحِبَّة

لـكَ اللهُ مـن سـارٍ إلـيَّ مُسَلِّـمِ، فَنـابَ وراءَ الليـلِ عـن أُمِّ سـالِـمِ
يجُـولُ بـه مـاءُ النّضـارَةِ والنَّـدى، كمـا جـالَ مـاءُ البِشـرِ فـي وجـهِ قـادِمِ
تَنفَّس يُهـدي، عـن حبيـبٍ، تَحيَّـةً، هَـزَزنـا لهـا، زهـواً، فُضُـولَ العَمـائـمِ
يُـذَكِّـرنـا ريّـا الأحِبَّـةِ نَفحـةً، فنَـذكُـرهُ بـالـدَّمـعِ سُقيـا الغَمـائـمِ[2]

(٢١٧)

بَيْنَ النّار والفَحَم

يـا جـامعـاً لِمسـاويـهِ وطَلعَتِـه بين السَّوادَين: من ظُلمٍ ومن ظُلَمِ
أَمِثلُـهُ جَسَـداً فـي مِثلـهِ حَسـداً، لقـد تـألَّـف بيـنَ النـارِ والفَحَـم

(٢١٨)

أُحِبُّهُ

أَرِقـتُ لِـذكـرى مَنـزل، شَـطَّ، نـازحٍ، كلِفَـتُ بـأنفـاسِ الشَّمـال لـه شَمّـاً
فقلـت لبـرقٍ، يَصـدعُ الليـلَ، لامـحٍ: ألا حَـيِّ عنِّـي ذلـكَ الـرَّبـعَ والـرَّسمـا
وأَبلِـغْ قَطيـنَ الـدارِ أنّـي أُحِبُّـه، علـى النَّأي، حُبّـاً لـو جَزانـي بـه جَمّـا
وأَقـرِئْ عُفَيـراءَ السَّـلامَ، وقُـلْ لهـا: ألا هَـلْ أرى ذاك السُّهـا قَمـراً تَمّـا؟[3]

---

(١) تحوّلنا: صرنا ـ الشرّة: الشرّ ـ الشؤبوب: المطر الغزير ـ الرجوم: الحجارة التي يرجم بها، والشهب التي تقذف بها الشياطين.
(٢) الريّا: الرائحة ـ الغمائم: السحب الممطرة.
(٣) عفيراء: مصغر عفراء ـ السّها: من الكواكب الخفية الصغيرة.

وهـل يَتَثنّـى ذلـك الغصـنُ نَضـرةً بجزعِي، وهل أَلوي مَعاطِفَه ضَمّا؟[1]
ومَن لـي بِـذاك الخِشـفِ من مُتَقَنَّصٍ، فـآكُلَـهُ عَضّـاً وأَشـرَبَـهُ شَمّـا؟[2]
ودُون الصِّبا إِحـدى وخَمسـون حِجّـةً، كـأنّـي، وقـد ولَّـتْ، أُرِيتُ بهـا حُلْمـا
فيـا لَيْـتَ طَيـرَ السَّعـد يَسنَـحُ بـالمُنـى، فـأحْظـى بهـا سَهمـاً وأَنـأى بهـا قِسمـا
ويـا لَيْتَنـي كنـتُ ابـنَ عشـرٍ وأَربـعٍ، فلـم أَدْعُهـا بِنتـاً ولـم تَـدعُنـي عَمّـا

(٢١٩)
بالحياء مُلَثَّم

وأَغَـرَّ يُسفِـرُ، لِلعـوالـي والعُلـى، عـن حُـرٍّ وجـهٍ، بـالحيـاءِ مُلَثَّـمِ
يَسـرِي، فيَمسـحُ للـدُّجى عـن صَفحـةٍ غَـرّاءَ، تَصـدَعُ كـلَّ ليـلٍ مُظلِـمِ
جَـذلانَ تَحسَـبُ وَجهَـه، مُتهلِّـلاً، فـي هَبْـوةِ الهيجـاءِ، غُـرَّةَ أَدهَـمِ[3]
زَرَّ الحـديـدُ عليـه جَيـبَ حَمـامـةٍ ورقـاءَ، فـي غَبَـشِ العَجـاجِ الأَقْتَـمِ[4]
فكـأنَّ جِلـدةَ حَيَّـةٍ خُلِعَـت بـه، يـومَ الكـريهـةِ، فَـوقَ عِطفَـي ضَيغَـمِ[5]

(٢٢٠)
أمْسَى هِلالاً

ومُقَنَّـعٍ، بُخـلاً بنَضـرَةِ حُسنِـه، أَمسـى هِـلالاً، وهْـو بَـدرُ تَمـام
قَبَّلـتُ منـه أُقحُـوانَـةَ مَبسِـمٍ، رَقَّـتْ وراءَ كُمـامَـةٍ لِثُمـامِ[6]
ولَثَمـتُ حُمَـرَةَ وَجنَـةٍ تَنـدى حَيـاً، فكَـرَعـتُ فـي بَـردٍ بهـا وسَـلامِ

---

(١) **يتثنّى**: يتمايل، ويتمايس زهواً ـ **الجزع**: موضع.
(٢) **الخشف**: ولد الظبية.
(٣) **الهيجاء**: الحرب.
(٤) **جيب الحمامة**: كناية عن الدرع ـ **العجاج الأقتم**: الغبار الأسود.
(٥) **يوم الكريهة**: الحرب ـ **الضيغم**: السبع.
(٦) **الثّمام**: ضرب من النبات الضعيف العود.

وبكـلِّ مَـرقَبـةٍ مَنـاخُ غَمـامـةٍ، مِثـلُ الضَّـريـبِ بهـا لِحـاحُ لُغـامِ(1)
رَعـدَت، فـرجَّعَـتِ، الـرُّغـاءَ، مطِيَّـةٌ، لـم تَـدرِ غيـرَ البـرقِ خَفْـقَ زِمـامِ(2)
أوحَـت هُنـاك إلـى الـرُّبـى: أنْ بَشِّـري بـالـرَّيِّ فَـرعَ أَراكَـةٍ وبَشـامِ(3)
وكَفـى بِلَمـحِ البـرقِ غَمـزَةَ حـاجـبٍ، وبصـوَتِ ذاكَ الـرَّعـدِ رَجْـعَ كـلامِ
فـي ليلـةٍ خصِـرَت صَبـاهـا، فـاصطَلـى فيهـا أَخـو التَّقـوى بنـارِ مُـدامِ
وأَحَـمَّ مُسـوَدِّ الإديـمِ، كـأنَّمـا خُلعَـتْ، عـالـى عِطفَيـهِ، جِلـدةُ حـامِ(4)
ذاكـي لسـانِ النّـارِ، يَحسَـبُ أنّـه بَـرقٌ، تمـزَّق عنـه جَيـبُ غمـامِ
فكـأنَّ بَـدءَ النـار، فـي أَطـرافِـه، شَفَـقٌ لـوى يَـدَهُ بـذَيـلِ ظَـلامِ

(٢٢١)
أوسَعْتُ الزّمان مَلامَا

وغَـريبـةٍ، هشَّـت إلـيَّ، غَـريـرةٍ، فَـوددتُ لـو نُسِـج الضِّيـاءُ ظَـلامَـا
طَـرأَتْ عَلـيَّ، مـع المشيـبِ، تَشـوقُني شَيخـاً، كمـا كـانَـت تَشـوقُ غُـلامَـا
مَقبـولـةٍ قَبَّلتُهـا مـن لَـوعـةٍ، نَظـراً، يكـونُ، إذا اعتبَـرتُ، كـلامَـا
عَـذَرَتْ، وقـد أَحلَلتُهـا عـن نِسـوةٍ كِبْـراً، وأَوسَعـتُ الـزمـانَ مَـلامَـا
عَبِقَـت، وقـد حـنَّ الـربيعُ على النَّدى، كـرَمـاً، فـأهـداهـا إلـيَّ سَـلامَـا

(٢٢٢)
أَصْدَعُ أَحْشاءَ الظّلام

أَمَـا وخيَـالٍ قـد أَطـافَ وسَلَّمـا، لقـد هـاجنَـي وَجْـدٌ أَنـاخَ، فخَيَّمَـا
وأَذْكَـرَنـي عَهـداً تَقـادَمَ بـاللِّـوى، وعَصـراً خَـلا بيـنَ الكَثِيـبِ إلـى الحِمَـى

---

(١) الضريب: الثلج ـ لحاح لغام: ملازمة اللعاب والمقصود القطر أو المطر.
(٢) الرغاء: صوت الإبل شبه صوت الرعد برغاء الإبل ـ الزمام: اللجام.
(٣) البشام: شجر ذو رائحة طيبة.
(٤) الأحم: الأسود، والمراد الموقد ـ حام: من أبناء نوح وهو أصل السودان.

وحَطَّ قِناعَ الصَّبرِ، والليلُ عاكِفٌ، فأفْصَح دَمعٌ كانَ بالأمْسِ أعجَمَا
وبتُّ، وسِرِّي راكِبٌ ظَهرَ مَدمَعٍ طَليقٍ، إذا ما أَنجَدَ الرَّكْبُ أَتْهمَا[١]
أُناجي ظَلامَ الليلِ فيه بلَوعَةٍ، تَحدَّثَ عنها الطَّيرُ فجراً، فهَينَمَا[٢]
وأَسحَبُ أذيالَ الدُّجى، فيَهيجُني حمامٌ تداعى، سَحرةً، فتكلَّمَا
وكُنتُ على عَهدِ السُّلُوِّ يَشُوقُني حُسامٌ تَغَنّى، لا حَمامٌ تَرَنَّمَا
أُغازِلُ، مِن سيفٍ تألَّقَ، صفحةً، وأَلثُمُ، من نَقعٍ أُزاحِمُه، لَمَى
وأَسري فأستَصفي، مِنَ السيف، صاحِباً؛ وأَركَبُ، من ظهرِ الدُّجنّةِ، أدهَمَا
وأُصدِعُ أَحشاءَ الظَّلامِ بِفِتيةٍ، مَواكِبَ، منها أَنْجَمَ الليلُ أَنْجُمَا[٣]
أَذَعْتُ بِهِمْ سِرَّ الصباحِ، وإنما سَرَرتُ بهم ليلَ السُّرى، فتَبسَّمَا
وقد كتَمَتْهُم أَضلُعُ البِيدِ ضِنَّةً، ولم يَكُ سِرُّ المجدِ إلّا ليُكتَمَا
فَبِتنا، وبحرُ الليلِ مُلتَطِمٌ بنا، نَرى العيس غَرقى والكواكبَ عُوَّمَا[٤]
وقد نَثَرتْ منها، قِسِيّاً، يدُ السُّرى، وفَوَّقَ منّا، فَوقَها، المجدُ أَسْهُمَا[٥]
سَحَبتُ الدُّجى منها بأعنَسَ ضامِرٍ، رَميتُ به رُكنَ الدُّجى فتَهدَّمَا[٦]
يُقلِّبُ طَرفاً، في الكواكبِ، سامِياً، كأنَّ به، تحتَ الظلامِ، مُنَجِّمَا
ومِن عَجَبٍ أني أرى القوسَ مُنحَنيً به، في يدِ البَيداءِ، والسهمَ مُرتَمَى
وجاذَبَني رَجعَ الحنينِ على السُّرى، كأنَّ له قلباً، هناك، مُتيَّمَا
ويُطرِبُه سجعُ الحمامةِ بالضُّحى، فيَلوي إليها لِيتَه مُتفهِّمَا[٧]

---

(١) **أنجد وأتهم**: على التوالي أتى بلاد نجد وأرض تهامة.
(٢) **هينم**: غرّد.
(٣) **أنجم الليل**: أطلع نجومه.
(٤) **العيس**: الإبل.
(٥) **القسيّ**: الرماح.
(٦) **الأعنس**: البعير الموثق الخلق.
(٧) **الليت**: الجيد أو صفحته.

وما كان يَدرى ما الحنينُ على النَّوى؟ ولكنَّني أَعدَيتُه، فتعلَّمَا
فما عاجَ بي وَجدٌ على رسم مَنزِلٍ، فأعوَلتُ، إلاَّ حنَّ وَجداً فأرزَمَا[1]
وما هاجَني إلاَّ تألُّقُ بارِقٍ، لَبِستُ به بُردَ الدُّجُنَّةِ مُعْلَمَا
تَلوَّى هُدُوّاً يستَطيرُ، كأنَّما أَرُوعُ به، مِن سُدفَةِ الليلِ أَرْقَمَا
إذا خَطَّ سَطراً، بينَ عَينَيَّ، مُذهَباً، تَداركَهُ قَطرُ الدموعِ، فأعجَمَا
حَمَلتُ له قَلباً جَباناً، ومَدمَعاً شُجاعاً، إذا ما أحجَمَ الصَّبرُ صَمَّمَا
ويا عجباً لي كيفَ أَجْبُنُ في الهوى، وإنِّي لَمِقْدامٌ، إذا الذِّمرُ أَحْجَمَا[2]
فها أنا أغشى مَوقفَ البَينِ والوَغَى، فتَنَدى جُفوني عَبرَةً، ويدي دَمَا
وإلاَّ فهذا غَربُ سَيفي مُثلَّماً بكفِّي؛ وهذا صَدرُ رُمحِيُ مُحَطَّمَا
فيا رُبَّ وضَّاحِ المحاسِنِ، أشقَرٍ، رَمَيتُ به الهَيجا، وقد فَغَرَتْ فمَا
وبحرِ حديدٍ، قد تَلاطمَ، أخضرٍ، إذا عَصفَت رِيحُ الجِلادِ به طَمَى
أَبى عِزُّ نفسٍ أَن يَجُولَ فيُجْتَلى؛ وأَشرَفَ هادٍ أن يُنالَ، فيُلجَمَا[3]
جرى الحسنُ ماءً، فوقَه، غيرَ أنه، إذا ما جرى، نارُ الغَضا مُتَضَرِّمَا
عِدا، فاستَنار البرقُ لَوناً وسرعةً، وغبَّر في وجهِ النهارِ فغَيَّمَا
بيومٍ أراني البرقَ أحمَرَ قانياً به، واستَطارَ النَّقعُ أربَدَ أقتَمَا
تَرى الطِّرفَ منه، كلَّما خاض هبوةً، مُحِلاًّ، وتَلقى الصارمَ العَضبَ مُحرِمَا[4]

(٢٢٣)
وانتحيْنا مُدامَه

قامَ يَسعَى بها غُلامٌ يُغَنِّي، فانثَنى خُوطةً وناحَ حَمامَهْ

---

(١) أرزم: حنّ، والمراد أرزمت النّاقة إذا أرسلت صوت حنينها.
(٢) الذّمر: الباسل الشجاع ـ أحجم: تراجع ونكص.
(٣) يجتلى: ينظر إليه، يتأمل ـ الهادي: من أسماء الأسد، والمراد جواده.
(٤) المحرم: خلاف المحل، أي الذي يعطل الحرام.

وانتَحَينا، من طَرفِه ويَديهِ ولمَاهُ ووجنَتَيه، مُدامَهْ
والدُّجى قد لَوى لِواءَ الثُّريَّا، وانتضَتْ راحةُ الصباحِ حُسامَهْ
وكأنَّ الغمامَ، والبرقَ يهفُو، راكِبٌ سَلَّمَ النُّعاسَ زِمامَهْ

(٢٢٤)

أَشْكو إليها

لكَ اللهُ من برقٍ تراءَى، فسَلَّما، وصافَحَ رَسماً، بالعُذيبِ، ومَعْلَما[١]
إذا ما تَجاذبنا الحديثَ، على السُّرى، بَكيتُ على حُكمِ الهَوى، وتَبَسَّما
ولمَ أعتَنِق بَرقَ الغَمام، وإنما وضَعتُ على قلبي يَديّ تَألُّما
وما شاقَني إلاَّ حَفيفُ أَراكَةٍ، وسَجعُ حَمامٍ، بالغُمَيم تَرَنُّما[٢]
وسَرحَةُ وادٍ هَزَّها الشَّوق لا الصَّبا، وقد صَدَحَ العُصفورُ فَجراً، فَهينَما[٣]
أَطَفتُ بها أَشكُو إليها وتَشتكي، وقد تَرجَمَ المُكّاءُ عنها، فأفْهَما[٤]
تَحِنُّ، ودمعُ الشوقِ يَسجُم، والنَّدى، وقَرَّ بعَيني أَن تَحِنَّ ويسْجُما
وحَسبُك مِن صَبٍّ بَكى وحمامةٍ، فلم يُدرَ شَوقاً أيُّما الصَّبُّ منهُمَا
ولمَّا تَراءَت لي أَثافِيُّ منزِلٍ، أَرَتني مُحيّا ذلكَ الرَّبعِ أَهيَمَا[٥]
تَرنَّحَ بي لذعٌ، من الشوق، موجعٌ، نَسيتُ له الصبرَ الجميلَ تألُّما
فأسلَمتُ قلباً باتَ يَهفُو به الهوى؛ وقُلتُ لِدَمعِ العينِ أَنجِدْ، فأتْهَما
وخَلَّيتُ دَمعي والجُفونَ هُنيهةً، فأفصَحَ سِرٌّ ما فغرتُ به فمَا
وعُجتُ المَطايا حَيثُ هاجَ بِيَ الهَوى؛ فحيَّيتُ ما بينَ الكَثيب إلى الحِمَى

---

(١) **العذيب**: موضع ـ **السّرى**: السير ليلاً.
(٢) **الأراكة**: واحدة الأراك وهو شجر يستاك به ـ **الغميم**: واد في أرض العرب.
(٣) **السرحة**: الشجرة الضخمة ـ **الصّبا**: الريح الناعمة.
(٤) **المكاء**: جمع مكائي، ضرب من الطيور التي ترسل صوتاً كالصفير.
(٥) **الأثافي**: حجارة الموقد ـ **الرّبع الأهيم**: الأسود الحالك.

وقبّلتُ رَسمَ الدارِ حبّاً لأهلِها، ... وَمن لمْ يَجِد إلاَّ صَعِيداً تيَمَّمَا[1]
وحنّت رِكابي، والهوى يَبعَثُ الهَوى، ... فلَم أرَ في تَيماءَ إلاَّ مُتيَّمَا[2]
فها أَنا والظَّلماءُ والعِيسُ صُحبَةٌ، ... تَرامى بنا أَيدي النَّوى كلَّ مُرتَمَى
أُراعِي نُجومَ اللّيلِ حُبّاً لبدرِهِ، ... ولَستُ كما ظَنَّ الخَليُّ مُنَجِّمَا
وما راعنَي إلاَّ تبسُّم شَيبَةٍ، ... نَكَرتُ لها وَجهَ الفَتاةِ تَجَهُّمَا
فَعِفتُ غُراباً، يصدَع الشَّملَ، أبيضاً، ... وكان، على عَهدِ الشبيبَةِ، أَسْحَمَا[3]
فآهِ طويلاً ثمَّ آهِ لِكَبرَةٍ، ... بَكَيتُ على عَهدِ الشباب بِها دَمَا
وقد صدِئَتْ مِرآةُ طَرفي ومِسمَعي، ... فما أَجِدُ الأشياءَ كالعَهدِ فِيهِمَا
وهل ثِقَةٌ في الأرضِ يَحفَظُ خِلَّةً، ... إذا غَدرا بي: صاحِبانِ هُما هُمَا
كأنْ لَمْ يَشُقني مَبسِمُ الصبح باللّوى؛ ... ولم أَرتَشفْ من سُدفَةٍ، دونه، لَمَى[4]
وَلم أَطرُقِ الحسناءَ، تَهتزُّ خُوطَةً، ... وتَسحَبُ من فَضلِ الضَّفيرةِ أرقَمَا
ولا سِرتُ عَنها أَركَبُ الصّبحَ أَشهباً، ... وقد جِئتُ، شوقاً، أَركَبُ الليلَ أَدهَمَا
ولا جاذَبَتنِي الريحُ فَضلَ ذؤابَةٍ، ... لَبِستُ بها ثَوبَ الشبيبة مُعْلَمَا[5]

(٢٢٥)
فَٱنْصَاعَ يَنْسَابُ

وظَلامِ لَيلٍ لا شِهابَ بأفقِهِ، ... إلاَّ لنَصلِ مُهنَّدٍ أو لَهذَمِ[6]
لاطَمتُ لُجّتَهُ بِموجَةِ أَشهَبٍ، ... يُرمى بها بَحرُ الظلامِ، فَترتَمي

---

(١) **التيمّم**: مسح الأطراف والوجه بالتراب إذا لم يوجد الماء الصالح للوضوء من أجل تأدية الصلاة.
(٢) **تيماء**: موضع في أرض العرب ـ **المتيم**: العاشق المولّه بالحب.
(٣) **الأسحم**: الأسود.
(٤) **السدفة**: (من الأضداد)، وهي بمعنى الضوء والظلام.
(٥) **المعلم**: ذو العلامة.
(٦) **اللهذم**: السيف الحادّ القاطع.

قـد سـالَ فـي وجـه الـدُّجُنَّـة غُـرَّةً، فـالليـلُ فـي شِيَـةِ الأغـرِّ الأدْهَـمِ[1]
أَطلَعــتُ منـــه، ومِـــن سِنـــانِ أزرَقٍ ومُهَنَّـــدٍ عَضـــبٍ، ثـــلاثـــةَ أَنْجُـــمِ[2]
إن يَعتكـــرِ لَيـــلُ العَجـــاجَـــةِ تَستَتِـــرْ، أو يَعتَـرِضْ شَيطـانُ حَـربٍ تُـرجَـمِ[3]
جـاذَبتُـه فَضـلَ العِنـانِ، وقـد طَغـى، فـانصـاعَ يَنسـابُ انسيـابَ الأرقـمِ
فـي خُضـرِ عُـودٍ بـالأراكِ مُـوَشَّـحٍ، أو رأسِ طَـودٍ بـالغَمـامِ مُعَمَّـمِ
أو بحـرِ نَحـرٍ بـالحَبـابِ مُقَلَّـدٍ، أو وَجـهِ خَـرقٍ بـالضَّـريـبِ مُلَثَّـمِ[4]
حتـى تَهـادى الغُصـنُ يـأطُـرُ مَتنُـه طَـرَبـاً، لِشَـدوِ الطـائـرِ المُتَـرَنِّـمِ
وكـأنَّ ضَـوءَ الصبـحِ رايـةُ ظـافِـرٍ، نَفَضَـت بـه الهَيجـاءُ نَضحـاً مِـن دَمِ[5]

(٢٢٦)
وَأَشْهَرُ لوعَةً

وأَلـزَمتُـه حُكـمَ الهَـوى فـالتَقـى بـه، وبـي أَلِـفٌ عنـدَ العِنـاقِ وَلامُ
وبِتْنـا خَليطَـيْ ضَمَّـةٍ واعتِنـاقَـةٍ، كمَـا خـالَطَـت، مـاءَ الغَمـام، مُـدامُ
تَشُـفُّ بـيَ الشَّكـوى إليـه وتَـرتَقـي، وأَسهَـرُ فيـه لَـوعَـةً ويَنـامُ
وأَستكتِـمُ الشِّعـرَ اسمَـه خـوف كـاشِـحٍ، فبينـي وبيـنَ الشعـرِ فيـه ذِمـامُ[6]
فـلا أُنـسَ إلاَّ فـي عُيـونِ قصـائـدٍ تُنَبِّـهُ بـالإنشـادِ، وهْـيَ نيـامُ
ولـمْ يطـوِ شِعـرٌ قَبلَـهُ مـن سَـريـرةٍ، ولكـنَّ أَشعـارَ الكـرامِ كِـرامُ

---

(١) **الأدهم**: الفرس الأسود اللون.
(٢) **العضب**: السيف القاطع.
(٣) **يعتكر**: يسود ويظلم ـ **العجاجة**: الغبار.
(٤) **الخرق**: الأرض القفراء.
(٥) **نفضت نضحاً من الدم**: يشير إلى الإحمرار الذي يظهر في الأفق الشرقي عند شروق الشمس.
(٦) **الكاشح**: العدو المبغض.

(٢٢٧)

وسرى الهِلالُ

طـافَ الظـلامُ بـه فـأسـرَجَ أدهَمـا، وسعـا السِّمـاكُ بـه فـأشـرَعَ لَهـذَمَـا[١]

وسَـرى يطيـرُ بـه عُقـابٌ كـاسِـرٌ، أمسـى يُـلاعِـبُ مـن عِنـانٍ أرْقَمَـا[٢]

زَحـمَ الـدُّجـى منه بـرُكْنَـيَ هيكـلٍ، لـو كـان زاحَـمَ شـاهقـاً لتَهـدَّمَـا[٣]

فـي سُـدفَـةٍ يَنـدَى دُجـاهـا صَفحـةً، ويَطيـبُ رَيّـاً ريحُهـا مُتَنَسَّمَـا

فتكـادُ رِيقَـةُ طَلِّهـا أن تُحتَسـى رَشْفـاً، ومَبسِـمُ بَـرقِهـا أن يُلثَمَـا[٤]

مِـن ليلـةٍ غَنَّيـتُ فيهـا، أنثَنـي طَـربـاً، وأَسعـدَنـي المطِـيُّ فـأرزَمَـا

وسـرى الهـلالُ يَـدِبُّ فيهـا عَقـربـاً، وانسـابَ مُنعَطَـفُ المَجـرَّةِ أَرقمَـا

وتَلَـدَّدتْ، نحـو الحِمـى، بـي نظـرةٌ عُـذرِيَّـةٌ، ثَنَـت العِنـانَ إلـى الحِمَـى[٥]

فلَـويـتُ أعنـاقَ المَطـيِّ مُعَـرِّجـاً؛ ونـزَلـتُ أعتَنِـقُ الأراكَ مُسَلِّمَـا

مُتَنَسِّمـاً نَفَـسَ القَبُـول، وربمـا أورى زنـادَ الشـوقِ أن أتنَسَّمَـا[٦]

فـأسَلـتُ أحسـاءَ الـدُّمـوعِ عـلامـةً؛ ولـوَيـتُ أحنـاءَ الضُّلـوعِ، تـألّمَـا[٧]

فـي مَنـزلٍ مـا أوطَـأتـهُ حـافِـراً عُـرْبُ الجِيـادِ، ولا المَطـايـا مَنسِمَـا

أكـرَمتُـهُ عـن أن يُنـالَ بِـوطـأةٍ، ولمثلِـهِ مـن مَنـزلٍ أنْ يُكـرَمَـا

دمَعَـتْ بـه عيـنُ الغَمـامِ صَبـابـةً، ولـربمـا طَـرِبَ الجـوادُ فحَمْحَمَـا

مـا أذكَـرَتنِـي العَهـدَ فيـه أيكَـةٌ، إلَّا بَكَيـتُ، فسـالَ واديهـا دَمَـا

---

(١) **السّماك**: نجم.

(٢) **أراد بالعقاب الكاسر**: الفرس النشيطة الحثيثة الجري.

(٣) **الهيكل**: الفرس الضخم.

(٤) **الريقة**: الريق، رضاب الثغر ـ **تحتسى**: تشرب ـ **يلثم**: يقبل.

(٥) **تلدّد**: تحير.

(٦) **القبول**: ريح الصّبا الناعمة.

(٧) **أحساء الدموع**: استعارة. وواحد الأحساء الحسي وهو مستنقع الماء أو موضع تجمعه.

وسَجعــتُ أنــدُبُ لَــوعَــةً، ولــربمــا صَــدَحَ الحَمــامُ يُجيبُنــي، فتَعَلَّمَــا

(٢٢٨)

مِلْ إلى أيْكةٍ

أنعــم، فقــد هبّــتِ النُّعــامَــى، ونبَّهــت رِيحُهــا الخُــزامَــى[1]
ومِــلْ إلــى أيكَــةٍ بَليــلٍ، يَهفُــو، اهتــزازاً بهــا، قُــدامَــى[2]
تَهُــزُّ أَعطــافَهــا القــوافــي لهــا، وأكــوابُهــا النَّــدامَــى
كــأنَّ أُمّــاً بهــا رَؤُومــاً، تَحضُــنُ، مــن شَــربهــا، يَتــامَــى

(٢٢٩)

عَلَى الغُصْنِ سلامُ

ربمــا استضحَــك، الحَبــابَ، حبيــبٌ نَقضَــتْ، ثَــوبَهــا، عليــه المُــدامُ
كلَّمــا مــرَّ قــاصِــراً مــن خُطــاهُ، يتهــادى كمــا يَمُــرُّ الغَمــامُ
سلَّــم الغُصــنُ والكَثيــبُ علينــا، فعلــى الغُصــنِ والكَثيــبِ السَّــلامُ

(٢٣٠)

ما راقني كمجدِك

عثر صديق ابن خفاجة الفقيه أبو أمية وأصابه وهن فبعث إليه بهذه القصيدة

بــذاتِ المَكــارِمِ ذاكَ الألَــم؛ وفــي اللهِ مــا نــابَ تلــكَ القَــدَمْ
فــرَوَّعَ حتــى نُجــومَ العَــلاءِ، وضَعضَــعَ حتــى سمــاءَ الكَــرَمْ
مُهِــمّ تَعــاطــي رُكــوبَ السُّــرى، فصمَّــمَ يَطــرُقُ حتــى أَلَــمّ
ووافــى، يُقَلِّــصُ أذيــالَــه، ليَعبُــرَ لُجَّــةَ بحــرٍ خِضَــمّ
وهــابَ، فــألقــى، علــى وجهِــه، قِنــاعَ ســوادِ الــدُّجــى، والتَثَــمْ

---

(١) **النعامى**: ريح جنوبية. **الخزامى**: زهرة طيبة الرائحة.

(٢) **القدامى**: طليعة الجيش المتقدّمة.

وأَمَّ يَـــدِبُّ دَبِيـــبَ الكَـــرى، ويَمشِـــي الضَّـــراءَ بـــذاك الحَـــرَمْ[(١)]
وللسَّعـــدِ طَـــرفٌ بـــه كـــالــــئٌ، يُـــراعـي الهِـــزَبـرَ، ويَحمِـي الأَجَـمْ[(٢)]
فمـــا طَـــرَقَ الحـــيَّ حتـــى اتَّقـــى؛ ولا استَقبَـــلَ المجـــدَ حتـــى احتشَـــمْ
وولَّـــى يكُـــدُّ الخُطـــى خَشيـــةً، ويَحـــذَرُ مِمَّـــا اجتـــرى واجتَـــرَمْ[(٣)]
فـــلا زالَ يـــرمـــي، فيُصمِـــي العِـــدى، وتكتَنِـــفُ ابـــنَ عِصـــامٍ عُصَـــمْ[(٤)]
هُمـــامٌ، لِعَيـــنِ الهُـــدى نـــاظِـــرٌ بـــه، ولـــوجـــهِ العُلـــى مُبتَسَـــمْ
أَضـــاف إلـــى مُجْتَلـــىً مُجْتَنَـــى: فبَـــرقٌ يُشـــامُ وروضٌ يُشَـــمْ[(٥)]
وفـــاتَ الـــريـــاحَ وطـــالَ الـــرمـــاحَ، فطَـــولٌ عميـــمٌ وطُـــولٌ عَمَـــمْ[(٦)]
يمُـــدُّ بغُـــرِّ الأيـــادي يـــداً، تَصـــاحَـــبَ فيهـــا النَّـــدى والقَلَـــمْ
فيَمحُـــو مِـــدَادَ سَـــوادِ الـــرَّجـــا بمـــا فـــاضَ مِـــن مـــاءِ بيـــضِ النِّعَـــمْ
ويكتُـــبُ، والخَطـــبُ مُستَفحِـــلٌ، فيَـــدفَـــعُ فـــي صَـــدرِ مـــا قـــد أَهَـــمْ
فيـــا رُبَّ حيَّـــةِ وادٍ رقَـــى، هنـــاك، ورُقعـــةِ وشـــيٍ رقَـــمْ
ففـــي وَجـــهِ مَكـــرُمـــةٍ غُـــرَّةٌ تُنيـــرُ، وفـــي أَنـــفِ مَجـــدٍ شَمَـــمْ
وإنَّـــا، إذا مـــا تَصـــدَّى الصَّـــدى، لَنكـــرَعُ فـــي مـــاء تِلـــكَ الشِّيَـــمْ[(٧)]
ونَســـري، وقـــد قَـــرَّ ليـــلُ السُّـــرى، فَنقبَـــسُ مـــن نـــارِ ذاكَ الفَهَـــمْ

---

(١) **الكرى**: النّوم ـ **مشى الضّراء**: أي مشى متوارياً بين الأشجار.
(٢) **الكالي**: الحافظ الذي يحرس ويرعى ـ **الهزبر**: الأسد **الأجم**: جمع الأجمة العرين، مأوى الأسد.
(٣) **اجترا**: مخفف: اجترأ، واجترأ: أقدم بجرأة ـ **اجترم**: اقترف جريمة.
(٤) **يصمي العدى**: يرميهم فيقتلهم ـ **تكتنفه**: تحيط به ـ **العصم**: جمع العصمة وهي الصون والحفظ من الأذى والشرّ.
(٥) **المجتلى**: المنظر ـ **المجتنى**: ما يجنى ـ مدحه وجعله منهلاً يرده المعتفون وذوو الحاجة.
(٦) **الطّول**: الفضل ـ **العميم**: الشامل ـ **العمم**: الكامل في القوة والفتوة.
(٧) **الصدى**: الظمأ والعطش الشديد ـ **نكرع**: نمد العنق ونتناول الماء بفينا من موضعه ـ **ماء الشيم**: استعارة شخص بها مكارمه وجعلها مورداً يرتوى منه الظامئون.

ولَسنـــــا، وآراؤه أَنجُـــــمٌ، نَضِــلٌ، وغُــرَّتُــه بــدرُ تــمْ
فمــا شِئــتَ مــن سيِّــدٍ أيِّــدٍ، يَصُــدُّ العِــدى ويَسُــدُّ الثُّلَــمْ
يَغــارُ ويَمنَــعُ مــن غــارَة، فيَحمِـي الحـرِيـمَ ويـرَعـى الحُـرَمْ
ويَغشَــى النَّــديَّ بخُلــقٍ نَــدٍ، تَــرى المــاءَ يَجـري بـه مــن عَلَــمْ
فهَضبَــةُ حِلــمٍ، إذا مــا احتبــى، وقِسطــاسُ عــدلٍ، إذا مــا حَكَــمْ[1]
يَسيــرُ بــه الحَــقُّ سَيــرَ القَطــا، فيَقضِــي ويمَضِــي، مُضِــيَّ الخُــذُمْ[2]
يُســدِّدُ حتــى صُــدورَ القَنــا؛ ويَضــربُ حتــى رُؤوسَ البُهَــمْ[3]
ويَهجُــرُ فــي الله حتــى الكَــرى؛ ويــأْلَــفُ فــي الله حتــى نَعــمْ
وحسبُــك مِــن أوحَــدٍ أمجــدٍ، تُبــاهِــي بــه العُــربُ صِيــدَ العَجَــمْ
سَنِــيُّ العَطــايــا، حفِــيُّ التَّحــايــا، عَلِــيُّ السَّجــايــا، وفِــيُّ الــذِّمَــمْ
يُنَــوِّرُ، بــالبِشــرِ، أَخــلاقَــه، ويَجــري بكفَيَّــهِ مــاءُ الكَــرَمْ
ويهتَــزُّ، للضيــفِ، خُــدَّامُــه، وتُعــدِي سَجــايـا المَـوالـي، الخَـدَمْ
فَــزُرْهُ تَــزُرْ رَوضــةً غَضَّــةً؛ وحَــيٍّ تَجِــدْ هِــزَّةَ الغُصــن، ثَــمْ[4]
ودَعْ عنــكَ مــن جــاهــلٍ ذاهــلٍ، كــأنَّــكَ حَيَّيــتَ منــه صَنَــمْ
فمــا ظُلمَــةُ الجهــلِ إلاَّ عَمــىً؛ ولا نَبــوَةُ الفَهــمِ إلاَّ صَمَــمْ
ولا شــرفُ المــرءِ غيــرُ النُّهــى، وإلاَّ فحيــثُ الــوُجــودُ العَــدَمْ
ولا العِــزُّ إلاَّ اعتِقــالُ القَنــا، وضَــربُ الطُّلــى، واعتِســافُ الظُّلَــمْ[5]
وجَــوبُ الفُجــاجِ، وخــوضُ الهِيــاجِ، وشَــقُّ العَجــاجِ، ووَطءُ القِمَــمْ[6]

---

(١) **الحلم**: الوقار والتعقل ـ **القسطاس**: الميزان.
(٢) **القطا**: طائر يشبه الحمام ـ الخذم: جمع الخذوم، السيوف الماضية.
(٣) **يسدّد**: يصوب ـ القنا: الرماح ـ البهم: جمع البهمة، الشجاع.
(٤) **ثَمّ (بفتح الثاء)**: هنالك، أي تجد في روضته.
(٥) **اعتسف الظلم**: سار يخبط في الظلام.
(٦) **جاب**: قطع ـ **الفجاج**: جمع فج وهو الطريق بين الجبلين ـ **العجاج**: الغبار، والمراد غبار=

وحسبُ الدُّمى والعِدى أَنَّني رَشفتُ اللَّمى، وخضبْتُ اللِّمَمْ
وأكرَهتُ صدرَ القَنا والظُّبى، فهذا تثنَّى وذاك انثَلَمْ
وأَقبلتُ، وجهَ الرَّدى، أدهماً، رَميتُ الصَّباحَ به، فادلَهَمْ(٤)
كأني، وقد رثَّ ثوبُ الدُّجى، رَتقتُ به خَرقَهُ فالتَأمْ
وليلٍ قدَحتُ به عَزمةً، قدَحتُ الظَّلامَ بها فاضطَرَمْ
وأَوطأتُ أحشاءَهُ أشقراً، كأني نَفختُ به في ضَرَمْ
كأني، وقد خَبَطَ الليلُ بي، قَدحتُ به شُعلةً في فَحَمْ
ويا رُبَّ ليلٍ جَنيِّ المُنى، شَهيِّ اللَّمى، مُستطابِ اللَّمَمْ
لَهوتُ، ودُون التِماحِ الصباحِ ظلامٌ سَجا، وغمامٌ سَجَمْ
يُمَدُّ الشَّرابُ بِبَردِ الرُّضابِ، وجنحُ الظَّلامِ بسُودِ اللِّمَمْ(١)
وقد كَتَمَ الليلُ سِرَّ الهوى؛ ونَمَّت بما استَودَعَتْهُ النَّسمْ
وأَهْدى، إلى الرَّوضِ، نشرُ الصَّبا سلاماً، يَلُفُّ فُرُوعَ السَّلَمْ(٢)
تَحمَّلَ، من شُكرِ قاضي القُضاةِ، ثَناءً، تجَسَّمَ طِيباً، فَنمْ
أَرِقتُ، أَغُوصُ، على دُرِّه، وقد ماجَ بحرُ الدُّجى والتَطَمْ(٣)
وقَد وَقفَ الليلُ لا يَهتَدي، فتَخطُو به، للِثريَّا، قَدَمْ
وغامَ، فأجهَشَ حتى بكَى سُحَيراً، وأبرقَ حتى التَدَمْ(٤)
ولَمَّا تَرنَّمتُ أَطربتُه بما صُغتُ أُطرِيكُمُ، فابتسمْ
فيا شمسَ سعدٍ، إذا ما اعتَزَى؛ وكَوكبَ رَجْمٍ، إذا ما اعتَزَمْ
أَبى طَودُ عِزِّكَ من أن يُضامَ، وأَبطَحُ خُلقِكَ من أن يُذَمْ

= الحرب ـ وطء: دوس ـ القمم: الأعالي.
(١) يمدّ: يمزج ـ الرّضاب: الريق ـ اللّمم: جمع لّمة، الشعر المجاوز شحمة الأذن.
(٢) السّلم: نوع من الشجر يتخذ للدباغة.
(٣) أرقت: سهدت، لم أنم ـ التطم البحر: هاج موجه.
(٤) سحيراً: قبيل الفجر ـ التدم: اضطرب.

وإنــــي، ومَجـــدِكَ، مـــا راقَنِـــي كمَجــدِكَ، أَعِــزِزْ بـــه مـــن قَسَــمْ!

(٢٣١)
الشّفيع الأَكرَمُ

خاطب بهذه الأبيات أبا مدافع العربي مستشفعاً.

يــا أيهـــا الطَّـــودُ المنيـــعُ الأَيْهَـــمُ؛ يـــا أَيُّهـــا البَطَـــلُ الكَمـــيُّ المُعَلَـــمُ(١)
هــا أَنَّ لــي، عنـدَ الليـالـي، حـاجـةً، بعُـــدَت منـــالاً، والليـــالـــي تَلـــؤمُ
والفضـلُ يـأبـى أَن تَفُـوتَ لُبـانَـةٌ، وأَبُـــو مُـــدافِـــعِ الشَّفيـــعُ الأكـــرَمُ
فـامنُـنْ بهـا يـدَ نعمـةٍ يُـزهـى بهـا، مـــن غِـــرَّةٍ، هـــذا الـــزمـــانُ الأدهَـــمُ
واسلَـمْ بمُعْتَـرَكِ الفـوارِس، والظُّبـى تَحنِـــي قـــراعـــاً، والعَـــوالـــي تُحطَـــمُ

(٢٣٢)
جاءَتْ بها كريمةٌ

رفع ابن خفاجة هذه القصيدة إلى مريم بن إبراهيم مستشفعاً بها إلى الأمير أبي الطاهر

يَمَّمـــتُ مـــن عَليـــاكَ خيـــرَ مُيَمَّـــم؛ وحلَلـــتُ مـــن مَغنـــاكَ دارَ مُخَيَّـــمِ
فخلَعـتُ عـن عُنقـي حَمِيلـةَ صـارمٍ؛ و أَرَحـتُ نفسـي مِـن حُمـالـة مَغـرَمِ(٢)
ونـزَلـتُ مـن خِصـبٍ بـأمـرَعِ مَنـزِلٍ؛ وحَللـــتُ مـــن أَمـــنٍ بـــرأس يَلَمْلَـــم(٣)
ولئـن تَهـادَتنـي المطـايـا والسُّـرى، وعُبـــابُ لُجَّـــةِ كـــلّ ليـــلٍ مُظلِـــمِ
فلقـد سكَنـتُ، ولليـالـي جَـولـةٌ، كُحِلَـــتْ، بهبَـــوتَهـــا، عيـــونُ الأنجُـــمِ
وكفـى احتِمـاءَ مَكـانَـةٍ، وصِيـانـةٍ، أَنّـــي عَلِقـــتُ بـــذِمَّـــةِ مـــن مَـــريـــمِ
ذاتِ الأمـــانـــةِ والـــدِّيـــانـــةِ والتُّقـــى، والخُلُـــقِ الاشـــرفِ والطّـــريـــقِ الأقـــوَمِ

---

(١) **الطود**: الجبل ـ **الأيهم**: الجبل الشاهق الشامخ.
(٢) **حميلة الصارم**: حمالة السيف ـ الحمالة: ما يدفع غرامة، الدية.
(٣) **يلملم**: اسم جبل على مسافة من مكة.

ذاتِ الجـلالـةِ والجـزالـةِ والنُّهـى، والبيـتِ الارفَـعِ والنِّصـابِ الأكْـرَمِ
مـن أُسَـرةٍ يتلثَّمـونَ إلـى الـوغـى، يـومَ الحفيظـةِ، بـالعَجاجِ الأقتَـمِ(١)
مـن بيـتِ عـزٍّ، مـن نبـالٍ، حيـثُ لا تُلقـى بغيـرِ مُسـوَّدٍ ومُعظَّـمِ(٢)
مُتهلِّـلٍ للطَّـارقيـنَ بَشـاشـةً؛ أو ضـاربٍ رأسَ الكمـيِّ المُعلَـمِ
طلـقٍ يَشِـفُّ لثـامُـه عـن كـوكـبٍ مُتـألِّـقٍ، فـي الحـادث المُتَجهِّـمِ(٣)
مُتقـدِّمٍ فـي صـدرِ كـلِّ كتيبـةٍ شَهبـاءَ، يَنـدى جـانبـاهـا بـالـدَّمِ
يَثنـي بهـا، عِطفَيـه، كـلُّ مثقَّـفٍ لَـدْنٍ، ويَضحـكُ كـلُّ أبيـضَ مِخـذَمِ
إن جـادَ جَـادَ هنـاك حـاتِـمُ طـيِّءٍ أو صـالَ صـالَ ربيعـةُ بـنُ مُكَـدَّمِ(٤)
وإنِ استَجـرتَ بـه استجَـرتَ بهَضَبَـةٍ، مـأوى الطَّـريـدِ بهـا وكنـزُ المُعـدَمِ
لا تَعثُـرُ الأحيـاءُ، دُون طُـروقِـه، إلاّ بِشلـوَةِ لَهـذمٍ أو ضَيغَـمِ(٥)
تُنمـي إليـه، مـن الحـرائـرِ، حُـرَّةٌ، تَغنـى بسُـؤدُدِ ذاتهـا أن تَنتَمـي
مَشهـورةٌ في الفَضـلِ، قِـدماً، والنُّهى، والنُّبـلِ، شُهـرَةَ غُـرَّةٍ فـي أَدْهَـمِ
جـاءَت بهـا الغُـرُّ الكـرامُ كـريمـةً، لا تَشـرَئـبُّ إلـى بيـاضِ الـدِّرهَـمِ
سِطَـةُ القِـلادةِ رِفعَـةً، ومكـانُهـا، مـن كـلِّ مَعـلاةٍ، مكـانُ اللَّهـذَمِ(٦)
تُـولـي الأيـادي عـن يـدِ نَـزَلَ النَّـدى «منهـا بمنـزِلَـةِ المُحـبِّ المُكـرَمِ»(٧)

---

(١) **الوغى**: الحرب ـ **يوم الحفيظة**: يوم الذود عن الحرمات ـ العجاج الأقتم: غبار المعركة الأسود.
(٢) **النبال (هنا)**: جمع نبيل، أي ذو الأصالة والنبل.
(٣) **الحادث المتجهم**: الحادث المدلهم.
(٤) **حاتم طيء**: هو الذي يضرب به المثل في الكرم ـ **ربيعة بن مكدّم**: من الفرسان المعروفين قبل الإسلام.
(٥) **الشلوة**: مؤنث الشلو وهو الجزء من كل جسم ـ **اللهذم**: السيف ـ **الضّيغم**: الأسد.
(٦) **السطة**: الواسطة أي واسطة القلادة أو العقد وهي أكبر حباته ودرره.
(٧) الشطر الثاني من معلقة عنترة بن شدّاد، وأول هذا البيت:
ولقد نزلتُ، فلا تظني غيره. . .

مِن كلِّ عارِفَةٍ، كما انسجم الحَيا، وافترَّ بارقُ مُزنَةٍ عن مَبْسِمِ
عَلِقَتْ بها، حُرَّ الثَّناءِ، عَقيلَةٌ أَندى يَدينِ من الغَمامِ المُرزِمِ[1]
جودٌ تَنُوءُ به الرِّكابُ على السُّرى، من مُنجدٍ أَرِجِ الرِّياحِ ومُتْهِمِ
يَندى به النَّبتُ الهَشيمُ نَضارةً؛ ويَنِمُّ ذيلُ الرِّيح طيبَ تَنَسُّمِ
خبطَ البلادَ يَمُرُّ غيرَ مُغَيِّمٍ؛ في حالةٍ، ويَصُوبُ صَوبَ مُدَيِّمِ[2]
ويَفُكُّ من أَغلالِ أَسرى فاقَةٍ، وفَصيحِ قومٍ في مَقادَةِ أَعجَمِ
ملكَتْ به، الأحرارَ، أَكرَمُ حُرَّةٍ، بَسَطَ المُقِلُّ لها يمينَ المُعْدَمِ
حملَ، الثَّناء، بها القَريضُ، وإنَّما حَمَلَ الحَديثَ رِوايةً عن مُسلِمِ

(٢٣٣)
رِجالٌ نُجُبٌ

قال هذا الشعر نزولاً عند رغبة السلطان التي أفصح بها وزيره أبو القاسم بن الرقيق طالباً إليه أن يقول شعراً موطّأً له بالغزل، فأنشد:

قُلْ لِمَسرى الريحِ من إِضَمِ، ولياليِنا بذي سلَمِ[3]
طالَ ليلي في هوى قمرٍ، نامَ عن ليلي ولم أَنَمِ
وأَبي، حيَّاهُ من رَشَإٍ، مُستَطابِ اللّثمِ والشِّيَمِ[4]
لتَساوى ما بنَظرَتِه، وبجِسمي فيه من سَقَمِ
لا مَسَحتُ الجَفنَ من سَهَرٍ، ووَقَيتُ القلبَ من أَلَمِ
ولَئِن راوَدْتُ من سِنَةٍ لِما أَرتادُ مِن حُلُمِ[5]

---

(١) **أندى**: أكثر ندى، أي جواداً وعطاء ـ **الغمام المرزم**: المرعد.
(٢) **المديّم**: المطر الدائم الهطول.
(٣) **إضم، وذو سلم**: موضعان.
(٤) **الرشأ**: ولد الغزال، شبه به المحبوب ـ اللثم: التقبيل.
(٥) **السِّنة**: النوم، وراودت من سنة أي حاولت النوم ـ **أرتاد**: أبغي.

وخِيـــالٍ، لــو سَـرى لخَبـا ... مـا بصـدرِ الصِّـبّ مـن ضَـرَم
فسقَـى اللهُ مَضـاجِعنَـا، ... بيـن طَلـحِ الجِـزعِ والسَّلَـمِ[1]
وبكـى بـاكـي الغَمـامِ بهـا، ... بيـنَ مُنهَـلٍ ومُنسَجِـمِ
فلكَـمْ شكـوى، هنـاك، لنـا؛ ... ولكَـمْ نجـوى بهـا وكـمِ...
والتثـامِ بيـنَ مُعتَنِـقٍ، ... واعتنـاقٍ بيـن مُلتثِـمِ
بكـلامٍ رقَّ جـانبُـه، ... بيـن مَنثـورٍ ومُنتَظِـمِ
فتَعـاقَـدْنـا يـداً، بيـدٍ؛ ... وتعـاهَـدْنـا فمـاً لفـمِ
وانتصفْنـا مـن مَظـالِمنـا ... وأخَـذْنـا أخْـذَ مُحتكِـمِ
وانثنـى يَمشِـي بـه غُصُـنٌ، ... مـن جَنـاهُ نَـورُ مُبتَسِـمِ
وقبِلـتُ الكـأسَ مـن يـدِه، ... فـاجتَنَينـا الـورَدَ مـن عَنَـمِ[2]
وسـواءٌ دُرُّ منطِقِـه، ... وحُـلاهُ، حُسـنَ مُنتَظَـمِ
صَـمَّ سَمعـي فيـه عـن عَـذَلٍ؛ ... وابـنُ ستِّيـنَ أخُـو صَمَـمِ
فـأرانـي، لا أرى صَـدداً ... عَـن وُلُـوعٍ، والغَـرامُ عَمِـي
أيـنَ مـا عـانَيـتُ مـن شَغَـفٍ؛ ... أيـنَ مـا قضَّيـتُ مـن لَمَـمِ؟
أيـن مـا أحـرَزتُ مـن أمـلٍ، ... آلَ يَطـويـنـي علـى ألَـمِ؟
هـلْ لَـدَيَّ اليـومَ، منـه سِـوى ... طُـولِ قـرعِ السِّـنِّ مـن نَـدَمِ؟
كـلُّ ريَّـانٍ إلـى ظَمـإٍ؛ ... كـلُّ وجـدانٍ إلـى عَـدَمِ
أيُّ شَمـلٍ غيـرُ مُنصَـدعٍ؛ ... أيُّ حَبـلٍ غيـرُ مُنصَـرمِ؟
آهِ تَجـتَ الليـلِ مـن أرَقٍ، ... ووَراءَ البُـرءِ مـن سَقَـمِ!
مـالَ بـي عَـن عيشَـةٍ، كَـرُمَـتْ، ... عُمُـرٌ، أدنـى إلـى الهَـرَمِ
عـاثَ فـي خَـطِّ العِـذارِ بـه ... شَـرَرٌ، قـد طـارَ فـي فَحَـمِ

---

(١) **الطلح**: شجر الطلح، الجزع والسلم: موضعان.
(٢) **العنم**: أراد ثمر العنم وواحدته العنمة الحمراء اللون، يشبه بها البنان.

وبَيــــاضُ العَيــــشِ مُقتَــــرِنٌ بسَــــوادِ العُــــذرِ واللَّمَــــمِ[1]
وكَفـــانـــي مـــسُّ فـــاقَتِـــه أَنْ يُـــذِيـــعَ الـــدَّهـــرُ مُهتَضَمـــي
لا لعَمـــرِ المَجـــدِ والكَـــرمِ، ومَضـــاءِ السَّيـــفِ والقَلَـــمِ
قَسمـــاً بَـــرّاً، ويَشفَعُـــه قَسَـــمٌ أَرعـــاهُ مـــن قَسَـــمِ
لا يَنـــالُ الـــدَّهـــرُ مـــن جِهتَـــي، وبـــإبـــراهيـــمَ مُعتَصَمـــي
الإمـــامُ المُستقِـــلُّ بـــه رُكـــنُ بيَـــتِ الفَضـــلِ والكَـــرَمِ
والشِّهـــابُ المُستضـــاءُ بـــه فـــي دَيـــاجـــي الظُّلْـــمِ والظُّلَـــمِ
مـــلءُ نَفـــسِ الـــدَّهـــرِ مـــن شَـــرفٍ، قـــد رَســـا طَـــوداً علـــى القِـــدمِ
وسمَـــاحٌ بـــاســـطٌ يَـــدَه، بـــاليـــدِ الطُّـــولـــى مـــن النِّعـــمِ
مـــن قُـــريـــشٍ فـــي الصَّميـــمِ، ومـــن فِتيـــةِ الهَيجـــاءِ فـــي القِمَـــمِ
حَملَـــتْ، زَهـــوَ الكـــلامِ بـــه، دولـــةٌ قـــامَـــت علـــى قَـــدَمِ
نَهَضَـــتْ، فـــي كـــلِّ مُعضِلـــةٍ، بـــوجـــود السَّعـــدِ فـــي الخـــدَمِ
واهتَـــدَتْ فـــي كـــلِّ مَجهلـــةٍ، بـــأبـــي إسحـــاقَ مِـــن عَلَـــمِ
يـــا لـــهُ مِـــن فـــارسٍ نَجِـــدٍ، لـــو نَضَـــا عـــن صـــارِمٍ خَـــذِمِ[2]
وارتَـــدى منـــه، علـــى غَضَـــبٍ، بحُســـامٍ غيـــرِ مُنثَلِـــمِ
نُضِيَـــتْ، يـــومـــاً، بـــه ظُبَتـــا مَشـــرَفِـــيٍّ ليـــس بـــالقَصِـــمِ[3]
كـــم مضـــى يَفـــري، وكـــم سَفَكَـــتْ شَفـــرتَـــاه مـــن عَبِيـــطِ دَمِ[4]
والحُســـامُ المَشـــرَفـــيُّ هُنـــا، رَمـــزَةٌ تُـــومِـــي إلـــى الحَشَـــمِ
ورجـــالٌ قـــادةٌ نُجُـــبٌ، نـــزلـــوا عـــن رُتبـــةِ البُهُـــمِ

---

(١) اللّمم: الجنون.
(٢) النّجد: الجريء الشجاع ـ الصارم: السيف ـ والصارم الخذم: السيف القاطع.
(٣) ظبتا: مثنى ظبة: حد السيف ـ القصم: السريع العطب والانكسار.
(٤) يفرى: يقطع ـ العبيط من الدماء: الدم الخالص.

وأَحَلُّوا من مَراكِزِهم، واستطارَت خَيلُهم بهمِ
فتفرَّى الجيشُ عن مَلِكٍ، سافِرٍ عن وَجهِهِ مُلتَثِمِ
مُقدِمٍ، في الرَّوعِ، مُجتَريءٍ، ضارِبٍ بالسيفِ مُقتَحِمِ
وبِهِم ما جَرَّ ذلك من كَلْمِ عارٍ، أو جَنى كَلِمِ
لا تُقَدِّمْ غيرَ مُضطَهَدِ، وقَريعٍ غيرِ مُهتَضِمِ
صابِرٍ في اللهِ مُحتَسِبٍ، واثِقٍ باللهِ مُعتصِمِ[1]
في ضَمانِ المَشرَفيِّ به، وقعةٌ للعُربِ في العَجَمِ
فَتكَةٌ، في الرُّومِ، قاصِمةٌ ظَهْرَ عزّ الرُّومِ والصَّنَمِ
يَجمَعُ الضَّربُ التؤامُ، بها، بينَ فَلِّ الرُّومِ والرِّمَمِ[2]
حقُّ حِمصٍ أنْ تُسَرَّ به أرضُها من عالِمٍ عَلَمِ
وغَمامٌ، دُونَ رَيِّقِه بَرقُ بِشرٍ غيرُ مُتَّهَمِ
ما ابتدى إلاّ رَأَيتَ به شيخَ رأيٍ في فَتى كَرَمِ
ظَلَّ يَنْدى وَجْهُهُ خَفَراً، وهو ذاكي شُعْلَةِ الفَهَمِ
سخِرَت بالنَّجمِ هِمَّتُه؛ وازدَرَت يُمناهُ بالدِّيَمِ[3]
أَعصَمتْ نفسُ امريءٍ عَلِقَتْ، منه، بالوُثقى من العِصَمِ
واستجارَت، من مخيَّمِه، بِفِناءِ البَيتِ والحَرَمِ

(٢٣٤)
كم يَدٍ لك

قال مادحاً من كنّاه بأبي بكر:

أَسجايا كما تَرِقُّ المُدامهْ، وعَطايا كما تُريقُ الغَمامَهْ

---

(١) محتسب: أي يحتسب خيراً عند الله. معتصم: أي معتصم بالله.
(٢) الضرب التؤام: أي الضرب المضاعف، والواحد منهما التّوأم ـ الفل من الجيش: المنهزمون ـ الرِّمم: جمع رمّة ما بلي من العظام.
(٣) الدّيم: جمع ديمة، السحابة الممطرة.

وهجــومٌ، عليــه غُــرَّةُ نصــرٍ، ونجــومٌ، عليــه بُشــرَى ســلامَــهْ
فهَفَــا النَّصــلُ أن تُنــاطَ ظُبــاهُ، وتــلا النصــرُ أن يَسُــلَّ حُســامَــهْ[1]
يــا أبــا بَكــرٍ كــم يَــدٍ لــك، بِكــرٍ، ســامَــتِ الشُّكــرَ أن تفُــضَّ خِتــامَــهْ
طَــوَّقتنــي، وكنــتُ غيــر مُحَلَّــى، فتَغنَّيــت بــالمَــديــح حَمــامَــهْ
فــاركُض الــدهرَ سابحاً، وانتضِ المِقــ ــدا رسيفاً، واستصحبِ السّعد لامَهْ[2]

(٢٣٥)
أَنْجدَ في طُرُق المَعَالي

ومن مدائحه قوله

تَرى يوسفاً، في ثوبهِ، حُسنَ صُورةٍ، وتَسمَــعُ داوداً، بــه، مُتــرنِّمَــا
تَقلَّــدَ منــه عــاتِــقُ المُلــكِ مُــرهَفــاً، إذا مــا نَبــا العضــبُ المُهَنَّــدُ صَمَّمَــا
مَضــى حيــثُ لــمْ يعلَــق نَجيــعٌ بنَصلِــه، فيَــدمــى، ولــم يَكهَــمْ ظُبــاهُ فيَكهَمَــا[3]
فهــا هُــو، فــي السِّنِّ، السَّــلامُ تــأخُّــراً، وفــي المَجــدِ عُنــوانُ الكِتــابِ تقَــدُّمَــا
تــواضَــعَ عَــن عِــزٍّ، وأشــرفَ هِمَّــةً، فــأنجَــدَ فــي طُــرقِ المعــالــي وأَتهمَــا
لــه عَــزمَــةٌ لــو نَهَنَهَــتْ صــارمــاً نَبــا، فلــم يَمــضِ، أَو مَــرَّتْ بِطَــوْدٍ تَهــدَّمَــا
ورأيٌ جَــلا بِيــضَ السُّيــوفِ طــريــرَةً، وثَقَّــفَ مَيَّــادَ الــرِّمــاحِ ولَهــذَمَــا
وهــا أَنــا إِن تَمــرَضْ بــأرضِــكَ حــاجَــةٌ، فقــد جِئــتُ أبغِي منكَ عِيسى بنَ مريَمَا
وغَيــرُ بَعِيــدٍ أَن أَنــالَ بــك السُّهــى، سُمُــوّاً، إذا كــان اعتنــاؤكَ سُلَّمَــا[4]
فعِــشْ تَخلَــعِ الأمــداحُ ثــوبــاً مُطــرَّزاً عليــك، وحُــرُّ الشُّكــرِ عِقــداً مُنظَّمَــا
فمــا السيــفُ يــومَ الــرَّوعِ نَبَّهــتَ حَــدَّه، فــأضــرمتَــه نــاراً وضــرَّجتــه دَمَــا[5]

---

(١) **الظّبى**: جمع ظبّة: حد السيف ـ **الحسام**: السيف القاطع.
(٢) **انتضى السيف**: استلّه ـ أخرجه من غمده ـ **اللامة**: مخفف: اللأمة، وهي الدرع.
(٣) **النجيع**: الدم ـ لم يكهم السيف أوحده: لم يكل.
(٤) **السهى**: نجم.
(٥) **يوم الروع**: يوم الحرب.

بِـألْيَـنَ أعطـافـاً وأخشَـنَ مَضـرِبـاً، وأرهَـبَ إقـداماً وأجـدى تَخـذُّمـا[1]
ولا الـرَّوض، غِـبَّ القطـر، فضَّضـه النّدى، ورَجَّـع فيـه طـائِـرٌ، فتكلَّمَـا
بـأطيَـبَ أفيـاءً. . . وأنضَـرَ صَفحـةً، وأعطَـرَ أخـلاقـاً وأحلـى تَـرنُّمَـا

(٢٣٦)
كمْ مِنّة لَكَ

من مدائحه التي قالها يثني على الأمير أبي حسن:

أَلا لَيـتَ أَنفـاسَ الـرِّيـاحِ النَّـواسِـمِ، يُحَيِّيـنَ عنِّـي الـواضِحـاتِ المبـاسِـمِ
ويَـرمِيـنَ أكنـافَ العَقيـقِ بِنَظـرَةٍ، تَـردَّدُ فـي تلـكَ الـرُّبـى والمَعـالِـمِ[2]
ويَلثُمـنَ، مـا بيـنَ الكَثيـبِ إلـى الحِمى، مَـواطِـىءَ أخفـافِ المَطِـيِّ الـرَّواسِـمِ[3]
فمـا أَنسَـهُ لا أَنـسَ يـومـاً بِـذي النَّقـا، أَظَلْنـا بـه، لِلـوَجْـدِ، عَـضَّ الأبـاهِـمِ
وقفنـا بـه نَشكُـو، وقـد لَـوَتِ النَّـوى معـاطِفَنـا لَـيَّ الغُصـونِ النَّـواعِـمِ
فمَـن مُبلِـغٌ عَنِّـي الشبيبَـةَ، أَننـي لَـوَيـتُ عِنـانـي عـن طُـرُوقِ الجَـرائِـمِ
ومِلـتُ بطـرَفـي عـن فتـاةٍ وقَهـوةٍ؛ وعَطَّلـتُ سَمعـي مِـن مَـلامِ اللَّـوائِـمِ
فمـا راعَنـي إلاَّ ومِيـضٌ لِشَيبَـةٍ، تـوقَّـدَ فـي قَطـعٍ مـن الليـلِ فـاحِـمِ
ولا هـالَنـي إلاَّ نَـذيـرٌ بـرِحلَـةٍ، مَسَحـتُ لـه، مـن رَوعـةٍ، جَفـنَ نـائِـمِ
تَـولَّـى الصِّبـا، إلاَّ ادِّكـارَ مَعـاهِـدٍ، لـه لَـذعَـةٌ بيـنَ الحَشـى والحَيـازِمِ[4]
أَطَلْـتُ لـه رَجـعَ الحنيـنِ، وربمـا بكيـتُ علـى عَهـدٍ، مضـى، مُتقـادِمِ
فـإن غـاضَـتِ الأيـامُ مـاءَ شَبيبَتـي، ومـالَـتْ بغُصُـنٍ، مـن قَـوامِـيَ، نـاعِـمِ
لقـد طـالَ صَـدرُ الـرُّمـحِ منِّـي بهِمَّـةٍ، تَهُـزُّ بهـا العَليـاءُ صَفحـةَ صـارِمِ

---

(١) التخذم: التقطيع.
(٢) أكناف: جمع كنف، جوانب.
(٣) الرّواسم: جمع راسمة وهي الناقة التي تسير سيراً حثيثاً.
(٤) ادّكار: مصدر ادّكر أي اذّكر ـ الحيازم: جمع حيزوم، وسط الصدر.

لَيالـيَ نَصـلُ السيـفِ ظفـري، وإنمـا قـوائِـمُ أَبنـاءِ الجَـدِيـلِ قـوادِمـي[١]
أَسيـرُ فيَغشـى بـي دُجَـى الليـلِ هِمَّـةٌ تَهُـمُّ، فـأعْـرَوري ظُهـورَ العـزائِـم[٢]
فرُبَّ ظَلِيـمٍ قـد ذَعَـرتُ، علـى السُّرى، بحَـزوى، وظَبـيٍ قـد طَـرَدتُ بجاسِـمِ[٣]
فلـم أدرِ أُمَّ الـرَّأْلِ مـن بنـتِ أَعـوَجٍ؛ ولا ظَبيَـةَ الـوَعسـاءِ مـن أُمِّ سـالـمِ[٤]
وإنْ كنـتُ خَـوَّارَ العِنـانِ علـى الهـوى، فـإنـي، علـى الأعـداءِ، صَعـبُ الشَّكـائِـمِ
فيـا عَجَبـا أَنْ أُعطِـيَ الظَّبْـيَ مِقـوَدي، وأَدرَأَ عنـه فـي نُحـورِ الضَّـراغِـمِ[٥]
وأَدهَـمَ مـن لَيـلِ السُّـرى قـد رَكِبتُـه، وأَودَعْـتُ أَسـرارَ السُّـرى صَـدرَ نـائِـمِ
على حِيـنَ أَرخـى الـدَّجنُ فَضـلَ لِثامِـه، علـى كـلِّ أَقنـى، مِـن أُنُـوفِ المَخـارِمِ
وقـد كَمَنـت بِيـض السُّيـوف، وأَشـرَفـت طـلائِـعُ آذانِ الجِيـادِ الصَّـلادِمِ[٦]
وكاثَرتُ أَوضاحَ النُّجومِ، على السُّرى، بغُـرٍّ كـرامٍ فـوقَ غُـرٍّ كـرائِـمِ
إِذا مـا تَـداعَـوا للكَـريهَـةِ، حَمَّلُـوا صُـدورَ العَـوالـي فـي صُـدورِ المَـلاحِـمِ
وكَـرُّوا، وصـدر السيـف يَـدمـى، فثَلَّمُـوا رِقـاقَ الظُّبـى، بيـنَ الطُّلـى والجَمـاجِـمِ
فمَـن مُبلِـغُ الحسنـاءِ غَنِّـي أَنَّنـي خَلَعـتُ نِجـادَ السيـفِ، خَلـعَ التَّمـائِـمِ؟
وكنـتُ، إِذا مـا أَعضَـلَ الخَطـبُ، لاجِئـاً إلى كالىءٍ، من مَضرِبِ السَّيفِ، عاصِمِ
فهـا أَنـا لا يُسرى تُؤاخِـي، علـى السُّرى، عِنـانـاً، ولا يُمنـى تَلـوذُ بقـائِـمِ
مُنيـخٌ بمَثـوى المَجـدِ مـن ظِـلِّ أَروَعٍ، ودُورُ الأعـادي دارِسـاتُ المَعـالِـمِ
جَـديـرٌ بـإِحـرازِ العُلـى، غيـرَ راكِـضٍ، مُغِـذٌّ، وإِدراكُ السُّهـى غيـرُ قـائِـمِ

(١) **أبناء الجديل**: الإبل المنسوبة إلى جديل وهو من فحول النعمان بن المنذر وهو مضرب المثل عند العرب.
(٢) **اعرورى**: ركب.
(٣) **الظليم**: ذكر النّعامة ـ **السّرى**: السير ليلاً ـ **حزوى**: موضع، ومثله جاسم.
(٤) **الرأل**: ولد النعام ـ **بنت أعوج**: اسم فرس منسوبة إلى أعوج ـ **أم سالم**: اسم امرأة.
(٥) **أدرأ عنه**: أرد عنه، أذود وأدافع ـ **الضراغم**: الأسود.
(٦) **الجياد الصلادم**: جمع صلدم: الفرس القوي الشديد الحافر.

تَهُزُّ بهِ رِيحُ المَكارِمِ خُوطَةً،	تَغُضُّ بها الآمالُ نُورَ الدَّراهِمِ
كأنِّي، وقد أسحَبْتُه الحَمدَ رَيطةً،	سَنَنتُ، على عِطفَيهِ، حُلَّةَ راقِمِ
فيا راكِباً يُزْجِي المَطِيَّ على الوَجى،	ويَخبِطُ أنفاسَ الرِّياحِ النَّواسِمِ
ويَفحَصُ عن ثَغرٍ، من النَّورِ، ضاحِكٍ،	فيُسفِرُ عن وَجْهٍ من الجَدبِ قاتِمِ
كفاكَ بذاكَ الطَّولِ من وَبلِ مُزنَةٍ؛	وحسبُك ذاك البِرُّ من بَرقِ شائِمِ
فإن قَذَفَتْ يَوماً إليكَ به النَّوى،	وأدَّتكَ أيدي النَّاجياتِ الرَّواسِمِ
فعَرِّضْ، من العَلياءِ، في رأسِ هضبةٍ	تُزاحِمُ أشباحَ النُّجومِ العَواتِمِ
منَ القَومِ، سادوا في المُهودِ نَجابةً،	وطَبُّوا، صِغاراً، من كُلُومِ العظائمِ(١)
وقاموا لأوفادِ الخُطوبِ، ودمَّثوا	جَنابَ الليالي للمُلُوك الخَضارِمِ
فإن دَقَّتِ الهَيجاءُ أَرماحَ حَلبَةٍ،	فثَمَّ منَ الآراءِ أمضى لَهاذِمِ
وإن هَدَّتِ الأيامُ أركانَ دولةٍ،	فثَمَّ من الأقلامِ أقوى دَعائِمِ
ترى بِهِمُ، من هِزَّةٍ في طَلاقَةٍ،	لِدانَ العوالي في بَريقِ الصَّوارمِ(٢)
وما شِئتَ من آراءِ نُجحٍ كَوالِئٍ،	تُسَدِّدُ من أطرافِ سُمرٍ كَوالِمِ
تُقلِّمُ أظفارَ المَكارِهِ تارةً،	وتمسَحُ طَوراً عن وُجوهِ المكارِمِ
أيا حَسَنٍ كم مِنَّةٍ لكَ حُرَّةٍ،	كما سَحَّ صَوبُ العارِضِ المُتراكِمِ
هَزَزتَ لها عِطفَ القَضيبِ، وربما	سَجَعتَ، لبَثِّ الشَّجوِ، سَجعَ الحمائمِ
فما رَوضةٌ غَنَّاءُ في رأسِ رَبوةٍ،	تُعَلُّ بِمُنهَلٍّ، من المُزنِ، ساجِمِ
بأحسنَ مَرأى من حِلاكَ لناظِرٍ؛	وأعطَرَ نَشراً من ثَناكَ لِناظِمِ

(١) **طبّوا**: من طبّ: داوى ـ **الكلوم**: جمع كلم: الجرح ـ **العظائم**: الخطوب الفوادح.
(٢) **العوالي**: الرماح ـ **الصّوارم**: السيوف.

(٢٣٧)
للهِ دُرّك فارساً

ذكر في هذه الأبيات كيف راجع الوزير أبا جعفر ابن سعد عن شعره:

أَنَفحَـةُ طِيـبٍ مـا تَنَسَّمـتُ أمْ نَظـمُ؛ وفضْلَـةُ كـأسٍ مـا تـرشَّفـتُ أم ظَلْـمُ؟[1]
خَطِيـرٌ مـن الشِّعـرِ اشتَمَلـتُ ببُـردِه، وقد بَزَّ جسمِي، بُردةَ الصِّحَّةِ، السُّقمُ
يكـادُ يَشِـفُّ الطِّـرسُ عـن نُـور حُسنِه، وما فُضَّ، في ثوبِ الدَّياجي، له خَتْمُ
تَفَجَّـر فيـه الطَّبـع فجـراً، وإنمـا أَطَـلَّ بـه مـن كـلِّ قـافِيـةٍ نَجْـمُ
ولـو أَنَّ سَمعـاً ثـمَّ يُصغِـي لمَـا درى: أَبَيـتٌ يُـرَوَّى أَم يُـراشُ لـه سَهْـمُ
شَفاني،وقد أشفى الضَّنى بي على الرَّدى؛ وبعـضُ الكـلامِ الحُـرِّ يُشفـى بـه الكَلَـمُ
فقبَّلـتُ كفّـاً أَتحَفَتنِـي بعِلْقِـه؛ وحُـقَّ لِكـأسِ الـرَّاح أَن يُكـرَم الكَـرمُ
وعـانَقـتُ عُنـوانـاً، هنـاك، قـرأتـه، وقلـتُ: ألا لَيـتَ التَّمنِّـي هـو الإِسـمُ
أبـا جَعفَـرٍ للهِ درُّكَ فـارِسـاً، بحيـثُ سُطـورُ الشِّعـرِ خيـلٌ لـه دُهْـمُ

(٢٣٨)
ما ضَرَّهُ. . .

جمع في هذه القصيدة بين النسيب والرثاء النادب

أَفِـي مـا تُـؤَدِّي الـرِّيـحُ عَـرْفُ سـلام، وممَّـا يَشُـبُّ البَـرقُ نـارُ غَـرام؟
وإلَّا فَمـاذا أَرَّجَ الـرِّيـحَ سحـرَةً، وأذكـى، علـى الأحشـاءِ، لَفـحَ ضِـرام؟
أمـا وجُمـانٍ مـن حَـديـثِ عَـلاقـةٍ، يهُـزُّ إليـهِ الشَّيـخُ عِطـفَ غُـلامِ[2]
تَحَلَّـتْ بـه، مـا بيـنَ سَلمـى ومَـربَـعٍ، سـوالِـفُ أَيَّـامٍ، سَلَفـنَ، كِـرامِ
لقَـد هـزَّنـي فـي رَيطَـةِ الشَّيـبِ هـزَّةً، أَرتْنـي ورائِـي، فـي الشَّبـابِ، أَمـامـي

---

(١) **النظم**: الشعر المنظوم ـ الظَّلْم: الريق.

(٢) **الجمان**: اللؤلؤ، واحدته جمانة ـ **العلاقة**: صلة الحبّ.

فَلولا دِفاعُ اللهِ عُجتُ معَ الهَوى، وجُلتُ بِوادِيهِ أَجُرُّ خِطامي
ورُبَّ لَيالٍ، بالغَميمِ، أَرِقتُها، لِمَرضى جُفونٍ، بالفُراتِ، نِيامِ[1]
يطُولُ عليَّ الليلُ، يا أُمَّ مالِكٍ، وكلُّ لَيالي الصَّبِّ ليلُ تَمامِ
ولمْ أَدرِ ما أَشجى وأَدعى إلى الهوى: أَخَفْقَةُ بَرقٍ أَمْ غِناءُ حَمامِ
إذا ما استَخَفَّتني لها أَريَحيَّةٌ، عثَرتُ بِذَيلَيْ لَوعَةٍ وظَلامِ
وخَضخَضتُ، دون الحَيِّ، أَحشاءَ ليلةٍ، يُخَفِّرُني فيها وميضُ غَمامِ
فقَضَّيتُها ما بينَ رَشفةِ لَوعَةٍ، وأَنَّةِ شَكوى، واعتِناقِ غَرامِ
وأَحسَنُ ما التفَّتْ عليهِ دُجُنَّةٌ، عِناقُ حبيبٍ عن عِناقِ حُسامِ
فلَيتَ نَسيمَ الرِّيحِ رَقرَقَ أَدمُعي، خِلالَ دِيارٍ باللِّوى وخِيامِ
وعاجَ على أَجراعِ وادٍ بِذي الغَضا، فَصافَحَ عنِّي فَرعَ كلِّ بِشامِ[2]
مَسَحتُ له، عن ناظِرَيَّ، صَبابَةً، وأَقلَلْ بِدَمعي مِن قَضاءِ ذِمامِ
فيا عَرفَ ريحٍ عاجَ عن بَطنِ لَعلَعٍ، يَجُرُّ، على الأَنداءِ فَضلَ زِمامِ
بِما بَينَنا بالحِقفِ من رَملِ عالِجٍ، وفي مُلتَقى الأَرطَى بسَفحِ شِمامِ[3]
تَلَذَّذْ بدارِ القَصفِ عنِّيَ ساعَةً، وأَبلِغْ نَداماها أَعَمَّ سَلامِ
وقُلْ لِغَمامٍ أَلحَفَ الأَرضَ ذَيلَهُ، فلَفَّ فُجاجاً تحتَهُ بإِكامِ[4]
أَما لَكَ من طَلٍّ يُبَرِّدُ مَضجَعي؛ أَما لَكَ من طَلٍّ يَبُلُّ أُوامي؟
وأَيُّ نَدًى، أَو بَردِ طَلٍّ لِمُزنَةٍ، على عَقْبِ أَترابٍ، رُزِئنَ، كِرامِ
وقَفتُ وُقوفَ الشَّكِّ بيْنَ قُبورِهِم، أُعَظِّمُها مِن أَعظُمٍ ورِجامِ

---

(١) **الغميم**: اسم واد على مسافة من مكة.

(٢) **البشام**: ضرب من الشجر طيب الرائحة، وهو مثل الأراك تتخذ منه المساويك.

(٣) **الحتف وعالج والأرطى**: مواضع ـ سفح شمام: أراد سفح جبل شمام وجميع هذه الأعلام في أرض العرب.

(٤) **الفجاج**: جمع فج: الطريق الواسعة بين جبلين.

وأَنــدُبُ أَشجــى رَنَّــةٍ مــن حَمــامَــةٍ؛ وأَبكــي وأَقضِــي مــن ذِمــام رِمــامِ[1]
قَضَــوْا بيــنَ وادٍ، للسَّمــاحِ، ومشــرَعٍ، وغــارِبِ عِــزٍّ، فــي العُلــى، وسَنــامِ
ومنتَصِــبٍ، كــالــرُّمــحِ، هِــزَّةَ عِــزَّةٍ، وفَتْكَــةَ بَــأسٍ، واستــواءَ قَــوامِ
ومُنصَلِتٍ، كالسَّيف، نُصرَةَ صاحبٍ، وضحكَــةَ بِشــرٍ، واعتِــزازَ مَقــامِ
ومُنتَقِــلٍ مُستَقبِــلٍ كَعبَــةَ العُلــى، يُصَلِّــي بــأهلِيهــا صَــلاةَ زُؤامِ[2]
تَهِــلُّ لــه، مــن عِفَّــةٍ، فــي طَــلاقَــةٍ، كــأنَّ، ببُــردَيــه، هِــلالَ صِيــامِ
ومــا ضَــرَّهُ أَنْ يَستَسِــرَّ لِعــاتِــمٍ، إذا مــا بَــدا فــي آخِــرٍ بِتَمــامِ[3]

(٢٣٩)

ملء يدي وفمي

قال ابن الصائغ يرثي الأمير أبا بكر بن إبراهيم:

يــا صــدًى بــالثغــرِ جــاوَرَهُ رِمَــمٌ، بُــورِكــت مــن رِمَــمِ[4]
صَبَّحَتْــكَ الخَيــلُ غــادِيَــةً، فــأثــارَتــكَ، فلَــمْ تَــرِمِ[5]

فعارض ابن خفاجة هذا الشعر فقال:

يــا صَــدًى بــالثَّغْــرِ مُــرتَهَنــاً، بمَمَــرِّ الــرِّيــحِ والــدِّيَــمِ[6]
لا أَرى إلاَّ أَخــا كَــرَمِ، بــاكِيــاً منــه أَخــا كَــرَمِ
كــم بِصــدري فيــكَ مِــن حُــرَقٍ، وبِكَفِّــي منــكَ مِــن نِعَــمِ

وممّا قاله أيضاً:

لا لَعَمْــرِ المَجــدِ والكَــرَمِ، ومَــزَارِ البَيــتِ والحَــرَمِ

---

(١) **الرمام**: العظام البالية، جمع رمّة.
(٢) **الزؤام**: الموت، وتستعمل اللفظة عادة للميتة الكريهة.
(٣) **يستسر**: يختفي ـ العاتم: الحالك المظلم.
(٤) **الصدى**: الجدث، الجسد بعد الموت ـ الرمم: بقايا العظام، جمع رمة.
(٥) **لم ترم**: أي لم تفر.
(٦) **الدّيم**: جمع ديمة، السحابة الممطرة.

لا سَلَوتُ الدَّهرَ عن مَلِكٍ، طَلْقِ وجهِ العُرفِ والشِّيَمِ
هذه نُعماهُ مِلءُ يَدي، وَثَنا رُحماهُ مِلءُ فَمي

(٢٤٠)
تنافسُ فيها الملوكُ

استطعمه القاضي أبو إسحاق بن ميمون فراخ حمام وعنباً، فأنشد مداعباً:

بما حُزتَهُ مِنْ شَريفِ النِّظَامِ، وأرهَفتَهُ من حَواشي الكلامِ(١)
تَعالَ إلى الأنسِ في مَجلسٍ، يَهُزُّ به الشيخُ عِطفَيْ غُلامِ
صَقيلٍ تخالُ به بَيضةً، تَرُوقُكَ تحتَ جَناحِ الظَّلامِ
رَطيبِ النَّسيمِ، كأنَّ الصَّبا تُجَرِّرُ فيه ذُيولَ الغَمامِ
يَكادُ سُروراً بأضيافِه يَهَشُّ، فيَلقاهُمُ بالسَّلامِ
وعندي لِمثلِكَ، مِنْ خاطِبٍ، بَناتُ الحَمامِ وأُمُّ المُدامِ(٢)
بناتٌ تنافَسُ فيها الملوكُ، وتَلهُو العَذارى بها في الخِيامِ
فقد كِدْنَ يَلقَطنَ حَبَّ القُلوبِ، ويَشرَبْنَ ماءَ عُيونِ الكِرامِ
وصَفراءَ طَلَّقتُ بِنتاً لها؛ وما للكريمِ ومأتى الحَرامِ
أَمُصُّ مَراشِفَها لوعَةً، وأذكُرُ ما بَينَنَا من ذِمامِ(٣)
فعُجْ تتَصفَّحْ بَديعَ البَديعِ، وتَلمَحْ سلامةَ شِعرِ السَّلامي
وعِشْ تَتَثَنّى انثِناءَ القَضيبِ سُروراً، وتَسجَعُ سجعَ الحَمامِ
ويَجمِلُ ثوبُكَ خَطِّيَّهُ، ويَنطِقُ عنكَ لِسانُ الحُسامِ

---

(١) حزت: نلت ـ حواشي الكلام: أطرافه.
(٢) المدام: الخمر.
(٣) الذمام: العهد، الميثاق.

قافية النّون

(٢٤١)
سَقْياً لِوادِيهم

فيا لَشَجا قَلبٍ، منَ الصَّبرِ، فارِغٍ؛ ويا لقَذَى طَرفٍ، من الدمعِ، مَلآنِ
ونَفسٍ، إلى جَوِّ الكَنيسةِ، صَبَّةٍ؛ وقَلبٍ، إلى أُفقِ الجزيرةِ، حَنّانِ
تعَوَّضتُ مِن واهاً بِآهٍ، ومِن هوًى بِهُونٍ، ومن إخوانِ صِدقٍ بِخُوّانِ
وماء كلُّ بيضاءٍ بَرُوقٍ بِشحمَةٍ؛ وما كلّ مرعًى تَرتَعيه بِسُعْدانِ[1]
فيا ليتَ شِعرى! هلْ لِدَهريَ عَطفةٌ، فتُجمَعَ أَوطاري عليَّ وأَوطاني؟
مَيادِينُ أَوطاري ولذَّةُ لذَّتي، ومَنشَأُ تَهيامي ومَلعَبُ غُزلاني
كأنْ لَمْ يَصِلني فيهِ ظَبيٌ، يَقومُ لي لَماهُ وصِدغاهُ بِراحي ورَيحاني
فَسَقياً لِوادِيهِمْ، وإن كنتُ إنَّما أبيتُ، لذِكراهُ، بِغُلَّةِ ظَمآنِ
فكم يومِ لَهوٍ قد أَدَرنا، بأفقِه، نُجومَ كُؤوسٍ، بين أَقمارِ نَدمانِ
ولِلقُصبِ والأطيارِ مَلهًى بِجَرعَةٍ، فما شِئتَ من رقصٍ على رَجعِ أَلحانِ
وبالحَضرَةِ الغَرّاءِ غِرٌّ عَلِقتُه، فأحبَبتُ، حُبّاً فيه، قُضبانَ نَعمانِ[2]
رَقيقُ الحَواشِي، في مَحاسِنِ وَجهِه ومَنطِقِه مَسلى قلوبٍ وآذانِ

---

(١) السُّعدان: نبات يكثر في مراعي الإبل.
(٢) القضبان: الأغصان جمع قضيب.

أَغــارُ لِخَــدَّيــه علــى الــورد كلَّمــا بَـدا، ولِعِطفَيـه علـى أَغصُـنِ البـانِ[1]
وهَبْنِـيَ أَجنِـي وَردَ خَـدٍّ بِنـاظـري، فمـن أَيـنَ لـي منـه بتُفّـاح لُبنـانِ؟
يُعلِّلُنــي منــهُ، بمَــوعِــدِ رَشفَــةٍ، خَيـالٌ لـه يُغـري بِمَطْـلٍ ولَيّـانِ[2]
حبيـبٌ عليـه لِجَّــةٌ مــن صَــوارمٍ، عَــلاهــا حَبـابٌ مـن أَسِنَّـةِ مُـرّانِ
تَـراءَى لنـا فـي مِثـلِ صـورةِ يُـوسُـفٍ؛ تَـراءَى لنـا فـي مِثـلِ مُلـكِ سُلَيمـانِ
طَــوى بُــردُه منهــا صَحيفَــةَ فِتنَــةٍ، قرَأنـا لهـا، مـن وَجهِـهِ، سَطْرَ عُنوانِ
مَحبَّتُــه دينــي ومَثْــواهُ كَعبَتــي، ورُؤيَتُــه حَجِّــي وذِكــراهُ قُــرآنِــي

(٢٤٢)

العَفافُ مِنْ شِيَمي

قُــل للقَبيــحِ الفِعــالِ: يــا حَسَنــا! مَــلأتَ جَفنَــيَّ ظُلمــةً وسَنَــا[3]
قــاسَمَنِــي طَــرْفُــكَ الضَّنــى، أَفَــلا قــاسَــمَ، جَفنَــيَّ، ذلــك الــوَسَنَــا؟
إِنــي وإِن كُنــتُ هَضبَــةً، جَلَــداً، أَهتَــزُّ للحُســنِ، لَــوعــةً، غُصُنَــا[4]
قَســوتُ بَــأْســاً ولِنــتُ مَكــرُمَــةً، لــم أَلتَــزِمْ حــالــةً ولا سَنَنَــا[5]
لَســتُ أُحِــبُّ الجُــودَ فــي رَجُــلٍ، تَحسِبُــه، مــن جُمــودِه، وثَنَــا
لَــم يَكحَــلِ السُّهــدُ جفنَــه كَلَفــاً، ولا طَــوَى، جسمَــه، الغَــرامُ ضَنَــى
فمَــن عصــى داعِــيَ الهَــوى فقَســا، وكــانَ جِلــداً، مِــنَ الصَّفــا، خَشِنَــا
فــإِنَّنــي، والعَفــافُ مــن شِيَمــي، آبــى الــدَّنــايــا وأَعشَــقُ الحَسَنَــا
طَــوراً مُنِيــبٌ وتــارَةً غَــزِلٌ، أَبكِــي الخَطــايــا وأَنــدُبُ الــدِّمَنَــا[6]

---

(١) اللّبان: شجر واحدته البانة، تشبه به قدود الحسان الناعمة.
(٢) الليّان: الذي يلوي عن العهود، ولا يفي بما وعد بل يماطل ويتنصل.
(٣) السنا: النور والضياء.
(٤) الجلد من الجلادة أي القوي الذي يحتمل الشدائد.
(٥) السنن: جمع سنة: الطريقة، النهج.
(٦) المنيب: الذي ينوب إلى الله أي يرجع إليه ويتوب.

إذا اعتَـرَتْ خَشيَـةٌ شَكـا، فبَكـى، أَوِ انتَحَـتْ راحَـةٌ دَنـا فَجَنَـى
كـأنَّنِـي غُصـنُ بـانَـةٍ خَضِـلٌ، تَثنيـهِ رِيـحُ الصَّبـا هُنـا وهُنَـا

(٢٤٣)
نَمَّتْ خَمِيلَةٌ

وساقٍ لِخيلِ اللَّحظ، في شأوِ حُسنِه، جِمـاحٌ، وللصَّبـرِ الجميـلِ حِـرانُ(١)
تَـرى للصِّبـا نـاراً بخَـدِّيـهِ لَـمْ يَثُـرْ لهـا، مِـن سَـوادَيْ عـارضَيـهِ، دخـانُ
سقـاهـا، وقـد لاحَ الهـلالُ عشِيَّـةً، كما اعـوَجَّ، فـي دِرعِ الكَمِـيِّ، سِنـانُ
عُقَـاراً نَمـاهـا الكَـرْمُ، فَهْـيَ كـريمـةٌ، ولـم تَـزنِ بـابـنِ المُـزنِ، فَهْـيَ حَصـانُ
وقد جالَ، من جَونِ الغمامةِ أدهَمٌ، لـه البَـرقُ سَـوطٌ والشَّمـالُ عِنـانُ(٢)
وضَمَّـخَ رَدعُ الشمـسِ نَحـرَ حَـديقَـةٍ، عليـه مـن الطَّـلِّ السَّقِيـطِ جُمـانُ(٣)
ونَمَّـتْ، بـأسـرارِ الـريـاضِ، خَميلَـةٌ، لهـا النَّـورُ ثَغْـرٌ والنسيـمُ لِسـانُ

(٢٤٤)
كَأنّها مُقْلَةٌ

وأسـوَدٍ يَسبَـحُ فـي لُجَّـةٍ، لا تَكتِـمُ الحَصبـاءَ غُـدرانُهَـا(٤)
كـأنَّهـا فـي شَكلِهـا مُقلَـةٌ، وذلـك الأسـوَدُ إنسـانُهَـا(٥)

---

(١) الشأو: الشوط، الغاية ـ الحران: صفة الفرس أو المطيّة الصعبة الانقياد.
(٢) الجون: الأسود ـ الأدهم: الفرس المائل إلى السواد ـ العنان: الزمام.
(٣) الطلّ؛ الندى ـ السقيط: الساقط ـ الجمان: اللؤلؤ، واحدته جمانة.
(٤) اللجّة: أكثر الماء ـ لا تكتم: لا تخفي ـ يقول إن هذه اللجة صافية وحصاها باد للعين من خلالها.
(٥) المقلة: العين ـ انسان العين: البؤبؤ الذي في وسطها.

(٢٤٥)
البرقُ سَوْط خافِقٌ

وخَميلَـةٍ قـد أَخمَلَـتْ سِـربـالَهـا ... كفّـا صَنـاعٍ، تَستَهِـلُّ، هَتُـونِ[١]
طَـوَتِ السُّـرى، والبَـرقُ سـوطٌ خـافـقٌ ... بِيَـدِ الـدُّجـى، والـرِّيـحُ ظَهـرُ أَمُـونِ[٢]
بُشـرى تَهـادى فـي وِشـاحٍ مُـذْهَـبٍ، ... قَلِـقٍ، وتَسحَـبُ مـن ذُيـولِ جُـونِ[٣]
طَبَعَـتْ، علـى النُّـوّارِ، بِيضَ دراهِـمٍ، ... مَـدَّتْ إليـكَ بهـا بَنـانُ غُصُـونِ
فَـرفَلَـتْ، حيـثُ تَعثَّـرتْ بـي نَشـوَةٌ، ... فـي ثَـوبِ وَشْـيٍ، للـربيـعِ، مَصُـونِ
والأرضُ تَسفُـرُ عـن وُجـوهِ محـاسـنٍ ... بِيـضٍ، وتَنظُـرُ عـن عُيـونٍ عِيـنِ[٤]

(٢٤٦)
وشاقَ إلى تُفّاحِ لبنانَ

بعث ابن خفاجة بهذه القصيدة إلى أبي بكر محمّد البطليوسي، عن شعر ورد عليه في العروض والروي:

أَبِشـرُكَ أَم مـاءٌ يَسُـحُّ، وبُستـانُ، ... وذِكـرُكَ أَمْ راحٌ تُـدارُ، ورَيحـانُ؟
وإلّا فمـا بـالـي، وفَـوديَ أَشمَـطٌ، ... تَلَـوَّيـتُ فـي بُـرديِ، كـأَنِّي نَشـوانُ؟
وهـلْ هِـيَ إلّا جُملَـةٌ مـن مَحـاسِـنٍ، ... تَغـايَـرُ أَبصـارٌ عَلَيهـا وآذانُ؟
بـأمثـالِهـا مـن حِكمَـةٍ، فـي بَـلاغَـةٍ، ... تُحَلَّـلُ أَضغـانٌ، وتُـرحَـلُ أَظعـانُ
وتُنظَـمُ، فـي نَحـرِ المَعـالـي، قِـلادَةٌ، ... وتُسحَـبُ، فـي نـادِي المَفـاخِـرِ، أَردانُ
كَـلامٌ، كمـا استشـرَفَـتَ جِيـدَ جَـدايَـةٍ، ... وفُصِّـلَ يـاقـوتٌ، هنـاكَ، ومَـرجـانُ[٥]

---

(١) **الخميلة**: المعطف المخملي، والخميلة أيضاً البستان ونحوه حيث الشجر كثير وملتف - **الهتون**: المطر.

(٢) **السّرى**: السير ليلاً - **الدجى**: الليل - **الأمون**: الناقة.

(٣) **الذيول**: جمع ذيل - **الجون**: جمع جون: الأسود.

(٤) **العيون العين**: الواسعة والقويّة السّواد.

(٥) **الجيد**: العنق - **الجداية**: الظبية - **المرجان**: من الحجارة الكريمة.

تـدفَّـقَ مـاءُ الطَّبـعِ فيـهِ تـدفُّقـاً، فَجاءَ، كما يصفُو على النَّارِ عِقْيان[1]
أَتـانـي يَـرِفُّ النَّـورُ فيـهِ نَضـارةً، ويَكْـرَعُ منـه فـي الغَمـامَـةِ ظمـآنُ
وتَـأخُـذُ عنـهُ صَنعـةَ السِّحـرِ بـابِـلٌ، وتَلـوي إليـه أَخـدَعَ الصَّـبِّ بَغْـدانُ[2]
وجـدتُ بـه ريـحَ الشبـابِ لُـدُونَـةً، ودون صِبـا رِيـحِ الشبيبـةِ أَزمـانُ
وشـاقَ إلـى تُفَّـاحِ لُبنـانَ نَفحُـهُ، وهَيهاتَ، من أَرضِ الجَزيرَةِ، لُبنانُ
فهـل تَـرِدُ، الأستـاذَ، مِنِّـي تحيَّـةٌ، تَسيرُ كما عاطى، الزُّجاجةَ، نَدمانُ
تَهَـشُّ إليهـا روضَـةُ الحَـزنِ، سَحـرَةً، ويَثني إليها، مِـن مَعـاطِفِـه، البـانُ
تحمَّلهـا، حَمْـلَ السَّفِيـرِ، بَنَفْسَـجٌ، تَحمَّلـهُ، حَمْـلَ السَّريـرَة، سُـوسـانُ

(٢٤٧)

لا تَقِفْ تَسْأَلُها

دِنْ دِيـنَ مُعتَمِـلٍ فـي اللهِ مُبتَهِـلٍ، وعَـدِّ عـن سِـرِّ عِلـمٍ، ثَـمَّ، مُختَـزَنِ
ولا تَقِـفْ بِطِـوال الكُتْـب تَسـأَلُهـا، فَلَسـتَ تَحظى بغيـرِ الهَـمِّ والحَـزَنِ
وكُـن، إذا التَقَـت الأرمـاحُ، سـافلَـةً، فـربمـا انـدقَّ صـدرُ العـامِلِ اليَـزَنـي[3]

(٢٤٨)

كُنْتَ ضَنِينا

رَحَلْـتُ عَنكُـم، ولـي فـؤادٌ، تَنفُـض أَضـلاعُـه حَنينـا
أَجْـودُ فِيكـم بِعِلْـقِ دَمـعٍ، كنـتُ بـهِ قَبلَكُـم ضَنِينـا
يَثُـورُ فـي وَجنَتَـيَّ جَيشـاً، وكـانَ فـي جَفنِـهِ كَمينـا
كـأنَّنـي، بَعـدَكُـم، شِمـالٌ، قـد فـارَقَـت منكُـمُ يَمينـاً

(١) العقيان: الذهب الخالص.
(٢) الأخدع: وريد في العنق ـ بغدان: من أسماء بغداد.
(٣) اليزني: نسبة إلى سيف بن ذي يزن، وهو من ملوك اليمن قديماً الذين يعرفون بـ «الأذواء».

قافية الهاء

(٢٤٩)

تارةً وأخرى

أَيُّ عَيشٍ، أَو غِذاءٍ، أَو سِنَهْ، لِابنِ إِحدى وَثمانِينَ سَنَهْ
قَلَّصَ الشَّيبُ بِهِ ظِلَّ امرِئٍ، طالما جَرَّ صِباهُ رَسَنَهْ
تارَةً تَسطُو بِهِ سَيِّئَةٌ تُسخِنُ العَينَ، وأُخرى حَسَنَهْ

(٢٥٠)

قَسَوْتَ قَلْباً

يا نُزهةَ النَّفسِ يا مُناها، يا قُرَّة العَينِ يا كَراهَا(١)
أَما تَرى لي رِضاكَ أَهلاً، وهذه حالَتي تَراهَا
فاستَدرِكِ الفَضلَ، يا أَباهُ، في رَمَقِ النَّفسِ، يا أَخاهَا(٢)
قَسوتَ قَلباً ولِنتَ عِطفاً، وعِفتَ من تَمرةٍ نَواهَا(٣)

---

(١) **كراها**: الكرى: النّوم.
(٢) **الرمق**: بقية الروح.
(٣) **النوى**: بزرة التمرة.

قافية الواو

(٢٥١)
أما لديك

دعا في هذه الأبيات إلى اللهو وترك الوقار على العقار

أَمـــا لَـــدَيـــكَ حَـــلاوَهْ؛ أَمـــا عَلَيـــكَ طَـــلاوَهْ؟
طـــايِـــبْ وَداعِـــبْ وَلاعِـــبْ، ودَعْ سجـــايـــا البَـــداوَهْ
فـــإِنَّ أَوحَـــشَ شَـــيءٍ جَســـاوةٌ فـــي غَبـــاوَهْ(١)

(١) الجساوة: القساوة والخشونة.

قافية الياء

(٢٥٢)
على غَيْرِ مَوْعِدِ

لقد زارَ مَن أَهوى على غيرِ مَوعِدٍ، فَعـايَنْـتُ بَـدرَ التَّـمِّ، ذاكَ التَّـلاقِيَـا
وعـاتَبْتُـه، والعَتَـبُ يَحْلـو حَـديثُـهُ، وقـد بَلَغَـتْ رُوحـي لَـديـهِ التَّـراقِيَـا[١]
فلمّـا اجتَمعنـا قُلـتُ مـن فَـرحِـي بـه، مِـنَ الشِّعـرِ، بَيتـاً، والـدُّمـوعُ سَـواقيَـا
وقـد يَجمـعُ اللهُ الشَّتيتَيـن، بَعـدَمـا يَظُنَّـانِ كُـلَّ الظَّـنِّ أَن لا تَـلاقِيَـا[٢]

(٢٥٣)
تجسّم النُّورُ نَوراً

للهِ نُـــورِيَّـــةُ المُحَيَّـــا، تَحمـــلُ نـــارِيَّـــةَ الحُمَيَّـــا[٣]
والـــدَّوحُ رَطْـــبُ المَهَـــزِّ لَـــدْنٌ، قـــد رَقَّ رَيّـــا وطـــابَ رَيّـــا[٤]
تَجسَّـــمَ النُّـــورُ فيـــه نَـــوراً، فكـــلُّ غصـــنٍ بـــه ثُـــرَيّـــا

---

(١) التراقي: جمع ترقوة، أعلى الصدر.

(٢) هذا البيت من شعر مجنون ليلى استعمله الشاعر هنا من باب التضمين.

(٣) النورية: نسبة إلى النور ـ المحيّا: الوجه ـ أراد بالحميا الخمرة.

(٤) الدوح: الشجر الضخم، جمع دوحة ـ المهز: الأغصان لاهتزازها ـ اللدن: الغصن اللين ـ الريّا: الرائحة الطيبة.

(٢٥٤)
نُطْتُ آمالي . . .

بعث ابن خفاجة إلى أبي بكر يستنهض عزمه في أمر ألمّ به:

أَهُــزُّكَ لا إِنِّــي إِخــالُــك نــابِيــاً، وإن كنــتَ مَطْـرُورَ الغِـرارِ يَمـانيَـا[1]
ولكــنَّ هَـزَّ السَّيـفِ والسَّـوطِ شِيمَتـي، وإنْ رُعــتُ سَبَّـاقــاً ونبَّهــتُ مــاضِيَــا
ومـا هَـزَّ أَعطـافَ الكـريـمِ إلـى العُلـى كــأروَعَ، شَيحــانٍ، يَهُــزُّ العَــوالِيَـا[2]
إِذا السَّيـفُ لَـمْ يَشـربْ بـه الـدَّمَ قـانِئـاً عَبيطاً، أَبى أَن يَشربَ الماءَ صادِيَا[3]
وقـد نُطْـتُ آمـالـي بِـأبلَـجَ واضِـحٍ، يُجَشِّمُهـا أَمضـى مِـن السَّيـفِ عـارِيَـا
وأَكــرَمَ آثــاراً مــن المُــزنِ غــادِيــاً، وأَشْهَـرَ أَوضـاحـاً مـن البَـدرِ سـارِيَـا
فمـا الغُصُـنُ المَطلُـولُ أَشـرفَ بـاسِمـاً، ومادَ، أُصَيلاناً، على الماءِ صافِيَا[4]
بــأليَــنَ أعطــافــاً، وأَحسَــنَ هَشَّــةً، وأَعطَـرَ أَخـلاقـاً، وأَنـدى حَـواشِيَـا

(٢٥٥)
زمانٌ تقضّى

جمع في هذه القصيدة بين رثاء بعض إخوانه ونـدب حظـه ممّا تقضى من زمانه ومدح الوزير العلاء بن زهر

كَفانـيَ شَكـوى أَن أَرى المَجـدَ شـاكِيـا، وحســبُ الــرَّزايـا أَن تَـرانِـيَ بـاكِيَـا
أُدَارِي فُـؤاداً، يَصـدَعُ الصَّـدرَ زَفـرَةً، ورَجـعَ أَنِيـنٍ، يَحلُـبُ الـدَّمـعَ سَـاجِيَـا
وكيــفَ أُوارى مِــنْ أُوارٍ وَجَــدتُنِــي له صادِراً، عن مَنهَلِ الماءِ، صادِيَا[5]

---

(١) مطرور الغراء: مشحوذ الحدّ.
(٢) الشيحان: الغيور ـ العوالي: الرماح.
(٣) الصادي: العطش.
(٤) أصيلانا: تصغير أصلان من الأصيل وهو الوقت قبيل غروب الشمس.
(٥) الأوار: الحرّ الشديد ـ الصادي: الظمآن.

وهـا أنـا تَلقـانـي الليـالـي، بمِلئِهـا، خُطُـوبـاً، وأَلْقـى بـالعَـويـلِ اللَّيـالِيَـا

وتَطوي، على وَخزِ الأشافِي، جَوانِحي، تَـوالِـي رَزايا لا تَـرى الـدَّمـعَ شـافِيَـا[1]

ضَمـانٌ عَليهـا أَنْ تَـرى القَلـبَ خَـافِقـاً، طِـوالَ الليـالـي، أَو تَـرى الطَّـرفَ دامِيَـا

وإنَّ صَفـاءَ الـودِّ، والعَهـدُ بَينَنـا، لَيَكـرَهُ لـي أَنْ أَشـرَبَ المـاءَ صـافِيَـا

وكـم قَـد لَحَتنِـي العـاذِلاتُ جَهـالَـةً، ويَـأتـي المُعَنَّـى أَنْ يُطِيـعَ اللَّـواحِيَـا

فقُلْـتُ لَهـا: إنَّ البُكـاءَ لَـراحَـةٌ، بِـهِ يَشتَفِـي مَـن ظَـنَّ أن لا تَـلاقِيَـا

أَلا إِنَّ دَهـراً قَـد تَقـاضـى شَبِيبَتـي وصَحبِي لَدهرٌ قد تَقاضى المرازِيَا[2]

وقد كُنتُ أُهدي المَدح، والدارُ غُربَةٌ، فكَيـفَ بـإهـدائِـي إِليـهِ المَـراثِيَـا!

أَأَحبـابَنـا بـالعَـدوَتَيـنِ صَمَمتُـمُ، بِحُكـمِ اللَّيـالـي أنْ تُجِيبُـوا المُنـادِيَـا[3]

فقيَّدتُ من شَكوى، وأطلقتُ عَبرتي، وخَفَّضتُ من صَوتِي، هُنالِك، شاكِيَا

وأكبَـرتُ خَطبـاً أن أرى الصبـرَ بـالِيـاً، وَراءَ ظَـلامِ اللَّيـلِ، والنَّجـمَ ثـاوِيَـا

وإن عُطِّـلَ النـادِي بِـهِ مِـن حِـلاكُـمُ، وكـانَ علـى عهـدِ التَّفـاوُضِ حـالِيَـا

ومـا كـانَ أَحلى مُقتضى ذلـكَ الجَنى، وأحسَـنَ هـاتِيـكَ المَـرامِـي مَـرامِيَـا

وأَنـدى مُحَيّـا ذلـكَ العَصـرِ مَطلعـاً، وأَكـرَمَ نـادِي ذلـك الصَّحـبِ نـادِيَـا

زَمـانٌ تَـولَّـى بـالمَحَـاسِـنِ عـاطِـرٌ، تكـادُ لَيـالِيـهِ تَسيـلُ غَـوالِيَـا

تَقَضَّـى، وأَلقَـى بيـنَ جَنبَـيَّ لَـوعَـةً، أُبـاكـي بهـا، أُخـرى اللَّيـالـي، البَـواكِيَـا

كـأَنِّـيَ لَـمْ أَنـسَ إلـى اللَّهـوِ لَيلَـةً، ولَـمْ أَتَصَفَّـحْ صَفحَـةَ الـدَّهـرِ راضِيَـا

ولَـمْ أَتَلَـقَّ الـرِّيـحَ تَنـدى علـى الحَشى، شَـذاءً، ولَـمْ أَطْـرَبْ إِلـى الطيـرِ شـادِيَـا

وكانَت تَحايانا، على القُربِ والنَّوى، تَطِيـبُ علـى مَـرِّ اللَّيـالـي تَعـاطِيَـا

فَهَـلْ مِـن لِقـاءٍ مُعـرِضٍ، أَو تَحِيَّـةٍ مَعَ الرَّكب يَغشى، أو مع الطيف سارِيَا!

---

(١) **الأشافي**: جمع الأشفى: المخرز أي الأداة التي يثقب بها.

(٢) **المرازي**: جمع المرزئة، أي النكبة أو الداهية العظمى.

(٣) **بالعدوتين**: مثنى العدوة: ضفة النهر ـ **والعدوة هي أرض المغرب عند أهل الأندلس.**

فهـــا أنـــا، والأرزاءُ تَقــرَعُ مَـــرورَةً بصَــدري، وقَلبــاً بيـنَ جَنبَـيَّ حـانِيَـا[1]
أَحِـنُّ، إذا مــا عَسعَــسَ اللَّيــلُ، حَنَّــةً تُـذِيبُ الحَوايـا أو تَفُـضُّ التَّـراقِيَـا[2]
وأُرخِـصُ أعـلاقَ الـدُّمـوعِ صَبـابَـةً، وعَهـدي بـأعـلاقِ الـدُّمُـوعِ غَـوالِيَـا
فَمـا بِنـتُ أَيـكٍ، بـالعَـراءِ، مُـرِنَّـةٌ، تُنـادِي هَـدِيـلاً ، قَـد أَضَلَّتـهُ نـائِيَـا
وتَنـدُبُ عَهـداً قَـد تَقَضَّـى بِـرامَـةٍ، ووَكــراً بـــأكنــافِ المُشَقَّــرِ خـــالِيَـا
بـــأخفَـــقَ أَحشـــاءً، وأنبـــا حَشِيَّـــةً، وأَضــرَمَ أنفــاســاً، وأَنــدى مــآقِيَـا[3]
فَهَـلْ قـائِـلٌ عنِّـي لِـوادٍ بِـذِي الغَضـا: تــأرَّجْ مــعَ الأمســـاءِ حُيِّيـــتَ وادِيَـــا
وعَلِّــلْ بِــرَيَّـا الــرَّنـدِ نَفسـاً عَليلَـةً، معَ الصُّبحِ يَندى، أَو مع اللَّيلِ هادِيَا
فكَم شاقَني مِن منظَرٍ، فيكَ، رائِقٍ، هَـزَزْتُ لـه مـن مِعطَفِ السُّكـرِ صـاحِيَا
وضـــاحَكَنــي ثَغْــرُ الأقــاحِ ومَبسِـــمٌ، فلَــمْ أَدرِ أَيَّ بــــانِ ثَــمَّ أقـــاحِيَـــا[4]
ودُونَ حِلــى تِلــكَ الشَّبِيبَــةِ شَيبَــةٌ، جَلَبــتُ بِهــا غَمّــاً ولَــمْ أَكُ خـــالِيَـا
وإِنَّ أَجَــدَّ الــوَجـدِ وجــدٌ بــأشمَــطٍ، تَلَــدَّد يَستَقــرِي الــرُّســومَ الخَــوالِيَـــا
وتَهفُــو صَبـا نَجـدٍ بـهِ طِيـبَ نَفحَـةٍ، فيَلقــى صَبــا نَجــدٍ بمــا كـــانَ لاقِيَـــا
فَقُـل لِليـالـي الخِيـفِ: هـل مِـن مُعَـرِّجٍ عَلَينـــا، وَلَـــوْ طَيفـــاً سُقِيـتَ لَيَـالِيَـــا
ورَدِّدْ بِهـــاتِيــكَ الأبــاطِــحِ والـرُّبــى تَحِيَّــةَ صَــبٍّ لَيــسَ يَــرجُــو التَّـلاقِيَــا
فمـا أَستَسِيـغُ المـاءَ، يَعـذُبُ، ظـامئـاً، وَلا أَستَطِيــبُ الظِّــلَّ، يَبــرُدُ، ضـاحِيَـا
ولَــولا أَمـانٍ عَلَّلَتنــي، علـى النَّــوى، بِلُقيـا ابـنِ زُهـرٍ مـا عَـرَفـتُ الأمـانِيَـا

---

(١) **المروة**: الحجارة. يصف ما أنزل الدهر به من البلايا فيقول بأن المصائب تقرع مروته أي تذيقه الآلام.

(٢) **عسعس الليل**: أظلم واشتدت حلكته ـ **التراقي**: جمع ترقوة: مقدم الحلق في أعلى الصدر حيث يترقى فيه النَّفَس.

(٣) **الحشية**: الفراش المحشو ـ وقوله: أنبا حشية أي أنه لا يجد الراحة لنبو فراشها بها.

(٤) **البان**: شجر اللبان، واحدته البانة، تشبه بها الأعطاف اللينة في المرأة ـ **الأقاحي**: واحدته الأقحوانة وهي من الزهور التي تبشر بمقدم الربيع.

أخو المَجدِ لم يَعدُل عن النَّجدِ، نازِلاً ... بـأرضٍ، ولـم يَشمَـخْ مع العِـزِّ ثـاوِيَـا
تَلُـوذُ بِـرُكنَـيْ حـالِـقٍ منـهُ شـاهِـقٍ، ... فَتَغشى كَـريمـاً حـامِـلاً عَنـكَ حـامِيَا[1]
يُسـاجِـلُ طَـوراً كَفُّـه الغَيـثَ غـادِيـاً، ... ويَحمِـلُ طَـوراً دِرعُـه اللَّيـثَ عـادِيَـا
وتَبـأى العُلـى منـه بـأبيـضَ مـاجِـدٍ، ... يُجـرِّدُ دون المجـدِ أبيـضَ مـاضِيَـا[2]
ويَحطِمُـه مـا بيـن دِرعٍ ومِغْفَـرٍ، ... وإنْ كـانَ عَضـبَ الشَّفـرَتَيـن يمـانِيَـا
شَـريـفٌ لآبـاءٍ، نَمَتـهُ، شَـريفـةٍ، ... يَطُـولُ العـوالـي بَسطَـةً والمعـالِيَـا
يُسـابِـقُ أَنفـاسَ الـرِّيـاحِ سَمـاحـةً؛ ... ويَحمِـلُ أَوضـاحَ الصَّبـاحِ مَسـاعِيَـا
إذا نحـنُ أثنَينـا عليهـا وجَـدتُنـا ... نُحَلِّـي صـدوراً للعُلـى، وهَـوادِيَـا[3]
كفـى قـومَـهُ عَليـاءَ أَن كـان غـايـةً ... لهـم، وكفـاهُ أنْ يكـونـوا مَبـادِيَـا
تَبـوَّأَ مـن رَسـمِ الـوزارةِ رُتبـةً ... تمنَّـى، مَـراقِيهـا، النجـومُ، مـراقِيَـا
وأحـرزَ فـي أُخـرى الليـالـي فَضـائـلاً ... تُعَـدُّ، علـى حُكـمِ المَعـالـي، أَوالِيَـا
مَكـارِمُ نَستَضحِـي بهـا مـن مُلِمَّـةٍ ... تَنُـوبُ، ونَستَسقـي الغمـامَ غَـوادِيَـا
لَقِيـتُ بـه، والليـلُ رائِـشُ نَبلِـهِ، ... أخـا فَهَـمٍ لا يُخطِـىءُ الـرَّأيَ رامِيَـا
وأروَعَ يَنـدى للطَّـلاقـةِ صَفحـةً، ... ويَقـدَحُ زَنـداً للنَّبـاهَـةِ وارِيَـا
فيَجمَـعُ بيـن المـاءِ أبيـضَ سَلسـلاً ... يَسُـحُّ، وبيـن الجمـرِ أحمـرَ حـامِيَـا
أَحِـنُّ إليـه حَنَّـةَ النِّيـبِ هَجَّـرَتْ، ... وقـد ذكَـرت مـاءَ العُضـاهِ صَـوادِيَـا[4]
فيـا ايُّهـا النَّـائـي مـع النَّجـمِ هِمَّـةً، ... ومَـرقـى خِـلالٍ فـي الـوزارةِ سـامِيَـا
تـرى فَـرقَـدَ الليـلِ السُّـرى منـه ثـالثـاً، ... وتَـرعـى بـه بَـدرَ الـدُّجُنَّـةِ ثـانِيَـا
حنـانَيـكَ فـي نـاءٍ شَكَـا مَـسَّ لـوعـةٍ، ... فسفَّـرَ، مـن شـوقٍ إليـكَ، القَـوافِيَـا

---

(١) **تلوذ**: تلجأ، وتحتمي ـ **الحالق**: العالي ومثله الشاهق ـ **حاميا**: مدافعا.
(٢) **تبأى**: تزهو، تفخر ـ **الأبيض الماضي**: السيف القاطع.
(٣) **الهوادي**: الأعناق جمع الهادي.
(٤) **النيب**: النّوق المسنة جمع الناب ـ **الصوادي**: جمع الصادي العطش.

وحيًّا بها أذكى منَ الرَّوضِ نفحةً، وأرهَفُ من لَدْنِ النَّسيمِ حَواشيَا
وقد نَدَبَتْ، من حيثُ لم أدرِ، رُقعةً أُنَمِّقُ، أمْ دَمعاً أُرَقرِقُ جارِيَا
وإنك لَلعَذبُ الفُراتُ على الصَّدى، وإنْ بِنتَ، والبَرُّ الكريمُ أياديَا
شقيقُ النَّدى وابنُ النُّهى وأبو العُلا؛ وحَسبُكَ بَيتاً في المكارِمِ عاليَا

(٢٥٦)
وَقَفْتُ أَنْدُبُ رسْماً

أَقوى مَحَلٌّ، مِن شبابِك،آهِلٌ، فوَقَفتُ أَندُبُ منهُ رَسماً عافِيَا[١]
مَثَلَ العِذارُ، هُناكَ، نُؤياً داثِراً، واسوَدّتِ الخِيلانُ فيه أثافِيَا[٢]

(١) **أقوى المكان**: أقفر من ساكنيه ـ **الأهل**: المأهول بالساكنين ـ **الرسم العافي**: الأثر الدارس.
(٢) **النؤي**: حوض يحفر حول الخباء ـ **الخيلان**: جمع الخال، وهو الشامة ـ **الأثافي**: جمع أثفية، حجر الموقد.

فهرس المحتويات

قافية الراء

قافية الصاد

قافية الضاد

قافية العين

قافية الفاء

قافية القاف

قافية الكاف

قافية اللام

قافية الميم

قافية النون

قافية الهاء

قافية الواو

قافية الياء